

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة 8 ماي 1945 قالمة



الكلية...:العلوم الانسانية والاجتماعية  
القسم ... :التاريخ

## أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم

الشعبة:التاريخ الحديث والمعاصر

من إعداد  
رياض بولحبال

بعنوان

بايلك الشرق الجزائري 1800-1837م: دراسة في تطوراته السياسية والاقتصادية والثقافية

أمام لجنة المناقشة المكونة من:

بتاريخ 15 فيفري 2026

الاسم واللقب	الرتبة	
السيد :عمر عبد الناصر	استاذ تعليم عالي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
السيد :رمضان بورغدة	اسالذ تعليم عالي	جامعة 8:ماي 1945 قالمة
السيد :العايشي روابحي	استاذ تعليم عالي	جامعة :باجي مختار عنابة
السيد :جمال ورتي	استاذ تعليم عالي	جامعة:محمد الشريف مساعديّة سوق اهراس
السيد:عبد الكريم قرين	استاذ تعليم عالي	جامعة:8:ماي 1945 قالمة
السيدة :سعاد بولجويجة	استاذة تعليم عالي	جامعة:8:ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية 2025-2026 :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم

سورة الروم الآية 9

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يشرفني ان اتقدم بجزيل عبارات الشكر والعرفان الى البروفيسور القدير رمضان بورغدة على اشرافه على بحثي وله مني كل عبارات الود والاحسان كما اتقدم بجزيل شكري الى اللجنة المناقشة التي اشرفت على مناقشة البحث ولهم مني جزيل الشكر كذلك.

## قائمة الرموز والمختصرات

-العربية-

الرمز والمختصر	المدلول
ج	الجزء
مج	مجلد
ط	طبعة
ص	صفحة
م	ميلادي
هـ	هجري
ش.و.ن.ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

-الفرنسية-

Symbole et abréviation	signification
P	Page
Op cit	Ouvrage précédant
Ibid	Même ouvrage
RA	Revue africaine
V	Volume
A	Année
RNSAC	Recueils et notices de mémoires de la société archéologique de Constantine
ANOM	Archives d'outre mer
AMG	Archives de ministère de guerre

## المقدمة

التعريف بالموضوع: لقد كانت المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية جزئيات هامة للبحث في تاريخ الجزائر الحديث لما لها من علاقة ببعضها وتأثير وخاصة اذا كانت في مرحلة هامة من المراحل التاريخية، ولا شك ان كل اقاليم الجزائر قد عرفت تطورات معينة بما فيها بايلك الشرق الجزائري باعباره اكبر الاقاليم التابعة للولاية واهمية موقعه وتأثيره بالاحداث الخارجية وعلاقاته بتونس واوروبا خاصة في ظل نشاط الشركات التجارية في سواحله، ولهذا عرف البايك تطورات في نهاية العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، وعلى هذا الاساس يبدو التعمق في دراسة هذه التطورات والبحث عن العلاقة والتاثير بين هذه المجالات مهم لمعرفة ما الت اليه المنطقة في نهاية العهد العثماني بعاصمة البايك سنة 1837م، وفي هذا السياق الخاص بالبحث في التطورات الاخيرة كان بحثي بعنوان: بايلك الشرق الجزائري 1800-1837م، دراسة في تطوراته السياسية والاقتصادية والثقافية، والذي سنحاول من خلاله الوقوف على ابرز الاحداث والعوامل المؤثرة والانعكاسات التي شملتها هذه التطورات منذ بداية القرن 19م.

اهمية الموضوع: تكمن أهمية الدراسة في تتبع ابرز التطورات في فترة تاريخية هامة في نهاية العهد العثماني من خلال تتبع التطورات السياسية وذلك إبراز طبيعة السلطة الحاكمة في بايلك قسنطينة وعلاقتها بالسلطة المركزية بمدينة الجزائر، وبالقوى المحلية وأعني بذلك القبائل والأسر النافذة، ورجال الطرق الصوفية، ولما كان بايلك الشرق متاخما لتونس، فإنّ تقلّبات العلاقات الجزائرية التونسية في ذلك الحين وحالات الصراع بين البلدين قد ألفت بظلالها على بايلك الشرق، الذي انجرّ أيضا لحالات النزاع التي كانت تحدث بين القبائل الجزائرية والتونسية على

طرفي الحدود، حيث تجلّت في العديد من المرات في غارات متبادلة وأعمال سلب ونهب سببت نزاعات وتوترات بين تونس والجزائر. كما تكمن أهمية الدراسة في الوقوف على التطوّرات الاقتصادية في مختلف مجالاتها والعوامل التي تحكمت في الانتاج والثروة وحركة الاموال والاسواق والعملية وبرز الاختلافات في الفترة المدروسة مقارنة بالفترات السابقة لها، وتأثيرات ذلك على المجالات الاخرى كما تكمن أهمية الدراسة ايضا في تتبع التطورات الثقافية وخاصة المتعلقة بالعوامل المتحكمة في الحركة العلمية والفكرية وطبيعة الانتاج العلمي والفكري السائد وعلاقته بالاحداث الكبرى السياسية والاجتماعية في نهاية العهد العثماني.

### دوافع اختيار الموضوع:

#### الدوافع الموضوعية"

اهمية دراسة تاريخ الجزائر الحديث وتاريخ بايلك الشرق الجزائري باعتباره أكبر الاقاليم الجغرافية واغناها، والرغبة في التعرف على ابرز التطورات في مجالاتها المختلفة السياسية مثل العلاقة مع السلطة وبرز القوى المحلية المؤثرة وبرز التطورات الخارجية وخاصة العلاقة مع ايلالة تونس حيث اميزت الفترة باحداث هامة اثرت على العلاقات بين الطرفين.

الحاجة لدراسة التطورات الاقتصادية والعوامل التي تحكمت في المجالات الاقتصادية مثل الزراعة والصناعة والتجارة والاسواق باعتبار المنطقة كانت الامتاع بامكانيات وموارد متنوعة ومنفتحة على الاسواق الخارجية خاصة تونس، وكذلك ضرورة البحث في التاريخ المالي والعوامل التي تحطمت في المعاملات المالية والاسواق وغيرها.

الرغبة في دراسة التاريخ الثقافي والادبي للمنطقة ودراسة العوامل المؤثرة في المنتج الثقافي والعلمي ومدى تاثره بالعوامل الاخرى وخاصة السياسية والظروف السائدة في نهاية الفترة العثمانية.

### الدوافع الذاتية:

اعتبار موضوع دراسة بايلك الشرق من المواضيع التي ارغب غي دراستها وميولي لمثل هذه الدراسات التي تدرس التاريخ الوطني والمحلي، وميولي لدراسة مواضيع تخص العلاقات سواء كانت داخلية او خارجية وهذا ما ينطبق على هذا الموضوع التي يدرس ايضا العلاقات الداخلية والعلاقات الخارجية، وايضا تقديم وجهات نظر مختلفة من خلال عرض اراء محلية واء اجنبية حول موضوع بايلك الشرق، كما ان الفترة الزمنية كذلك تعد بالنسبة لي من اهم المواضيع التي ارغب في دراستها ومحاولة الوقوف على العوامل المؤثرة وهذا يتطلب عرض المادة التاريخية في مختلف المصادر والمراجع.

اشكالية الموضوع: لقد كان تناول موضوع التطورات السياسية والاقتصادية والثقافية من خلال ابراز ملامحه في كل مجال وكانت الدراسة قد ارتكزت على ابرز جزئيات التي عرفت هذه التطورات في الفترة المحددة للدراسة مما يميزها عن الفترات الاخرى ولهذا تتمحور اشكالية الموضوع حول ماهية التطورات السياسية والاقتصادية والثقافية التي عرفها الشرق الجزائري خلال أواخر العهد العثماني على امتداد فترة(1800-1837م) وهي سنة استيلاء الفرنسيين على قسنطينة.

ولإحاطة بمختلف جوانب هذه الاشكالية الرئيسية، يمكن طرح مجموعة من التساؤلات الفرعية  
أبرزها ما يلي:

ما هي ابرز التطورات السياسية التي عرفها بايلك الشرق الجزائري إلى غاية سقوط قسنطينة في  
قبضة الفرنسيين؟ كيف كانت العلاقة بين السلطة والرعية؟

ما هي أبرز الأحداث السياسية الداخلية والخارجية التي ساهمت في إضعاف السلطة  
الحاكمة بايلك الشرق الجزائري؟

- ما هي التطورات الأوضاع الاقتصادية التي شهدتها بايلك الشرق خلال الفترة المحددة للدراسة  
؟، ناهي العوامل التي تحمت في الانتاج وفي الاسواق والتجارة والمال؟ وكيف انعكست؟

- ما هي التطورات التي عرفتها الحياة الثقافية في بايلك الشرق الجزائري والعوامل التي أثرت  
فيها؟ وماهي طبيعة الانتاج الفكري والمعرفي في تلك المرحلة؟

**حدود الدراسة:** تشمل الدراسة من حيث المكان بايلك الشرق الجزائري بالأساس، وتنحصر في  
الفترة الممتدة ما بين 1800 و1837م، حيث تبدأ مع مطلع القرن التاسع عشر، الذي الذي  
شهد تطورات هامة، وتنتهي بسنة 1837 التي تمكن خلالها الفرنسيون وبالضبط يوم 13  
أكتوبر من احتلال مدينة قسنطينة، وانهاء حكم الحاج أحمد باي، ومعه طبعاً الحكم العثماني  
للشرق الجزائري.

**منهج الدراسة:** إنّ دراسة موضوع البحث للإجابة عن اشكاليته المركزية والإشكاليات الفرعية  
المرتبطة بها قد فرض توظيف مناهج متعددة ابرزها المنهج التاريخي التحليلي لعرض وتحليل أبرز  
التطورات السياسية والعوامل المتحكمة وتفسير اسباب الاضطرابات السياسية واسباب حدوث  
الثورات وتحليل العلاقة بين بايلك الشرق وتونس والعوامل المتحكمة فيه، وايضا لفهم التطورات

الاقتصادية والعوامل المتحركة في الانتاج والاسواق والعملية، واثّر ذلك على الحياة الاقتصادية. اما المنهج المقارن بغرض التمييز بين فترة بدايات القرن التاسع عشر وما قبلها من تطورات ومقارنة المعطيات الاقتصادية التي شملتها الدراسة، اما المنهج الوصفي فكان يهدف وصف التطورات الثقافية وابرار نوع المنتج العلمي والفكري وابرز الاعلام الفكرية والمؤسسات التعليمية والثقافية ومصادر تمويلها في تلك الفترة.

**خطة الدراسة:** تتكون الدراسة من مقدمة ثلاثة فصول، خاتمة ومجموعة من الملاحق وبيبلوغرافية البحث، وفهارسه.

تمّ من خلال المقدمة التعريف بموضوع البحث وأهميته التاريخية، وإشكاليته المركزية والتساؤلات المتفرعة عنها، والخطة المعتمدة، مع عرض موجز لأهمّ المصادر والمراجع المعتمدة في انجاز البحث.

أمّا الفصل الاول، فقد كرّس لدراسة أبرز التطورات السياسية التي شهدتها بايلك الشرق الجزائري خلال الفترة الممتدة ما بين 1800 و 1837م، من خلال دراسة وتحليل تطور العلاقة بين السلطة في بايلك الشرق الجزائري والسلطة المركزية، وتكمن أهميته في فهم طبيعة العلاقة الثنائية التي اصبحت تتحكم فيها معايير الولاءات على حساب الكفاءة، حين يتعلق الأمر بتعيين السلطة المركزية للبايات، مما أثار سلبا على أوضاع البايك، ولهذا جرى التركيز على عنصرين هامين: الأول دراسة العلاقة مع السلطة المركزية والثاني تضمن تدهور سلطة البايات وفسادهم، لفهم أبرز التطورات السياسية الأخيرة والتي تسببت في العجز السياسي وسوء التسيير من قبل

البايات مما أدى إلى قصر فترة حكمهم حيث أصبح معظمهم عاجزا عن ادارة شؤون اقاليمه ولهذا يمكن اعتبار هذه الفترة بمرحلة التقهقر والاضطراب السياسي.

أما العنصر الثاني المهمّ فيتعلّق بتطوّر العلاقة بين السلطة في بايلك الشرق الجزائري وبين الاعراش والقبائل خاصّة تلك التي كان لها نفوذا سياسيا في وسط السكان، وقد تقلّبت هذه العلاقة بين التبعية والتحالف تارة والصراع، الذي تجلّى في بعض الأحيان في اضطرابات وحركات تمرد وعصيان، ممّا أضعف مركز سلطة مؤسسة الحكم.

كما لم يفتني في هذا السّياق دراسة طبيعة العلاقة بين الاعراش والقبائل الكبرى بعضها ببعض والتي كان لها نفوذا ومصالح سياسية الى جانب السلطة وفهم طبيعة التطورات التي مست العلاقة بينها وتأثير ذلك على التطورات السياسية العامة خلال الفترة المدروسة.

ومن أبرز مظاهر الصراع التي غدّت الاضطرابات في بايلك الشرق، الصراع على مؤسسة المشيخة: هذه المؤسسة التي اصبحت تلعب دورا سياسيا هاما في توجيه الأحداث والتي كان يترأسها كبار قادة وشيوخ القبائل وفهم التطورات التي حصلت بها منذ بدايات القرن التاسع عشر وخاصة المتعلقة بالصراع بين شيوخ مؤسسة المشيخة وتأثيرها على التطورات السياسية العامة إلى غاية سقوط قسنطينة وموقفها من السلطة الاستعمارية.

كما قمت في هذا السّياق بدراسة تطوّر العلاقة بين السلطة في بايلك الشرق ورجال الطرق الصوفية، حيث كان لزاما علي تفسير العلاقة بين السلطة ورجال الطرق الصوفية نظرا لدور الطريقة في توجيه الأحداث السياسية في الشرق الجزائري نظرا لنفوذها الكبير في أوساط المجتمع وقد انتقلت العلاقة من التحالف الى القطيعة مما دفع بالطرق الصوفية الى التحريض على اسقاط النظام ودعم الثورات التي عرفها الشرق الجزائري في نهاية العهد العثماني.

كما تطرقت إلى تطور العلاقات مع تونس في الفترة محلّ الدراسة، من خلال تحليل العوامل التي أثّرت في العلاقة بين بايلك الشرق، وبطبيعة الحال بين الجزائر وتونس، وخاصة الصراع الذي نشب بين الطرفين نتيجة مشاكل حدودية، وأدت مثلا إلى حرب 1806م بين البلدين.

عاجت أيضا التهديدات الأوروبية للسواحل الشرقي الجزائري، وأخيرا الهجمات الفرنسية على بايلك الشرق بعد احتلال مدينة الجزائر يوم 05 جويلية 1830م، حيث بسط الفرنسيون سلطتهم على مدينة عنابة عام 1832م، ومن هناك شنوا حملتين على مدينة قسنطينة الأولى منيت بفشل ذريع عام 1836م والثانية تمكنوا من خلالها من احتلال مدينة قسنطينة يوم 13 أكتوبر 1837م، وهو الحدّ النهائي لموضوع البحث.

اما الفصل الثاني، فقد خصّصته لدراسة التطورات الاقتصادية التي شهدتها بايلك الشرق الجزائريما بين 1800 و1837، وبندرج تحته ثلاث مباحث رئيسية، كرّست لدراسة مجالات اقتصادية حيوية، هي: الزراعة والصناعو والتجارة

اما الفصل الثالث، فقد عاجت من خلاله الحياة الثقافية الثقافية من 1800 الى في بايلك الشرق 1837م، من خلال دراسة وتحليل العوامل التي أثّرت الحياة الثقافية، ومظاهر الانتاج الثقافي، خاصة ذلك الذي ارتبط بالأحداث السياسية والاجتماعية التي شهدتها بايلك الشرق في الفترة محلّ الدراسة.

أمّا الخاتمة، فقد خصصتها لرصد أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، مراعيًا في ذلك التسلسل الزمني لأحداث البحث. وقد أرفقتها بمجموعة من الملاحق ارتبط مادتها الخيرية ارتباطا عضويا بموضوع البحث.

## الدراسات السابقة:

اخترت بعض الدراسات السابقة التي اراها مناسبة في دراستي ووظفتها حسب متطلبات الفصول الثلاث واذكر منها:

-الاسر الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري في نهاية العهد العثماني:رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر للباحثة جميلة معاشي، نوقشت بجامعة قسنطينة، وهي دراسة هامة استطاعت خلالها الباحثة تحليل دور القبائل والاسر والعائلات الكبرى التي كان لها نفوذ في الشرق الجزائري و العلاقة بينها وبين السلطة في فترات زمنية هامة،وقد اعتمدت عليها خاصة في الفصل الاول الخاص بالتطورات السياسية وخاصة في تحليل العلاقة بين القبائل ودور العائلات الكبرى والصراع داخل مؤسسة المشيخة.

-شيوخ القبائل ومؤسسة المشيخة في بايلك الشرق والوسط العربي التونسي1700-1860: رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، للباحثة خديجة يعقوبي، وقد نوقشت جامعة قسنطينة - 2017-2018،وهي دراسة هامة تناولت خلالها الباحثة جزئية هامة في التاريخ السياسي والاجتماعي والمتمثلة في دور مؤسسة المشيخة كمؤسسة هامة لعبت دور في العلاقات مع السلطة سواء في الشرق الجزائري وعلاقتها مع السلطة او في الغرب التونسي حيث القبائل الحدودية والتي لعبت دور مع السلطة في تونس وتأثيرها على العلاقات بين الايالتين في فترة القرن الثامن عشر الى ما بعد منتصف القرن التاسع عشر،وقد وظفتها خاصة في الفصل الاول المتعلق بالتطورات السياسية في المبحث الخاص بمؤسسة المشيخة.

-الاقتصاد والمجتمع في ايالة الجزائر 1700-1830:هي رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من اعداد الباحثة يوسف صرهودة، وقد نوقشت بجامعة قسنطينة للسنة الجامعية 2017-2018، وهي دراسة هامة تناولت جدلية العلاقة بين الاقتصاد والمجتمع في ايالة الجزائر وحللت العوامل المؤثرة في الاقتصاد والمجتمع في فترة زمنية هامة من القرن الثامن عشر الى نهاية الفترة العثمانية كما وظفت الباحثة مجموعة هامة من الوثائق في بحثها ، وقد اعتمدت عليها في الفصل الثاني الخاص بالتطورات الاقتصادية.

-الواقع الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الجزائري(1804-1871م) دراسة مقارنة، هي رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، للباحث عبد الرزاق قشوان، نوقشت بجامعة الامير عبد القادر بقسنطينة 2017-2018، وقد تناولت الدراسة تحليلا للواقع الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الجزائري وقد ركزت على المقارنة بين الواقع الاقتصادي والاجتماعي في فترة نهاية العهد العثماني مقارنة مع بداية الاحتلال الفرنسي ، وقمت بتوظيفها في الفصل الثاني الخاص بالتطورات الاقتصادية.

ا-الحياة الاقتصادية في بايلك الشرق خلال العهد العثماني(1713-1792):رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من اعداد الباحثة اسمهان لعربي، نوقشت في جامعة الجيلاني اليابس، سيدي بلعباس 2012-2013،وهي دراسة هامة تناولت الحياة الاقتصادية في بايلك الشرق خلال القرن الثامن عشر وقدمت تحليلا حول الوضع الاقتصادي،وقد اعتمدت عليها في الفصل الثني من دراستي.

-أبحاث في تاريخ الجزائر العثمانية العملات، الأسعار والمداخيل من 1520 إلى 1830 للباحث لمنور مروش، كتاب صدر سنة 2002،تناول عنوان دقيق ومحدّد : " العملات، الأسعار والمداخيل من 1520 إلى 1830" ، استطاع الباحث ان يقدم مقارنة جديدة في جانبه الاقتصادي في الجانب الرقمي والحسابي والكمي وبين أنواع العملات وقيمتها المستقرة والمتحولة عبر ثلاثة قرون، وقدم قراءة دقيقة للمصادر الأرشيفية،وقد اعتمدته خاصة في الفصل الثاني المتعلق بالتطورات الاقتصادية.

مادة البحث: المصادر والمراجع.

اولا:المصادر الارشيفية

ارشيف المكتبة الوطنية بالحامة: اعتمدت على العلبتين:

العلبة رقم 1641 بالمكتبة الوطنية:

هي عبارة عن مجموعة من الرسائل اغلبها من بايات الشرق ارسلت الى شيوخ القبائل وكذلك الى وكيل الباستيون الفرنسي بالقالة كما تضمنت كذلك رسائل من الباشوات في الجزائر الى اغوات النوبة او المحميات

العسكرية وتوجد في مجلد واحد وعددها 132 رسالة مع الاشارة ان بعضها اصلي اما اغلبها فهي منقولة عن اصول مفقودة وتم ترجمتها واعطاء ملخصات لها باللغة الفرنسية وتحي تمتد من 1719 م الى 1783 م ( 1138 هـ الى 1198 هـ) ورغم ان الاطار الزمني للمجموعة الى غاية نهاية القرن الثامن عشر الا انها كانت مهمة في البحث وقد اعتمدت عليها لانها تخص المراسلات بين البايات في تلك الفترة والشيوخ خاصة شيخ معزولة وحول القضايا الناتجة عن نشاط صيد المرجان والامتيازات الفرنسية وما نتج عنها من خلافات ومشاكل مع اهالي تلك المناطق في القل وعنابة والقالة، وهذه الخلافات قد اثرت فيما بعد سلبا على الاوضاع الى غاية نهاية الفترة العثمانية.....

**المجموعة رقم 1642:** هي مجموعة هامة من الوثائق بلغ عددها 31 وثيقة تخص الفترة الزمنية ما بين بداية القرن 19م، الى غاية فترة حكم احمد باي وهي مهمة جدا في مجال دراستنا لانها تتعلق بمراسلات بين الداوي حسين واحمد باي حول العديد من القضايا التي كان يطرحها احمد باي في شكل مراسلات اخبارية الى الداوي حسين وتتعلق بمشاكل نشاط الشركات الاجنبية في السواحل الشرقية ومشاكل بعض التجاوزات التي قامت بها بعض الشخصيات التي كانت لها مسؤوليات ومناصب هامة بخصوص اختلاسات وسرقة لاموال ضريبية وغيرها....

ومن بينها رسالة من الحاج احمد باي الى الداوي حسين بتاريخ 31 جويلية 1829، (بتاريخ 19 محرم 1244) حول خلاف وقع مع قائد نوبة عنابة المدعو عشمي باشا حول مسالة الخطب المخصص للنوبة<sup>1</sup> وفي رسالة اخرى من الحاج عمار بن طازة المركاني بعنابة الى ابراهيم وكيل الخرج في 8-17 افريل 1826، ( اول رمضان 1241 هـ)، حول ارسال الخشب من عنابة الى الجزائر<sup>2</sup>

ورسالة من احمد خوجة بن فرحات مرابط الكراسته في بجاية الى ابراهيم وكيل الخرج في اوائل ذي القعدة حول ارسال الاخشاب الى الجزائر، ورسالة اخرى من نفس الشخصية الى ابراهيم وكيل الخرج في اواخر محرم حول وصول رسالة وكيل الخرج الى مرابط الكراسته<sup>3</sup>، ورسالة من اغا نوبة بسكرة الى الحاج احمد باي

<sup>1</sup>: ارشيف المكتبة الوطنية بالحامة، المجموعة 1642،

<sup>2</sup>: الارشيف الوطني بالحامة، المجموعة رقم 1903

<sup>3</sup>: ارشيف الوطني بالحامة، المجموعة رقم 1903

الشرق في 2 جوان 1828 (14 ذي الحجة 1243 هـ) حول طلب تنفيذ قوانين تزويد النوبة بالحطب اللازم لاعداد الطعام اليومي<sup>1</sup>

وايضا مراسلات حول صناعة الخبز التي كانت من اهم الحرف خلال العهد العثماني وكان الخبز من اهم الموارد وعنصرا اساسيا في حياة الجنود ولهم نصيب يومي من هذه المادة وكان يخضع لرقابة السلطة فيما يخص كميات التوزيع وحتى جودته وهذا ما نستنتجه من احدى الوثائق وهي رسالة من الحاج احمد باي الى الداى حسين بتاريخ 18-22 جوان 1828 (اوائل ذي القعدة 1243 هـ) حول مراقبة جودة خبز الجنود بنوبة عنابة وحول مواد التمويل التي تعطى للجنود<sup>2</sup>

وايضا تضمنت مراسلات قد تفيد في استنتاج طبيعة النشاط الصناعي وكيفية تسويقه مثل صناعة الملح، ومنها رسالة من الحاج عمار بن طازة المركاني بعنابة الى ابراهيم وكيل الخرج في 17 افريل 1826، (اوائل رمضان 1241 هـ) حول ضرورة التحقيق في مخزن الملح الذي ضاع في عنابة وكان ذلك الملح قد ارسل من الجزائر من اجل المحلة، والاتصال بوكيل الجزائر بتونس لشراء حمولة مركب او مركبين من الملح وارسالها الى الجزائر<sup>3</sup>

اما حول كراء المرسى، فقد اشارت الوثائق الى ذلك ومنها وثيقة عبارة عن سند استلام مبلغ ثمانية الاف ريال من القنصل الفرنسي مقابل استخدام مرسى عنابة في 23 اوت 1824، (اوائل محرم 1240 هـ).

ومن ضمن المصادر الارشيفية الرصيد الارشيفي بالمركز الوطني للارشيف ومن وثائقه خط همايون او دفتر مهام وجدنا انه يمكن ان نستخرج من هذا النوع عدة معلومات في شتى الميادين والمجالات سواء كانت سياسية او اداريه وعسكريه واقتصاديه او اجتماعيه او ثقافيه وقد حاولت تلخيصها في العديد من النقاط كالآتي:

<sup>1</sup> الارشيف الوطني بالحامة، المجموعة رقم 3190

<sup>2</sup>: الارشيف الوطني بالحامة، المجموعة رقم 1642

<sup>3</sup>: ارشيف الوطني بالحامة، المجموعة رقم 1903

اولا المعلومات المتعلقة بطبيعته العلاقات الدبلوماسية والمراسلات الرسمية بين الباب العالي والجزائر مثل فرمان او القرار السلطاني الذي ارسل الى حسين باشا الداى يامر بالغاء القرصنة قطعاً ويقول انها مخالفة للشرع وللقانون وامره بالافلاج عنها وهذا في سياق الحديث عن النزاع مع تونس.

ثانيا رصد الولاة وفترات حكمهم وطرق توليه الحكام والقياده واسمائهم واجراءات التولية. ثالثا الكشف على الوظائف والرتب العسكريه والاداريه وكذا اسماء اصحاب هذه المناصب وسنوات توليهم او عزلهم وحتى اجراءات التعرير او المصادره .

رابعا المعلومات الخاصه بالعملات المتداوله والمعادن التي تصنع منها وضرب النقود والثروات والودائع الخاصه بالخيرينه او السكان كما يمكن الاطلاع على انواع الثروات من نقديه او ماديه . خامسا رصد انواع المحاصيل الزراعيه والانتاج الحيواني كما يمكن تقدير كميات الانتاج اذا قارن بمقدار ضريبه العشر اضافه الى التعرف على انواع المكاييل والموازين وتوزع الاسواق وطريقه سيرها وادارتها وكذا انواع الحرف والمصنوعات.

ارشيف وزارة الحربيه بفانستن بباريس: اعتمدت على وثائق تخص مجال الدراسة خاصه المتعلقة بملفات حول الفتره الاخيره واستعدادات القوات الفرنسيه لاحتلال قسنطينه ومعلومات حول قوات احمد باي والقبائل المحيطه به، خاصه العلب التي تحمل عنوان معلومات حول اقليم قسنطينه، وغزو قسنطينه ووضعيه احمد باي وقواته الخ، وخاصه العلب الآتية:

1H194.1H46.1H146.1H236.1H226.1H228

وهي علب تتضمن في معظمها تلك التقارير العسكريه التي اعتمدها القوات الفرنسيه خلال استعداداتها لغزو قسنطينه وحجم القوات الفرنسيه والعتاد وخاصه قوات الهندسه العسكريه والمشاة وحتى الاعلانات الخاصه بالعمليات العسكريه في جريدة لوموند الفرنسيه، وكذلك تقارير حول الخسائر في صفوف الجيش الفرنسي عند حصارى قسنطينه الاول والثاني 1836 و1837.

أرشيف ما وراء البحار بمدينة ايكس أو بروفانس: اعتمد على عدة وثائق هامة في مجال الدراسة و التي استفدت منها وخاصه العلب الآتية:

F80/1671.F80/1672.F80/1673.F80/1697.F80/441.

وتتضمن هذه العلب تقارير هامة في مجال الدراسة وهي تقارير ومراسلات تخص بايلك الشرق الجزائري في اواخر العهد العثماني من حيث اهمية السواحل الشرقية والامتيازات الفرنسية خاصة تلك الوثائق في شكل دراسات مفصلة حول منطقة القالة والقبائل المحيطة بها ومنطقة عنابة وخرائط هامة حول الحدود التي كانت موجودة قبل الاحتلال و الاعراش والقبائل المحيطة بأبرز الاقاليم، ودراسات حول الاقتصاد والتجارة مثل الموازين والأثقال والعملات المحلية ومقارنتها بعملة الفرنك والتجارة مع تونس واهم الاسواق التي كان يقصدها التجار الجزائريين في تونس في شكل جداول كما تتضمن مراسلات حول قضايا تخص المواين وقضية الحدود البحرية وغيرها.

**الأرشيف الوطني التونسي:** يعد مركزا هاما يقدم خدمة للباحثين بحكم تنوع وثائقه ومن ضمن اهم الوثائق الوثائق المتعلقة بالعلاقات الثنائية الجزائرية التونسية اي بين ايالة تونس وبايلك الشرق الجزائري في العهد العثماني ومنها مجموعة المراسلات بين حكام الجزائر وتونس وقضايا الحدود واغارات الاعراش الحدودية وشكاوي الطرفين حول عبور قبائل حدودية وتجاوزات معينة كما تضمن وثائق توضح الحدود بين الايالتين ووثائق حول الأسواق والعملة والمكايل، والاعراش باسمائها وكذا ملفات هامة حول إحسانات بايات تونس، وقد اعتمدت على المجموعات الآتية:

مراسلات صادرة بين مؤلفين جزائريين موجهة الى باي تونس، الحافظة 223، الملف 384

السلسلة 223، الملف 384: بعنوان: موقعة وادي صراط على عهد حمودة باشا.

الحافظة رقم 223، الملف 384، بعنوان: مكتوب من الحاج احمد باي إلى السيد حسين باشا بتونس في شأن نزاع وقع بين رعايا تونس ورعايا الجزائر

الحافظة رقم 223، الملف 384، بعنوان: مكتوب من الحاج احمد باي لقائد الزعملة ، دون تاريخ

الحافظة 223، الملف 384، بعنوان: حول اغارات الجزائريين على الاعراش الحدودية التونسية

الحافظة رقم 221، الملف 354، بعنوان: مراسلات تتعلق ببعثة احمد قبطان المورالي إلى الاستانة في شان الصلح بين تونس والجزائر.

الأرشيف العثماني باسطنبول: يعد من اكبر المراكز الارشيفية في العالم ونظرا لنفوذ الدولة العثمانية في شمال افريقيا، فهو يوفر للباحث خدمة في مجالات متنوعة خاصة تلك المراسلات الخاصة بإرسال الجنود الانكشارية في الجزائر وتونس وطرابلس، وفرامانات التولية والوساطة وعهود الأمان وغيرها، اما مجال الاستفادة منه في موضوع دراستي فهي الوثائق المتعلقة بالوساطة العثمانية خلال النزاع بين الجزائر وتونس.

#### المصادر: اعتمدت على مصادر متنوعة ومنها:

مقالات المجلة الافريقية: اعتمدت على مقالات المجلة الافريقية لما وفرته من مادة خبرية غزيرة في البحث وخاصة مقالات شارل فيرو التي تتميز بالتنوع وتنوع مواضيعها من سياسية واقتصادية وخاصة الاجتماعية التي تتحدث عن القبائل الشرقية التي تنتمي الى بايلك الشرق الجزائري خاصة وانه كان مترجما عسكريا ومتخصصا في الاثنولوجيا ولهذا تعد مقالاته جد هامة ومن اهمها:

مقال عبارة عن دراسة تاريخية قام بها شارل فيرو حول الأحرار وهي اسرة قبيلة الحنانشة<sup>1</sup> يتحدث فيها عن موقع القبيلة و امتدادها الجغرافيكما تعرضت الدراسة لنفوذ القبائل الكبرى في الشرق ، تحدث عن مكانة القبيلة و علاقتها مع بايات قسنطينة، وبايات تونس، وعملت هذه الأخيرة على تقوية صلة القرابة قسنطينة و بايات تونس و عملت هذه الأخيرة على تقوية صلة القرابة، من خلال المصاهرات مع الأحرار، والوصول معها إلى مفاوضات، بالمقابل كان هناك صراع حاد بين القبيلة ، وبايات تونس استغلت عدم إستقرار حكم هذه الأسرة ، وشنّت عليها حملات عسكرية أدت إلى السيطرة عليها و إخضاعها . وايضا مقال حول اسرة بني جلاب بعنوان ملاحظات تاريخية حول مقاطعة قسنطينة ، بنو جلاب ، سلاطين توقرت، المجلة الإفريقية ، الأعداد 23 و24 و 31 .<sup>2</sup>

<sup>1</sup> L . Charles Ferraud , *Les Harar seigneurs des Hnancha* , V18 , 1874.

<sup>2</sup> :Notes Historiques Sur La Province De Constantine, Les Ben Djellab Sultane De Touggourt, RA.V 23 – 30, 1879 – 1886.

وقد تحدث عن تاريخ الاسرة وعلاقتها ببايات قسنطينة خاصة منذ نهاية القرن 18م، وعن الصراع و العداوة بين أبناء بني جلاب الأربعة ، ثم التفرق فاستقر الأول في تماسين و الثاني في سوف، و الثالث في خنقة سيدي ناجي والرابع في توقرت، وكل منهم حصن نفسه بأنصار ضد الآخر، وكانت هذه العداوة السبب في ضعفهم و بالتالي في تمكن باي قسنطينة في النهاية من التحاليل على شيوخهم وحسب الرواية الشفوية من الشيوخ التي اعتمدها فيرو بهذه المنطقة أن حملة الباي عام 1821م وصلت وادي السوف، وقابلها محمد سلطان ببني جلاب بالولاء ، و دفع إلى الباي ضريبة ذات قيمة كبيرة نقلت إلى قسنطينة .<sup>1</sup>

اضافة الى مقال حول تقسيم المهن و الحرف في قسنطينة قبل الاحتلال وهي ترجمة لمخطوط عربي<sup>2</sup> ، وهي دراسة هامة حول تقسيم المهن والحرف في قسنطينة قبل الاحتلال.

#### كتابات ارنست ميرسييه:

ترك ارنست ميرسييه إنتاجا غزيرا في ميدان الكتابة والتأليف يتمثل في عشرات الكتب والمقالات خلال مسيرته الطويلة باعتباره مترجم في المكتب العربي، وبحكم وظيفته، وكمؤرخ فقد ساهم ذلك في انتاجه الفكري والذي شمل عدة مواضيع ومنها:

كتاب: تاريخ افريقيا الشمالية منذ أقدم العصور الى الغزو الفرنسي سنة 1830م<sup>3</sup>

وهو عرض تاريخي لتاريخ شمال افريقيا وتضمن فصولا خاصة بالعلاقات مع تونس والنزاع خاصة في بدايات القرن 19، وخاصة في الفصل الثلاثون من كتابه : كان بعنوان: اخر الدايات والبايات في الجزائر (1820\_1827)، وقد نضمن أوضاع الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وأهم الأحداث البارزة السياسية ومنها:

<sup>1</sup> - نفس المرجع ص 189.

<sup>2</sup> :L.CHARLES Feraud ;corporations des menties a Constantine avant la conquête française ;V19,a1875,p454

<sup>3</sup>: Ernest Mercier: Histoire de l'Afrique septentrionale depuis les temps les plus reculés jusqu'a conquête française (1830), paris 1888

وصول حسين داي ومحاولته استعادة النفوذ التركي بالجزائر، واحداث الحملات على القبائل الجنوبية، وثورات الجنوب الجزائري مثل ثورة فرحات بن سعيد، والتدخل من قبل الباب العالي لإنهاء الصراع الحدودي الجزائري التونسي، ومشاركة القوى التابعة للخلافة العثمانية في حرب اليونان، ثم نهاية حكم محمود باي تونس وتنازله لابنه حسين، ثم الانتطورات الاخيرة بوصول الحاج أحمد باي الى الحكم بقسنطينة.<sup>1</sup> ثم فصول تتعلق بالحملة الفرنسية على الجزائر (1827\_1830م): وتضمنت أحداث الحملة الفرنسية والاحتلال وتحطيم حصن الباستيون، ثم فرض الحصار على سواحل الجزائر، وسير الحملة الفرنسية على الجزائر، واخيرا كرونولوجية بايات الجزائر وتونس.<sup>2</sup>

كتاب حصاري قسنطينة: وهو كتاب هام يتضمن سير الحملة الفرنسية على قسنطينة والحصار الذي فرض عليها الأول ثم الثاني 1836-1837. صدر الكتاب سنة 1894م<sup>3</sup>

وكتابات هامة خاصة وان مصادرها متنوعة فقد اعتمد على مقالات المجلة الافريقية وعلى الحوليات التونسية في دراسة العلاقات مع تونس وهذا ما نلاحظه في احالة كتابه.

كتاب حول تاريخ الجزائر، للمؤلف هنري ديغرامون وهو مصدر هام بعنوان: تاريخ الجزائر تحت السيطرة التركية، حيث اعتمد على مصادر أولية في معالجة مختلف مضامينه، الذي أصدره سنة 1887م، وهو من أشهر الدراسات التاريخية خلال الاستعمار الفرنسي وقد صحح دي غرامون الاخطاء الواردة في المصادر وقد تضمن اجادئا هامة حزل تاريخ بايلك الشرق في نهاية الفترة العثمانية وفصل في تاريخ العلاقات مع تونس والنزاع خاصة في بدايات القرن التاسع عشر. وخاصة الفصل الرابع والعشرون حول البدايات و لكن كتابه ارباط برسالة اوروبا الحضارية والتفوق الأوروبي على الآخرين، ولم يتمكن من التجرد من هذه الصفة وقد رفض بشكل قاطع الاعتماد على المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية وسواء القضايا الداخلية

---

<sup>1</sup>Ibid , pp 508\_525

<sup>2</sup>Ibid , pp 526\_554

<sup>3</sup>: Ernest Mercier: Les deux sièges de constantine

او العلاقات الخارجية بما فيها العلاقات مع تونس وشكك في نزاهة المصادر المحلية ومصادقتها واهتمها بالتجريد والمبالغة ونادى بالاعتماد على الرحلات الاوروبية وأرشيف الدول الاوروبية والمذكرات ومراسلات القناصل وانطباعات الرهبان والجواسيس، وارشيف الغرفة التجارية، ومنها كتابات ديفونتين حول رحلاته والذي الف سنة 1838، وايضا تقارير القنصل الفرنسي طوماس في ارشيف الغرفة التجارية بمرسيليا وهذه المصادر اشار اليها الكاتب في هوامش كتابه.

كتابات اوجين فايسيت: اعتمدت على كتاباته وخاصة مقالاته في المجلة الافريقية حول تاريخ اخر بايات قسنطينة في اعداد مختلفة، والتي في حقيقتها دراسة كرونولوجية لفترة حكم كل باي نت البايات المتأخرين الذين تولوا البايلك منذ نهاية القرن الثامن عشر الى احمد باي، وكذلك كتابه تاريخ قسنطينة خلال العهد العثماني والذي تضمن مادة خيرية هامة حول ابرز الاجداث.

**المصادر المحلية:** هي كتابات متنوعة اهتمت بتاريخ بايلك الشرق الجزائري وقدمت معلومات مفصلة وهي في الاصل مخطوطات محققة وكان من ابروها كتابات مُحمَّد الصالح العنترى حول تاريخ قسنطينة او ما يعرف بكتاب فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على اوطانها وكتاب مجاعات قسنطينة لنفس المؤلف وبالرغم من انه مصدر الا انه محاولة لعرض اسباب ومظاهر الحالة الاقتصادية والاجتماعية التي عاشها الشرق الجزائري في بدايات القرن 19، وكتاب مذكرات احمد الشرف الزهار وهو مصدر هام تناول فيه احداث هامة تخص الاوضاع الداخلية والعلاقات مع تونس، اضافة الى عدة مصادر اخرى ومراجع هامة في البحث.

اضافة كتابات بعض المؤلفين التونسيين وعلى راسهم ابن ابي الضياف وكتابه اتحاف الزمان في اخبار تونس وعهد الامان، الجزء الثاني، وهو كتاب هام يعكس رؤية مؤلف تونسي تميز بروح النقد التاريخي وعاش الاحداث الاخيرة، وتضمن كتاباته معلومات هامة حول العلاقة بين تونس وبايلك الشرق الجزائري وبرز المطات التاريخية التي تتضمنها الدراسة، اضافة الى كتابات اخرى لمؤلفين تونسيين.

## الفصل الاول:

### التطورات السياسية في بايلك الشرق من 1800-1837

المبحث الاول: التطورات السياسية الداخلية:

المطلب الاول: تطور العلاقة بين السلطة في بايلك الشرق الجزائري مع السلطة المركزية

المطلب الثاني: تطور العلاقة بين السلطة في بايلك الشرق الجزائري وبين الاعراض والقبائل

المطلب الثالث: تطور العلاقات بين القبائل

المطلب الرابع: الصراع على زعامة مؤسسة المشيخة

المطلب الخامس: تطور العلاقة بين السلطة في بايلك الشرق ورجال الطرق الصوفية

المبحث الثاني: التطورات السياسية الخارجية 1800-1837:

المطلب الاول: تطور العلاقات مع تونس:

المطلب الثاني: الصراع مع تونس وحرب 1806

المطلب الثالث: ازدياد التحرشات الاجنبية

المطلب الرابع: احداث الحصارين الاول والثاني على قسنطينة 1836-1837

لا شك ان الباحث في تاريخ بايلك الشرق الجزائري في نهاية العهد العثماني الى الاحتلال الفرنسي يتعرض الى العديد من القضايا والاحداث السياسية الهامة التي اثرت على استمرارية البايك، ودراسة اقليم جغرافي واسع يعد أكبر الاقاليم مساحة وتعداد بشري يتطلب الامام بالمعطيات المؤثرة عليه، ومن ضمن المعطيات التي عرفت تطورات هامة العلاقة بين البايات والسلطة المركزية في اخر فتراتنا والتي تحكمت فيها معايير اعتمدت اساسا على الولاء ومدى التحكم في ادارة الاقليم والسيطرة على القبائل، ومن جهة اخرى ومن ابرز المعطيات الهامة هي دراسة العلاقة بين سلطة البايات والقبائل والتي لم تكن متشابهة في مختلف الفترات واختلفت علاقتها مع السلطة وفق معايير اخرى، كما ان العلاقات بين القبائل ببعضها البعض كانت من ضمن المعطيات البارزة والمؤثرة في الاحداث السياسية الاخيرة خاصة اذا علمنا انها اصبحت طرفا اساسيا في يد السلطة او مؤثرا عليها، وخاصة اذا توفرت معطيات تمثلت في وجود زعامات وقادة مشايخ ساهموا في الاحداث، كما ان الحدود الشرقية خاصة مع تونس والقضايا المرتبطة بها وطبيعة النظام السياسي في تونس والتحولت التي طرأت عليه كانت من ابرز المعطيات المؤثرة على العلاقات وعلى الاحداث السياسية في بايلك الشرق، كما ان نشاط الشركات الاجنبية في سواحل الشرق الجزائري ضمن الامتيازات الاقتصادية، والاحداث والانعكاسات الناتجة عنها من ضمن المعطيات التي ستؤثر على التطورات السياسية، ثم تأثير الاحداث الاخيرة بعد سقوط العاصمة سنة 1830، وسعي الاحتلال للتوسع بعد احتلال عنابة، ثم فرض الحصارين على عاصمة البايك 1836-1837، وتسارع الاحداث الاخيرة، وهذا ما ستعرضه في الفصل الاول من الدراسة التي قسمت الى مبحثين اساسيين الاول خاص بالتطورات السياسية الداخلية والثاني خاص بالتطورات السياسية الخارجية.

## المبحث الاول: التطورات السياسية الداخلية

المطلب الاول: تطور العلاقة بين السلطة في بايلك الشرق الجزائري مع السلطة المركزية

اولا: علاقة البايك بالسلطة المركزية :

إن من ابرز التطورات السياسية الداخلية في المرحلة الاخيرة من العهد العثماني هو ذلك التحول في العلاقة السياسية بين بايات الشرق الجزائري والسلطة المركزية المتمثلة في الداي، ورغم مرحلة الضعف والتقهر التي اعتبرت من اهم مظاهر الحياة في الجزائر حسب رأي العديد من المؤرخين الا ان الدايات استمروا في تعيين البايات الذين ظلوا خاضعين تماما لحكومة الجزائر.<sup>1</sup> وبهذا يتضح أن العلاقة بين الدايات والبايات في مختلف مقاطعات الإيالة كانت علاقة ولاء تتوقف اساسا على مدى القدرة على التحكم في مقاطعتهم وتحقيق استقرار وتجنب الفوضى وتفادي شكاوي العامة التي طالما كانت ترسل الى الداي بخصوص تجاوزات وتصرفات البايات السلبية او ضد ابناءهم، وهي ميزة تلك الفترة ومظهرا للضعف، ولعل اهم التزام اصبح يتحكم في العلاقة بين الطرفين واصبح معيارا اساسيا لتمديد فترة حكم البايات وللاستمرار في المنصب خاصة في نهاية العهد العثماني هو تقديم الهدايا ومدى القدرة على جباية الضرائب والتي اعتمدت اساسا على دور جهاز المحلة.

وفي نظر البعض ان المحلة هي عبارة على نظام حكم متجول، وقد اصبحت اداة من ادوات السلطة السياسية والادارية والعسكرية، وفي عهد الدايات اصبحت تحت تصرف اغا المحلات - المحلة اغاسي - وهو من كبار الوزراء، وقد حددت لها مهام منذ تاريخ 1658م، واصبحت تحت تصرف الانكشارية<sup>2</sup>

وقد اصبحت المحلة بمثابة الحامية العسكرية التي تجوب الارياف من الاجل الحفاظ على الامن وجباية الضرائب وبمخابرة جيش متحرك خلال فترات معينة وترسل قواتها الى البايليكات وبعدها تنتهي مهامها ترجع

<sup>1</sup>:وليم سبنسر : الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زياد، دط، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص85.

<sup>2</sup>: كانت من عوامل القوة وابرز السيطرة

الى دار السلطان، وقد جاء في تقرير الاسير تيدينا ان الداى كان في رصيده 12 الف جندي انكشاري يزود منها باي قسنطينة ب500 رجل و 200 الى باي التيطري و 300 الى باي معسكر ولها خط سير نحو مواطن القبائل، وتساعدتها اكبر القبائل القوية ومنها ابن قانة، ب 900 فرد مشاة و1200 فرد من الفرسان، ولها رحلتان في الشتاء والربيع لجمع الضرائب، وكذلك تعيين الشيوخ ويعرفها البعض على انها حملات فصلية بقيادة البايات نحو الارياف والمناطق الداخلية لجمع الضرائب وتأديب العصاة<sup>1</sup> وقد أصبحت المحلة الوسيلة الثانية بعد الاعوان والموظفين في مهمة جمع الضرائب في الارياف والتي تسمى بالحملة الجبائية<sup>2</sup> وقد كان لمحلة الشرق حملات اخرى استثنائية بعد حدوث الثورات في المناطق المستعصية للقضاء عليها، وهذا ما يمكن استنتاجه من خلال ردود فعل السلطة خلال تلك الحملات التأديبية المتعددة على القبائل.

تتكون المحلة من اغا المحلة وكاهيته إضافة الى اليولداش ومدة الخدمة فيها ستة اشهر، حيث يقضي هولاء المجندون فترتهم في معسكرات على ضفاف وادي الرمال وتعرف بمحلة الشتاء حيث تسير مع شيخ العرب لجمع الضرائب وتعود في الربيع،<sup>3</sup> ويذكر الرحالة بايسونال ان قوات الباى تقدر ب300 من الاتراك المشاة و12 صفره اي حوالي 2500 رجل ويعسكر الباى مع حوالي 600 تركي اي 25 صفره اضافة الى قوات كان يرسلها الديوان وتقدر ب104 صفره ترسل من ستورة وجيجل و 10 صفرات من بلاد القبائل وقبائل الحنانشة، ويعسكر الباى قرب منابع الماء والاثار<sup>4</sup> في منطقة سيقوس وغرب سريانة وكان يرافقها جوق عسكري خاص يبعث الهلع في نفوس السكان حتى اصبحوا يفرون بمجرد سماعها، وكانت المحلة مجهزة وتعتمد في قوتها على القبائل المخزنية القوية وابرزها القبائل الاتية:

<sup>1</sup> ج. او. هابنتسارت، رحلة العالم الالماني الى تونس والجزائر، تر وتقديم سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس 2013،

ص51

<sup>2</sup> توفيق دحماني: الضرائب في العهد العثماني 1792-1865، اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة

الجزائر، 2007-2008، ص221

<sup>3</sup> جميلة معاشي: الاسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ق10-16م، ديوان المطبوعات، قسنطينة 2014، ص81

<sup>4</sup> نفس المرجع، ص82

الزومول والدواير: وهي قبائل محلية تكونت من عناصر محلية متنوعة في الزمالة قرب عين مليلة<sup>1</sup> وكان يقودها قائد الزومول وقد اقتطع لها جزء كبير من الاراضي حوالي 4000 هكتار، وهي قبائل عسكرية عرفت بالدواير ومنها دايرة الخليفة بين 200 فارس بضواحي قسنطينة ودايرة الاغا من 1000 فارس بفتح مزالة بفرجيو<sup>2</sup> وكذلك قبائل الحنانشة التي تجهزها بحوالي 5000 فارس وقبائل الحراكتة العواسي التي تجهزها بحوالي 4000 فارس، وقبائل الذواودة بصحراء قسنطينة التي تجهزها ب5000 فارس، اضافة الى قبائل زواوة التي تعتمد عليها .

وعلى هذا الاساس يمكن القول ان المحلة اصبحت من ابرز العوامل والاسس التي اصبحت تتحكم في العلاقة بين البايات والسلطة المركزية، ومن وسائل السلطة ولهذا كانت تنتقل في شكل جولة سنوية تتبعها عمليات جباية الضرائب وتأديب العصاة وهي تحقق في حد ذاتها التبعية والولاء للسلطة، وأداة أيضا في يد السلطة تجمع بين تصرف الفرقة المحترفة التي تأتي من الجزائر وتكون تحت تصرف الباي وبين الفرق المخازنية التي تساند موكب الباي وتعزز قواته لتحصيل الضرائب<sup>3</sup>، اضافة الى دورها في مراقبة الطرق والدخول في مفاوضات مع القوى المحلية ونشر العملة وتنظيم الاسواق لهدف بسط نفوذ السلطة وابرار مكانتها واثباتها وسيادة الحكم ولهذا اصبحت تتحكم في العلاقة بين الداوي والباي<sup>4</sup>، واذا كانت المحلة تخرج مرتين في السنة فان حصيلتها لم تكن ترتبط بمستوى الجهد العسكري المبذول بقدر ما هي مرتبطة بنوعية العلاقة بين الباي او خليفته او الاغا مع الزعماء المحليين من شيوخ ومرابطين حيث اصبحت يتقاضى هؤلاء حقوقهم من السكان وتقاسم المحاصيل<sup>5</sup>.

ورغم أن المحلة التي اعتبرت من أدوات السلطة إلا أنها قد أثرت سلبا على الاقتصاد ومعيشة سكان الارياف، نظرا لما كان يفرض عليهم من تقديم ضرائب ومؤونة وضيافة وعلف للحيوانات وغيرها، وكل ذلك

<sup>1</sup>: فلة قشاعي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني اواخر العهد العثماني، مذكرة ما حستير في التاريخ الحديث، جامعة

الجزائر 1989-1990، ص 153

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 83

<sup>3</sup> فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة في عهد صالح باي البايات ميديا بوليس للنشر قسنطينة 2005، ص 98

<sup>4</sup> توفيق دحماني: الضرائب في العهد العثماني، المرجع السابق ص 221

<sup>5</sup> نفس المرجع، ص 221

ادى الى ثقل المحلات على السكان خاصة اذا كانت القبائل مستعصية وحتى عملية مرور جنود المحلة عبر اراضيها اصبح يؤدي الى ارتكاب تجاوزات واتلاف لمخاصيل ومواشي وممتلكات<sup>1</sup> كما كان لزاما على سكان القبائل تقديم الهدايا والمبالغ المالية الى الحاميات العسكرية بعد مرورها على اراضيها وهذا ما اشارت اليه بعض الوثائق التي نستنتج منها ثقل المستحقات التي تدفعها القبائل خاصة اذا سارت المحلات اليها فمثلا حسب ما جاء في الوثيقة:

"قايد بسكرة كان يرجع بالفين ريال كل عام وقايد تبسة يرجع بخمسائة ريال واهل تبسة يقدمون القمح والارز والسمن والزيت والشعير كعرامات الى النوبة الحامية التي تتكون من اربعون يولدش واولاد مقران يدفعون عشرة الاف ريال وشيخ فرجيوه يدفع عشرة الاف ريال، وكذلك شيخ الحنانشة وشيخ بلزمة يدفع الفين ريال واذا ذهب له المحلة يدفع اكثر<sup>2</sup>..."،

ومن هنا نستنتج تلك الاثار السلبية للمحلات على القبائل وسكان الارياف وحجم الظلم الذي عاناه سكانها والذي سيكون سببا حقيقيا ادى الى وقوع ثورات في نهاية العهد العثماني اثرت على ضعف نظام الحكم في حد ذاته، وما يمكن استنتاجه من دراسة اهمية المحلات انها اصبحت معيارا يتحكم في العلاقة بين البايات والسلطة المركزية وقد عرف الشرق الجزائري واريافه خاصة في هذه الفترة القيام بالعديد من المحلات والتي اتخذت خاصة شكل الحملات الجبائية والانتقامية على القبائل وهذا ما سنتعرض اليه لاحقا.

اما المعيار الثاني الذي اصبح يتحكم في العلاقة بين الباي والسلطة المركزية هو القدرة على تقديم الدنوش، والتي تعتمد على دفع الضرائب الى الحكم المركزي اي الدنوش الكبرى والدنوش الصغرى<sup>3</sup> وقد كانت نوعان: الدنوش الكبرى والتي يأتي بها البايات إلى الجزائر، كل ثلاث سنوات، أما الدنوش الصغرى فهي التي يقدمها الباي او خليفته ويذهب بها إلى الجزائر مرتين كل سنة<sup>4</sup>

<sup>1</sup> توفيق دحماني: الضرائب في الجزائر 1792-1865، المرجع السابق، ص 391

<sup>2</sup> الوثيقة بعنوان بيان اعراش بيد البايك، AMG ;1h194

<sup>3</sup> حمدان خودة، المرأة، تحقيق مُجد العرب الزبيري، منشورات ANP ص 139

<sup>4</sup> مُجد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر الحميمة، تقديم وتحقيق، مُجد بن عبد

الكريم، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 40.

وفي فترة حكم الداى عثمان باشا 1766-1791، وهي فترة هامة مميزة عرفت خلالها الإيالة بايات أكفاء لهم علاقة مميزة بينهم وبين السلطة المركزية، وهذا راجع إلى سياستهم المرصنة والمستقيمة وخاصة بايات قسنطينة، حيث تظهر طاعتهم في تقديم الدنوش في فصل الصيف كل ثلاث سنوات.<sup>1</sup>

ويظهر هذا الولاء بالتزام باي قسنطينة كل سنة تجاه داى الجزائر بارسال بائة ريال " بيجو " أي حوالي مائة وثمانين ألفا من الفرنكات الفرنسية.<sup>2</sup>

وقد اختلفت مقادير دفع الدنوش بين البايلىكات الثلاث، فحسب الإحصائيات التي قدمها الباحث سعيدوني، فإن دنوش بايلك الشرق كانت في أوائل القرن السابع عشر تقدر بحوالي 120 ألف بوجو على عكس بايلك التيطري 50 ألف ريال وبايلك الغرب 100 ألف ريال، بينما في أواخر القرن 18 قدرت قيمة الدنوش 228 ألف قرش بينما دنوش التيطري بـ 67 ألف قرش أو دولار إسباني بالنسبة لبايلك الشرق و75 ألف قرش بالنسبة لبايلك الغرب و4 آلاف قرش بالنسبة لبايلك التيطري.<sup>3</sup> وهذا الإرتفاع في قيمة الدنوش في بايلك قسنطينة يفسر على اساسا القدرة على التحكم والتسيير من قبل البايات خاصة في الفترة ما بين 1700م-1792م، حيث ساهم ذلك في كسب رضى الداى. اما بعد مقتل صالح باي 1792 وخاصة منذ بداية القرن 19م، تراجعت قيمة الدنوش نظرا للضعف وعدم القدرة على التسيير والتحكم، وخلال عهد احمد باي 1836-1837، اصبحت الدنوش تقدم بانتظام واختلفت المصادر في تقديرها حسب المؤرخ عبد الجليل التميمي، حيث يذكر ان بعض المصادر ذكرت مبلغ 1000 سلطاني في 2 جويلية 1826، دفع الى الداى اي ما يعادل 300 ألف دورو اسباني، وقدرها اندري نوشي بـ 418716 بوجو، اما في تقدير احصاء روسو فما قيمته 155155 بوجو<sup>4</sup>

<sup>1</sup> أحمد توفيق المدني: **مُجد بن عثمان باشا داى الجزائر ( 1756-1791 )**، سيرته، حروبه، اعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للت، الجزائر، 1986، 133.

<sup>2</sup> مُجد بن ميمون الجزائري: **التحفة المرصية المصدر السابق**، ص 41.

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: **الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، ج 4، المؤسسة الوة للكتاب، الجزائر، 1984، ص 31.

<sup>4</sup> ABD JELIL TEMIMI: **le Beylik de constantine et Hadj Ahmed Bey**, Rvue d'histoire magribin, v1, 1978, tunis ; p57.

وكانت عملية تسليم الدنوش تكون في مواعيد محددة، وتتم حسب طرق متعارف عليها خاصة بإيالة الجزائر دون غيرها من الولايات العثمانية.

أما عن مراسيم تقديم الدنوش فأساسها الموكب الكبير الذي ينطلق من عاصمة البايك في اتجاه مدينة الجزائر مع اقراع الطبول، وطلقات البارود<sup>1</sup>، حتى يستقبله الأغات مع قواده والشاوش في بوفاريك، فيتقدم لهم أي الباي وأعيانه الهدايا القيمة من الخيل المسومة والعبيد والكسوة والحياك الفاخرة، ثم ينطلقون باتجاه مدينة الجزائر، ويبدأ الباي في توزيع الدراهم على الناس المصطفة التي جاءت لرؤية هذا الإستعراض والفرجة الكبيرة.<sup>2</sup>

وفي اليوم التالي يسيرون باتجاه الباشا، مع تقديم كبار رجال الدولة وتوزيع النقود يمينا وشمالا في الطرقات، فمن البايات من يرمي النقود الذهبية، ومنهم من يرمي بالفضة وبعدها يحملوا الباي إلى دار الإمارة، ويستقبله الباشا، ومن ثم يقدم له الخزانجي الخلعة ( القفطان )<sup>3</sup>، ويعتبر القفطان رمزا للوقار والشرف يرتديه الباي بعد تجديد العهدة استمرار ولايته من قبل الداوي ويلبسه امام الديوان قبل انصرافه في اليوم الموالي<sup>4</sup> وبعد لبسها يقوم بتقبيل يد الباشا، ويقوم باعطاء هدية الباشا وهي 30 ألف محبوب ذهبيا وبعض المجوهرات... الخ.<sup>5</sup>

وهذه الطقوس الخاصة بالدنوش الكبرى تنتهي في اليوم الثامن من الزيارة ليعود الداوي إلى مقر حكمه في اليوم السابع فيأمر بخادم لكي يطلب من الباي ليتقدم الى سيده الداوي ويرافقه ليجلس معه ويوصيه بأمر

<sup>1</sup> فاطمة الزهراء سيدهم: موارد إيالة الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر، مجلة كان التاريخية العدد 13، دار ناشدي، الكويت، سبتمبر، 2011م، ص25.

<sup>2</sup> أحمد شريف الزهار: مذكرات نقيب أشرف الجزائر (1754-1830م)، تقديم وتعليق احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص36 ص38.

<sup>3</sup> نفسه:

<sup>4</sup> ANOM ;F80 /1672 ,des Mots Coftan ;Gandoura et Kolea

<sup>5</sup> أحمد الشريف الزهار، مذكرات... المصدر السابق، ص40.

تخص الرعية وبيت المال وغيرها من الوصايا، ثم يرسل معه هدية وفي صباح اليوم الثامن يذهب للسلام على الداى ويلبسه الداى الجبة الذهبية ثم يركب فرسه والنوبة تسير من وراءه<sup>1</sup>

وبهذا يكون قد قدم الدنوش للداى الجزائري، ولعل هذا يوضح مدى أهمية الدنوش عندما يقدمها الباى بنفسه، وقد اصبحت الدنوش في نظر البعض عبارة عن ولاء وتزكية نظرا لاهميتها والتي اتخذت طقوس خاصة وأيضاً تبادل الهدايا بين الداى والباى لتستفيد منها حاشية الداى والرعية في دار السلطان، حيث يوزع المال عبر الطريق، ولهذا اصبحت الوظائف السامية تخضع للمنافسة<sup>2</sup>

واصبح الباى يبدل قصارى جهده لارضاء الداى والحصول على تحديد فترة الولاية ولهذا الدنوش اصبحت بيعة وولاية<sup>3</sup> وتعد قيمة الدنوش معيارا أساسيا لتقديم الولاء ولضمان الاستمرارية في الحكم او العزل، وما يلاحظ على نهاية الفترة العثمانية ونظرا لضعف الاقتصاد والحماية فقد قلت قيمة الدنوش وهذا ما تسبب في معظم الاحيان الى العزل وتغيير البايات لضعف دنوشهم، وهي سياسة ميزت فترة نهاية العهد العثماني فقد عزل الباى محمد منماني سنة 1825 لهذا السبب وفي هذا الصدد يذكر صاحب مخطوط اخبار قسنطينة بقوله: "...دنش بغير دراهم، لا قليلا ولا كثيرا..."<sup>4</sup>

ولهذا نستنتج ان الدنوش اصبحت كذلك معيارا اساسيا في فترة الضعف والتقهر واصبحت مجالا للتفاوض بين البايلك ودار السلطان وعلى الباى الطاعة وعليه ان يساهم في انعاش خزينة الداى من اموال البايلك ليوزع في اقليم دار السلطان، وهذه الاجراءات تثير المنافسة بين البايات واصبح الباى له الحق في المال فقط في مقاطعته قبل ان يدخل الى خزينة السلطة،<sup>5</sup> واجبر البايات بتقديم تقارير كل ثلاثة سنوات الى الحكومة الجزائرية، وتسير المواكب الى الجزائر في احتفال وبذخ عظيم وعلى هذا الاساس يستمر او

<sup>1</sup> توفيق دحماني: الضرائب في الجزائر.. المرجع السابق، ص 238

<sup>2</sup> فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي... المرجع السابق، ص 99-100

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 101

<sup>4</sup> مخطوط اخبار بلاد قسنطينة، ورقة 15

<sup>5</sup> فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة في عهد صالح باي... المرجع السابق، ص 102

يتوقف عملهم وسلطانهم وحياتهم ايضا<sup>1</sup> ، ونتج عن ذلك علاقة يشوبها الحذر المتبادل والاحترام المتبادل اي طاعة وطموح اي حكم وسلطان، ونوع الهدايا وقيمتها تحدد كفاءة الباي في مقاطعته ومعيارا لتنحية العديد منهم<sup>2</sup> ، ويذكر شالر في هذا الصدد انه اصبح في كل مقاطعة تفرض عليها ضريبة بمبلغ معين تبعا لقدراتها ووضع الباي المضطرب وضغطه على مقاطعته من اجل جمع الموارد التي تشجع على الاحتفاظ بمنصبه<sup>3</sup> ، وبالتالي اصبح المبلغ الذي يدفعه الباي للخزينة مساويا لمقدار مدخولات الباي وذلك خلال الدنوش الكبرى<sup>4</sup>

واصبح الخلفاء او البايات في بعض الحالات لا يستطيعون تقديمها لعدة أسباب ومنها ثقلها وكثرتها وعدم القدرة على حملها على البغال لمسافات طويلة أو العكس قلتها وضعفها وعدم استيفائها في الوقت المحدد<sup>5</sup>.

وقيمة الاموال التي كان يرسلها الباي كل سنة في إطار ما يسمى بالدنوش قد اثرت ذلك على المداخيل خاصة في ظرف تراجع الاقتصاد منذ السنوات الأولى للقرن 19م، والجدول الاتي يمكن من خلاله استنتاج حجم الاموال المرسلة الى الجزائر والتي لم تكن ترسل فقط الى الداوي بل كانت ترسل أيضا الى كبار الموظفين<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تحقيق عبد القادر زبادية منشورات الجزائر عاصمة الثقافة 2006. ص 45

<sup>2</sup>: فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة في عهد صالح باي.. المرجع نفسه، ص ص 102-103

<sup>3</sup>: وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، المصدر السابق، ص 46

<sup>4</sup>: حمدان خوجة: المرآة، المصدر السابق، ص 138

<sup>5</sup> توفيق دحماني: الضرائب في الجزائر 1792-1865... المرجع السابق، ص 239

<sup>6</sup> ANOM ;F80. 1697

<u>القيمة بالبوجو</u>	<u>المستفيد</u>
40000	الى الباشا
20000	الى الخزناسي
20000	الى الاغا
10000	الى خوجة الخيل
10000	الى وكيل الخرج
6000	الى بيت المال
2000	الى الخازن اي المسؤول المالي
2000	الى باقي العمال الماجورين
3000	الى الكتاب
2000	الى الامناء
15000	الى نساء القصر
3000	الى القاضي

#### ثانيا: التفهقر وفساد سلطة البايات :

لقد اثر ضعف نظام الحكم في ايالة الجزائر في اواخر عهده وانتشار الفساد والعجز عن التسيير وتدخل الانكشارية في الحكم قد اثر سلبا على سلطة البايات في الشرق الجزائري وقد ذهب العديد من المؤرخين الى ان فترة اضطراب السلطة في بايلك الشرق الجزائري وانتشار الفساد في اوساط البايات وابناءهم كانت من اهم التطورات

السياسية في هذه الفترة وكان الفاصل هو نهاية م عهد صالح باي سنة 1992م، حيث عين حسين بوحناك باي في اول سبتمبر 1792 لتبدا فترة الضف والتقهقر.

ان من مظاهر الفساد والضعف والتقهقر السياسي هو انتشار ظاهرة الاغتيال والتصفية في صفوف البايات<sup>1</sup> وتأثير الفوضى الادارية خلال هذه الفترة التي ادت الى انتشار الرشوة وشراء المناصب واستنزاف ثروات الاهالي بسبب تأثير دور المحلة عند جباية الضرائب وفي بعض الاحيان كان تعيين البايات وعزلهم بناء على نزوات الدايات محاولة منهم مصادرة ممتلكاتهم الخاصة<sup>2</sup>

والمتعارف عليه من قبل أن اموال الاشخاص او البايات لم تكن تصادر الا بعد تداول ذلك القرار مع اعضاء الديوان وعند اقرارها يتم بيع ذلك في المزاد العلني، اما عند نهاية العهد العثماني فقد اصبح الحكام يقررون غالبا دون الرجوع الى الديوان ومستشاريه، وهذا ما كان يؤدي الى النهاية المأساوية لهم<sup>3</sup>، واصبحت الدنوش معيارا اساسيا في الاحتفاظ بالبايات او عزلهم بناء على ما قدموه خلال هذه الرحلة الفصلية او طيلة ثلاثة سنوات وتعد بمثابة امتحان حقيقي يجتازه البايات للحفاظ على منصبهم ومحاولة لارضاء الداى بما تم تقديمه من هدايا<sup>4</sup>

وقد كان للدسائس التي كان يجيئها الموظفون السامون واعمال الوشاية وتحريض الداى لقتل البايات خاصة اذا تعارضت المصالح، وهكذا فقد اصبحت بايلك الشرق الجزائري مسرحا حقيقيا للاغتيالات السياسية و التصفيات واعمال القمع والتعسف، وقد اصبحت علاقة الباى بالسلطة المركزية تتجلى في الحصول على فرمان التولية او العزل والاغتيال ، واصبح الداى يعين بعض البايات حسب الظروف التي تقتضيها الاوضاع على مستوى المقاطعة ، وقد اصبح اختيار الباى من المقربين لحكام الجزائر او الذين لهم صلة بهم او الذين تولوا مناصب القيادة،

<sup>1</sup> هذه الظاهرة عامة مست اساسا الدايات وكانت شاملة ومستمرة منذ الوجود العثماني لكنها استفحلت في نهاية العهد

العثماني

<sup>2</sup>: جبور ميلودية: الاغتيال السياسي في نظام الحكم العثماني بالجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث الدولة

والمجتمع، جامعة وهران 2014-2015، ص 162

<sup>3</sup> توفيق دحماني: الضرائب في الجزائر... المرجع السابق، ص 204

<sup>4</sup> فاطمة الزهراء قشي فاطمة، قسنطينة في عهد صالح باي... المرجع السابق، ص 99

او ان يكون من الاصل التركي<sup>1</sup>، كما ان العزل والاغتيال كان رغبة في الحصول على الثروة او جعل المنصب من اقارب الداوي،<sup>2</sup> فاصبحت اموال و ثروات البايات تصادر عند الضرورة ثم اصبحت اكثر انتشارا في اواخر العهد العثماني خاصة بعد ضعف المداخيل الاخرى فكانت اموال البايات المعزولين او المقتولين تصادر وكذلك اموال كبار الشخصيات، ومثال ذلك الباي عصمان باي سنة 1802 الذي كان له ابن ولم ينجو من الموت الا بعد تقديمه لثلاث صناديق ما قيمتها على مقدار من العملة الذهبية وكيسين من الفضة واسلحة متنوعة وقد قدرت تلك الثروة ب16 الف دينار ذهبي كما تم نهب منزله<sup>3</sup>، ضف الى ذلك نشطت مؤامرات كبار الموظفين وخاصة في صفوف الانكشارية التي لعبت دورا كبيرا في ذلك رغم ان هذه الظاهرة كانت منذ بدايات الحكم العثماني، وهكذا فقد تلاشت شروط الشجاعة والكفاءة لتعيين البايات لتترك المجال امام الفوضى ويصبح التعيين مظهرا للفساد.

والملاحظ حول ابرز تطورات هذه الفترة هو اشتداد الصراع بين الداوي والباي اي بين السلطة المركزية وسلطة الباي وانتشار العداوة بين الطرفين، ومن ابرز مظاهر هذا الفساد تعيين الباي الجديد اصبحت تتحكم فيه درجة القرابة مع الباي السابق او مع كبار الموظفين بالجزائر او تعيينه من ضمنهم ، وهذا الاسلوب تحكم ايضا في تعيين حتى الدايات انفسهم والذي انحصر في فلك ضيق بين كبار الموظفين التابعين للداوي ومن نتائج ذلك عدم الاستقرار الذي ساد السلطة وانعكس على البايليكات الثلاث بما فيها بايلك الشرق<sup>4</sup> ولهذا لم يكن الفساد قد شمل جانب معين بل مس كل المجالات، وقد عبر عن ذلك العنتري بقوله: ... كثر ظلم الترك وصاروا يقتلون الناس في داخل البلاد وانحلت الاحكام وتصعب الوطن وضعفت الرعية ووقع الصف بين المخازنية وعظمت بينهم الفتنة...<sup>5</sup>. ويمكن أن نضيف كذلك ان الحكم كاد ان يصبح وراثيا في الجزائر وبالرغم من انه لم يصبح قاعدة مثلما كان في تونس في ظل الاسرة الحسينية ولكن مع ذلك لم يحرم ابناء البايات في الجزائر من اعتلاء

<sup>1</sup>: جبور ميلودية: الاغتيال السياسي... المرجع السابق، ص ص161-162

<sup>2</sup>Laugier De Tassy ;histoire du royaume d'alger...p333

<sup>3</sup> سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4... ص35

<sup>4</sup>. فاطمة الزهراء قشي فاطمة : قسنطينة في عهد صالح باي... المرجع السابق، ص93

<sup>5</sup>. محمد الصالح ابن العنتري: فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على اوطانها، دار هومة

للنشر، الجزائر 2005. ص114

المناصب العليا<sup>1</sup>، ومثال ذلك الباي حسين ابن صالح باي الذي حكم بايلك قسنطينة من 1806 إلى 1807 باعتباره ابن باي سابق، وهكذا لم يكن توارث الحكم قاعدة مؤسساتية إنما كان في السلوك والممارسات التي يمارسها البايات، وكان تسعة من البايات أصلهم أبناء بايات سابقين تولوا إدارة بايلك قسنطينة باستثناء عثمان باي الذي كان أباه مُحمَّد بن عثمان الكبير الذي قاد بايلك الغرب<sup>2</sup>، ضف إلى ذلك أن هذه المناصب قد سيطر عليها الأتراك دون السكان الأصليين.

في بداية القرن التاسع عشر وهي فترة حكم الباي مصطفى الإنجليزي من 1798م-1803م عرفت المنطقة اضطرابات كبرى، فقد قام الباي بتوطيد علاقات هامة مع الفئة البورجوازية الأهلية وهذا ربما يرجع لطبعه الاجتماعي، أما في الاقتصاد فقد أعاد النشاط لحرية التنقل الخاصة بحركة القوافل التجارية الناقلة للبضائع، وعمل على فتح أسواق خاصة بالنسيج والقماش<sup>3</sup> ورغم ذلك لم تكن له غزوات كبرى، فلم يقم بحملات هامة وكان أهمها فقط الحملة التي شنّها ضد قبائل الحنانشة والتي قتل خلالها قائدها وارتكب عساكره العديد من التجاوزات في حق الأهالي<sup>4</sup>.

كما أنه اعتمد على القسوة اتجاه الرعية ومن مظاهر الفساد في عهده أنه قام بتعيين ابنه علي خليفة له وقد استغل هذا الأخير ثروات والده ونفوذه فقام بتجاوزات خطيرة مستعرض العائلات وشرفها، وهذا ما أثار استياء العامة منه وكثرت الشكايات ضده<sup>5</sup>، وعندما عزل والده قام باللجوء إلى تونس مباشرة ليكون أيضاً من ضمن الأسباب التي أدت إلى وقوع النزاع مع تونس فيما بعد سنة 1807<sup>6</sup>، ثم عين الباي عصمان باي 1803-1804م، وقد كان كرغليا، فكانت فترة حكمه ضعيفة لم يقم إلا بغزوة واحدة ضد النمامشة والتي كان هو قائدها وعاد بغنائم كثيرة قيل أنه لم يتحصل أحد من البايات عليها من قبل، وتمثلت في الخيول والجمال

<sup>1</sup>: فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة في عهد صالح باي... المرجع السابق، ص48

<sup>2</sup>: نفس المصدر: ص56

<sup>3</sup>Mouloud GAID; **Chroniques des beys de constantine**, op1978.p50

<sup>4</sup> Ibid,p51

<sup>5</sup>Vayssette Eugenne :**histoire des derniers beys de constantine**, in RA,v3,A1858,p196

<sup>6</sup>Mouloud GAID : **chroniques des beys...**, op cit p151

والماشية وحمولات من القمح والشعير، وغيرها وقام بضمها مباشرة في خزائن البايلك، وبالمقابل حطم قبيلة النمامشة الكبرى والتي لم تعرف بعدها اي صعود، وتميزت هذه الفترة بعدم الاستقرار وكان الجميع ناقما على سلطة الاتراك، حتى صارت العامة من الناس مستعدة لحمل السلاح والدخول في مواجهة ضد سلطة البايات<sup>1</sup>، وهذا ما يفسر البدايات الواسعة للثورات في الجبال الشمالية للبايلك مثل البابور ووادي الزهور والقل وجبال جيجل والميلية ضد السيطرة التركية.

اما عبد الله باي الذي تولى البايلك ما بين شهر نوفمبر 1804م وديسمبر 1806م فقد عرف بالتشدد في جمع الضرائب وقد عزم على فرض النظام بالقوة وقد امر شيوخ القبائل بالحصول على الضرائب وادخالها للخزينة في وقتها وعرف ايضا باخضاع السكان وفرض الطاعة، وفي عهده وقع الصراع والحرب مع تونس وقام الباي بتوجيه حملة تاديبية داخل التراب التونسي سنة 1805م لكنها لم تذهب بعيدا وقام بغزوة في وادي الاصنام ما وراء اولاد يحيى بن طالب وفي نفس الفترة تزامن ذلك مع مشاكل بين الايالة الجزائرية وفرنسا، بسبب رفض البحارة الجزائريين تسريح السفن من جنوة ونابولي فقام نابليون الامبراطور بتوقيف خروج الجزائريين القاطنين بباريس ومصادرة ممتلكاتهم، فرد الداى بتعويض الشركات الفرنسية في القل بالشركات الانجليزية، وهذه الاجراءات كانت قد اضررت بالتجارة لسكان الشرق الجزائري الذين تعودوا على التعامل مع الشركات الفرنسية وقاموا بتقديم شكوى لدى الداى. وقد كتب الباي الى الداى يخبره بالوضع، وازداد غضب الباي فقام بقتله<sup>2</sup>

وتذكر المصادر ايضا ان من اهم اسباب عزله وقتله هو تدخل امراته في الحكم كما عبر عن ذلك العنترى بقوله: '...امراته كانت تشاركه في الحكم وذلك امر قبيح عند العرب والاعجام ولهذا عزله الباي وقتله...'<sup>3</sup>.

اما حسين ولد صالح باي فقد تولى بايلك الشرق ما بين 1806 الى 1807، وكان لا يليق بهذا المنصب حسب المصادر كونه عاجزا عن الامور الادارية والعسكرية ولا يعرف حتى ركوب الخيل ولم يشارك حتى في

<sup>1</sup>ibid,p52

<sup>2</sup>Ernest MERCIER : **histoire de Constantine**,,,,,,,op cit ;p320

<sup>3</sup> : مُجَدِّ الصالح ابن العنترى: فريدة منبسة...المصدر السابق، ص ص93-94

حرب<sup>1</sup>، قال عنه المؤرخ القسنطيني ابن العطار: (...وكان ولدا صغير السن حضريا لا يقدر على الركوب والغزو ولا له معرفة بالحروب وسياسة الملك...)،<sup>2</sup> وخلال الحرب مع تونس لم يستطع حماية جيشه حيث ذكرت المصادر انه قد فر من المعارك تاركا الغنائم للجيش التونسي الذي حاصر قسنطينة شهرا كاملا واستولى على الغنائم بعد فرار حسين ولد صالح باي مما تسبب في غضب الداوي الذي امر بقتله خنقا<sup>3</sup>.

ومن اسباب ومظاهر الفساد ايضا سيطرة المؤسسة العسكرية التي كانت سابقا من ادوات قيام الدولة في عهدها الاول خلال القرن السادس عشر الى ان اصبحت من ادوات التخريب في نهاية العهد العثماني وقد اصبحت بعض الفرق العسكرية تلعب دورا هاما في اوصول البايات الى الحكم وعزل اخرين، وبعضها قام بالتخريب والسرقه وهذا حسب تعبير فايسيت عند حديثه عن فترة حكم الباوي علي بن يوسف الذي تولى البايلك من 1807 الى 1808،<sup>4</sup> ورغم انه هذا الباوي كان يتميز بالشجاعة والاحترام وقدرته على تولي البايلك الا ان الفتنة ادت الى قتله والتي تسبب فيها احمد شاوش القبائلي الذي قاد ثورة ضده وقام بتحرير الجند عليه حيث اقدم المتآمرون على تنفيذ مؤامرتهم داخل مسجد سوق الغزل وحدثت فتنة حقيقية في المدينة بعد اعلان احمد شاوش القبائلي نفسه بايا على قسنطينة، ولكن مدة حكمه لم تتجاوز الخمسة عشر يوما، خبت امر الداوي اعيان المدينة بمخاطبة اهل المدينة وتحرير الجند لقتل احمد شاوش القبائلي مقابل العفو عن الجنود،<sup>5</sup> وتقول المصادر انه كان عازما على الثورة على الداوي نفسه احمد باشا لكي يتولى هو مكانه عندما اراد السير بعساكره الى الجزائر<sup>6</sup>، و بعد ذلك عين مكانه الباوي احمد طوبال الذي تولى البايلك من 1808 الى 1811م الا انه قد قام باهمال شؤون الرعية واشتغل باللهو ويقال انه قد ترك تسيير الحكم لصفه، مما تسبب في قتله<sup>7</sup>، وبعد ذلك عين مُجَّد

<sup>1</sup> ابن مبارك ابن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق رايخ بونار، ش و ن ت، الجزائر 1981 ص 118

<sup>2</sup> نفسه

<sup>3</sup> Vayssettes .E : **histoire des derniers beys de Constantine**, in

RA, V 3, A1858. p124, , , ,

<sup>4</sup> Ibid , p125

<sup>5</sup> ابن مبارك ابن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، المصدر السابق، ص 148-149

<sup>6</sup> نفسه، ص 149

<sup>7</sup> انظر : مُجَّد الصالح ابن العنتري، فريدة منبسة...، المصدر السابق ص 102

نعمان باي 1811م-1814م، ورغم استقرار الاوضاع في عهده لكنه قتل بسبب الخلاف الذين دار بينه وبين الباشا اغا العرب وهو عمر اغا الذي كانت له علاقة جيدة مع الداوي<sup>1</sup>، وقد سعى هذا الاخير لهلاكه وتحريض الداوي عليه حتى قتل سنة 1814م<sup>2</sup>، وذلك من خلال مؤامرة حقيقة كان الباشا اغا من وراءها.

اما مُحَمَّد شاکر باي الذي تولى البايلك من 1814م الى 1818م فقد كان من مقربي الباشا اغا عمر وهذا هو سبب توليته وقد قال العنتري في هذا الصدد: "... كانت محبة ومصادقة بينه وبين باشا اغا المتولي امور العرب بوطن الجزائر فتسببت في ترجيعه...!"<sup>3</sup>، وهذه التطورات السلبية بدأت خاصة منذ وفاة صالح باي حيث اصبح الولاء والتقرب هو سبب التولية وليست الخصال الحميدة كالشجاعة وغيرها حيث اضاف العنتري قائلاً: "... لكن زمان صالح باي وما بعده وقع الصف فالذي يكون له صاحب متوصل عند الباشا يسعى لصاحبه حتى يرجعه لاجل المعاملة والمودة..."<sup>4</sup>، كما ذكر حمدان خوجة ان منصب الباوي اصبح يمنح لاشخاص بلا مروءة ولا كفاءة<sup>5</sup> كما كان الانتقام ايضا من مظاهر الفساد حيث عرف عهد هذا الباوي شاکر باي بالقسوة وكان يكره العرب كثيرا وانتقم من موظفي الباوي السابق جيث كتب الى ديوانه قائلاً: "... عندما تتلقون اوامري هذه القوا القبض على كاتبكم سي احمد بن السياح واخيه الطيب قائد عزيز البقر واختهما عائشة وكل اقرباهم لانهم من الخدم السابقين لنعمان باي..."<sup>6</sup>، ويذكر انه وعند قدومه الى قسنطينة في يومه الاول امر بسمل اعين المسمى ابن هني قائد خدم اسطبلات الباوي ثم امر برمييه من اعلى رواق القصر الى الفناء، وبعد عشرة ايام قام بشنق ابن عزوز اغا الزواوة السابق وكان له ثمانية اطفال صغار، وحسب فايسيت كان هذا الباوي يحمل حقدا كبيرا على الضعفاء ولم يستعمل السلطة الا لنهب مرؤوسيه وقيل انه كان لا يمر يوما الا وقطع ما بين 15 الى 20 راسا من الاشخاص فشبهت تصرفاته هذه بالنمر المتوحش من كثرة القساوة حيث وصفه

<sup>1</sup> نفس المصدر، ص103

<sup>2</sup> Vayssettes. E : **histoire de Constantine** ,op cit, pp512-518

<sup>3</sup> . مُحَمَّد الصالح العنتري: فريدة منيصة... المصدر السابق، ص105

<sup>4</sup> . نفسه

<sup>5</sup> . حمدان خوجة: المرأة، المصدر السابق، ص130

<sup>6</sup> : اوجين فايسيت، تاريخ بايات قسنطينة، ترجمة صالح نور، دار قرطبة للنشر 2009. ص166

فايسيت قائلاً: "... نمر اطلق عليه الصياد رصاصة ولم تصبه جيداً فاصبح نائراً هائجاً..."<sup>1</sup>، وقد استأنف احكام الاعدام حتى خارج اسوار المدينة وعند غزواته العديدة والتي فاقت المائة غزوة كان يرتكب الجرائم فكان يتوقف في كل مكان ويقوم بشق بطن رجل ويتركه هكذا تحليداً لذكرى مروره بذلك المكان حتى قيل انه كان يسأل شاوشه قائلاً: "...يا سليمان انه نجرى لم يتناول طعام الغداء اليوم... ثم يخاطب شاوشه الاول قائلاً: ان سيفك يا اسماعيل كذلك لم يتعدى فيجيبانه: انتم تعلمون ذلك يا سلطان، فيجيب: اجل اني اعلم ذلك وانا شاكر سلطانكم وابوكم لا اترك هذا اليوم يمر دون ان اطعم سيوفكم فلاحم العرب يكون طعامها فيجيب الجميع: بارك الله فيك..."<sup>2</sup>، كما استمرت اعماله القمعية داخل المدينة ومست حتى اعضاء مخزنه فكان من الضحايا عمار بن الحملاوي قائد الجبيري الغربي وعائلة ابن السايح التي صودرت اموالها وقتل شيخها محمد ونفس المصير تلقاه الباشا كاتب محمد المكّي بن الساسي وكان ابن الساسي رحلاً مسناً متفقها وله معرفة في القضاء ولم تمنعه خصائله من تعسف البايع حتى قتل من شدة التعذيب، ونفس المصير لقيه الشيخ احمد العشي القاضي الحنفي الذي مات مخنوقاً وصودرت امواله واضطر اولاده الى الفرار<sup>3</sup> اما سبب مقتل البايع وصول الداوي حسين سنة 1818م، في مكان الداوي عمر باشا، حيث امر الداوي حسين البايع بمعاينة كبار الاتراك في قسنطينة لكنه بقي حائراً واجتمع مع اعيان المدينة الذين شككوا في قوله فقرروا القضاء عليه، حيث تقدم العساكر اليه وقتل مخنوقاً سنة 1223هـ - 1818م<sup>4</sup>، اما قارة مصطفى الذي تولى البايك في جانفي 1818م ولم تدم فترته الى شهراً واحداً، حتى اتت الاوامر لقتله، وتذكر المصادر انه قد قرب اليه النساء واليهود وشربه للخمر واعتقاله لبعض اعضاء الديوان، ونظراً لسوء تسييره هذا وتجاوزاته وفراغ الخزينة في عهده حتى قام الداوي بقتله يوم الاثنين 7 ربيع الاول 1233هـ - 1818م<sup>5</sup>

<sup>1</sup> نفس المصدر، ص 168-169

<sup>2</sup> نفس المصدر، ص 171

<sup>3</sup> نفس المصدر، ص 179

<sup>4</sup> . محمد الصالح ابن العتري، فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 108

<sup>5</sup> Vayssettes. E : **histoire des derniers beys de constantine**, in

RA, V6, 1862, p207

كما ان بعض البايات عزلوا بسبب عجزهم عن ادارة شؤون اقاليمهم وخاصة انهم لم يتمكنوا من توفير الاموال اللازمة لتقديم الدنوش الى الداى بالجزائر، واصبح لزاما على الباى اثبات قدراته وفق ما يدفعه من دنوش لكسب تايد الداى اضافة الى الحفاظ على استقرار الاقاليم التابعة له ولهذا عادة يكون عزل الباى او اغتياله في فترة تقديم الدنوش<sup>1</sup> وهذا ما جرى للباى ابراهيم باى الغربى 1820-1821م، الذي لم يتمكن من توفير الاموال اللازمة للدنوش كما كانت له خصوم بمجلس ديوان الاوجاق الذين اثروا على الداى حسين فقام بعزله<sup>2</sup> وعين مكانه احمد باى المملوك مرة ثانية 1820-1822م، نظرا لعلاقة الصداقة التي كانت تجمعها مع الباشا اغا، رغم انه الباى الوحيد الذي حكم مرتين وهذا يعود الى تلك العلاقة التي تعد من اهم اسباب تعيين البايات واعتلاءهم المناصب السامية على حد قول العنتري: "...وهو صاحبه وحببه باقى يسعى عند الباشا حتى رجعه مرة ثانية..."<sup>3</sup>، وقد تم عزله وهو في طريقه لتقديم الدنوش الى الداى"<sup>4</sup>

اما ابراهيم باى الكريتلى الذي عين من شهر جوان 1822م الى شهر ديسمبر 1824م، وقد كان صهرا للباى السابق بن قارة علي، ومن قدماء الاتراك في قسنطينة والذي كان قايدا على الحراكتة حين تلقى فرمان التولية وقد تم استقباله استقبالا حافلا من قبل الاعيان والنبلاء وكبار العساكر لانه كان عسكريا وترى بقسنطينة، وعندما جدد مخزنه وقرب اليه جميع الفئات قام بتعيين ابنه اسماعيل قايدا للعواسي لدى الحراكتة في جويلية 1822م، وهو المنصب الذي كان يتقلده الباى نفسه،<sup>5</sup> وهذا هو سبب عزله ونفيه الى المدية<sup>6</sup>، ثم عين مكانه الباى مُحَمَّد منماني من شهر ديسمبر 1824م الى شهر جويلية 1826م، وتقول

---

<sup>1</sup> ابن عودة المزارى: طلع السعود في اخبار وهؤان والجزائر واسبانيا، تحقيق يحيى بوعزيز، دار العرب الاسلامي 2013، ص 274

<sup>2</sup>Mouloud GAID : **Chroniques des beys ...**, op cit, p

<sup>3</sup> مُحَمَّد الصالح ابن العنتري: فريدة منيسية... المصدر السابق، ص 112

<sup>4</sup>Mouloud GAID, **Chroniques des beys...**, op cit, p83.

<sup>5</sup>Vayssettes E : **histoire des derniers beys de constantine ;in RA**

v7A1860 ;p114

<sup>6</sup>ibid, p115

الروايات انه كان من متقاعدي الانكشارية وخلال تقاعده كان يشغل منصب بسيط هو قايد جلد الغنم وقايد الشعير، ولم يصدق نفسه عندما عين بايا على قسنطينة، وكان الباي الجديد عاجزا ولم يكن مؤهلا لذلك ويتكلم بصعوبة اللغة العربية ولم يكن يرغب في الكراغلة ولا الاهالي رغم انه عاش بقسنطينة طويلا، ولم يكن مهتما بالامور السياسية والادارية تماما ولم يستطع ادارة الحملات العسكرية في اقاليمه، ولم يكن يرغب في تقديم الدنوش بنفسه الى الداى نظرا لعجزه، ولكن الداى اصر ان يقدمها الباى بنفسه، وتاكد الداى بانه غير مؤهل تماما للحكم اضافة الى الاضطرابات المستمرة في اقاليمه والعائدات الضعيفة للجباية في عهده، وتحجج بانه غير قادر وقلة الطاعة في عهده... الخ، وبعدها سمح له الداى بالاقامة لمدة ثمانية ايام في الجزائر عند ذهابه لتقديم الدنوش، وفي طريق عودته تم توقيفه وعزله ليتم تعيين الحاج احمد باى في جويلية 1826م<sup>1</sup>

## المطلب الثاني: تطور العلاقة بين السلطة في بايلك الشرق الجزائري وبين الاعراش والقبائل

### اولا- تطور العلاقة بين سلطة البايات والقبائل:

لقد انقسم البايلىك الى قبائل كبرى تدعى الهنشور وهي تنقسم بدورها الى قبائل تحت مسؤوليتها القائد الذي يعينه الباى<sup>2</sup> وتنقسم القبائل الى اوطان ودواوير وعندما تكون مجتمعة تسمى الفرقة<sup>3</sup> والفرقة الى دوائر والدوائر الى عائلات او خيام ، وقد تكونت خلال الفترة العثمانية نماذج من الاتحادات القبلية تنزعمها أسر متنفذة تتمتع بنوع من الإستقلال الذاتى<sup>4</sup>، ومصالح هذه العائلات المشتركة تناقش في مجلس الجماعة حيث تكون اسر شبه ارستقراطية لها قادتها الكبار واهم شخص فيها يكون زعيم الفرقة<sup>5</sup>

<sup>1</sup> . مخطوط اخبار بلد قسنطينة، المصدر السابق، ورقة 15

<sup>2</sup>F80 1673 ;la Calle

<sup>3</sup>DUMAS.E : **Moeur et coutumes de l'algerie**, T el-Kabylie- Sahara, édition Hachet, Paris 1853 ;p10

<sup>4</sup> محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي، ط01 مكتبة دار الشرق، بيروت، بيروت، لبنان، 1969م، ص75.

<sup>5</sup>DUMAS.E : **Moeur**, op cit, p11

ولهذا كانت السلطة العثمانية تفرض سلطتها على القوى المحلية الفاعلة كالزعامات القبلية، وجعلت السلطة الفعلية في أيدي هذه القبائل ومنحت لقاوتها الإمتيازات المادية، واصبحت هذه القبائل وسيلة لإخضاع سكان الأرياف و إستخلاص الضرائب ، وبذلك فإن العلاقة بين سلطة البايات والقوى المحلية القبلية كان أساسها المصلحة المشتركة<sup>1</sup>. وكان من مصلحة البايات الابقاء على المشيخات المستقلة في الإقليم، وتذكر المصادر ان السلطة في بايلك الشرق قد قسمت بين ثلاثة أطراف، فثلث السلطة لشيخ العرب، والثلث الأخر للحنانشة والثلث الأخير للأتراك وهو الإتفاق الذي سمح لهم بالإستقرار في قسنطينة<sup>2</sup>.

لقد اصبحت العلاقة بين سلطة البايك والقبائل والاعراش تتركز على الولاءات او العداوات تجاه للسلطة، ومعيار قوة الشيخ هو مدى قدرته على حشد جميع القبائل الواقعة في محيطه، وتجهيز الفرسان وتشير الوثائق مثلا ان شيخ بوعكاز كان يستطيع ان يجند حوال 400 فارس وشيخ اولاد بن عز الدين يستطيع ان يجند حوالي 200 فارس وتستطيع القبائل الحدرية بالشمال القسنطيني بكاملها ان تجند مجموع 55940 فارس<sup>3</sup> وغالبا ما كانت القبائل الحدودية التي لها نفوذ قد تميزت علاقاتها مع السلطة تارة بالتحالف وتارة بالعداء<sup>4</sup>، وفي عهد احمد باي استطاع تكوين جيش من الزواوة والقبائل التابعة له وجيش من فرسان الصبايحية المدعم من بن قانة، وفي الجنوب سمح للشيخ بتكوين محلات متنقلة بهدف اخضاع القبائل المتمردة في اي وقت والتي كانت ترغب في التخلص من السلطة<sup>5</sup>.

**أ-علاقات التحالف:** لقد عملت السلطة العثمانية على تقسيم سكان الارياف الى قبائل المخزن الموالية لسلطتها والتي منحت لها امتيازات جمع الضرائب وتامين الطرق، وقبائل تحالفة من اسر اقطاعية لها نفوذ

<sup>1</sup> عقاد سعاد : الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر 1519-1830م، دارالسلطان أمودجا، مذكرة

ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2013-2014م، ص 47.

<sup>2</sup> :Chrales Feraud :Les Ahrars Seigneurs de Hnancha,RA 18 ,1873pp 200.

<sup>3</sup>ANOM ;F80 /441

<sup>4</sup> - جميلة معاشي: الإنكشارية والمجتمععبايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني،رسالة دكتورته في التاريخ الحديث،جامعة قسنطينة2007-2008. ص100.

<sup>5</sup>Mouloud GAID ;Chroniques des Brys, p97

اقترب من السلطة كالمقراني وبن قانة وبوعكاز، ولاخضاع هذه القبائل عملت السلطة على كسب شيوخ القبائل عن طريق الامتيازات والهدايا والمصاهرات.

ان قوة القبائل في نظر السلطة تكمن في عدد افرادها الذي يتراوح ما بين 500 الى 40 الف شخص ومهما اختلف عددهم فهم يحتفظون بالوحدة السياسية والادارية وتعتبر القبيلة عنصر سياسي واداري في الحكومة<sup>1</sup>.

لقد كانت علاقة التحالف بين السلطة والقبائل تركز اساسها على المصلحة المشتركة وكسب قوة القبيلة، خاصة بهدف الحفاظ على النفوذ سواء داخل اقاليم البايك او خارجه حيث يتعدى ذلك الى داخل تونس ففي سنة 1735م تدخلت الجزائر إلى جانب علي باشا في تونس ضد عمه الحسين بن علي خلال الصراع السياسي بتونس بحجة إمتناع هذا الأخير عن دفع الضريبة للجزائر وعدم تعاونها معها لإسترجاع وهران التي أخضعها الإسبان مرة أخرى سنة 1732م، بل أيد حسين بن علي الإسبان في السيطرة على وهران<sup>2</sup>، وقد شارك الشرق الجزائري بقوات عسكرية قدرها 4 الاف جندي<sup>3</sup>، حيث دعم فيها شيخ الحنانشة بوعزيز حاكم قسنطينة بقواته العسكرية<sup>4</sup>.

واستمرت قبيلة الحنانشة في التدخل العسكري ودعم البايات كما تدخلت الحنانشة خلال حملاتها العسكرية من أجل تنصيب أبناء الحسين على عرش أبيهم، ولهذا كانت سلطة القبائل الجزائرية قد ثبتت

---

<sup>1</sup>DUMAS.E : **Mœurs et coutumes de l'akgerie** ;Paris librairie Hachette1953;p9

<sup>2</sup>كوثر العايب: **العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات 1711-1830م**، مذكرة ماجستير في التاريخ

الحديث والمعاصر، إشراف مُجّد السعيد عقيب، جامعة الوادي 2013-2014م، ص 33، 34.

<sup>3</sup>: مُجّد باشا ابن الأمير عبدالقادر: **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر**، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903م، ج1، ص71.

<sup>4</sup>: كوثر العايب: **العلاقات الجزائرية التونسية**، المرجع السابق ص 33، 34.

نظام الحكم بتونس وهذه القوة التي امتلكتها قبيلة الحنانشة ترجع الى كونها قد سيطرت على كل الجهة الشرقية لبابليك الشرق حيث سيطرت على السهول العليا وحتى الجهة الغربية لتونس<sup>1</sup>.

اما من ابرز التطورات في بدايات القرن التاسع عشر فقد كان السعي لكسب قوة القبائل فخلال عهد الباي مصطفى انجليز سنة 1803م، عمل على كسب ولاء القبائل بتقسيم المناصب على اسرتين هامتين بالجنوب اي الزاب فقام بتعيين اسرة بن قانة على الحضر واسرة بوعكاز على البدو وكان الهدف هو تحقيق نوع من التوازن<sup>2</sup>، كما عمل البايات على كسب نحالف مع القبائل فقد شاركت القبائل الحدودية في الحملات التي كان يقوم بها البايات على الحدود كما تحالفت قبائل الحنانشة مع الباي أحمد المملوك (1233هـ-1818م) الذي قام بحملة على القبائل الحدودية شرق البابليك بمشاركة شيخ أحرار الحنانشة ضد عرش أولاد بوغانم الذي كان يتبع أحيانا بابليك قسنطينة وأحيانا أخرى الأيالة التونسية وإمتد الى منطقة الكاف، وألحقت بهذا العرش خسائر كبيرة في قطعان الماشية ونهب الأموال والسلاح<sup>3</sup>.

كما شاركت الحنانشة في غارة أخرى مع باي قسنطينة على قبائل الفراشيش التونسية<sup>4</sup>، وعلى حد قول شيوخ القبائل الغربية التونسية في تقريرهم أن الباي هاجمهم ثلاث مرات، في حين هاجمهم شيخ الحنانشة أربعة مرات وشيخ الحراكنة مرتين فقط<sup>5</sup>.

اما في عهد الحاج احمد باي فقد عمل على التوسيع من تحالفاته مع القبائل فقد تحالف مع فروع المقراني بمجانة رغم استمرار الحروب بين باقي فروعها والسلطة العثمانية، وقد اصبح الشيوخ يتقربون من كل باي

---

<sup>1</sup>R S A C(recueil 49 );p145

<sup>2</sup>:حز الله مُجدّ العربي:منطقة الزاب مائة سنة من المقاومة، دار السبيل للنشر الجزائر 2009، ص 90

<sup>3</sup> للمزيد انظر

L.Charles Feraud :**Les Ahrars Seigneurs de Hnancha** , op cit ;pp202-203

<sup>4</sup> الارشيف الوطني التونسي. الحافظة 384 الملف مراسلات خاصة باغارات القبائل الحدودية

<sup>5</sup> الارشيف الوطني التونسي

جديد برسال الهدايا الثمينة ويعترفون مبكرا بحكمه مقابل الوعود بالمساعدة ضد منافسيهم من الشيوخ<sup>1</sup>، واستمر ذلك الى بدايات الاحتلال الفرنسي للمنطقة.

**ب-علاقات المصاهرة بين السلطنة والقبائل:** لقد كانت المصاهرات وسيلة هامة للسلطة بهدف التقرب من الاسر والعائلات والقبائل القوية وقد اطلق عليها المصاهرات السياسية ويمكن تفسير علاقات المصاهرة بين بايات قسنطينة والاسر الكبرى بالبحث عن تعزيز القوة والنفوذ وزيادة الدعم المادي والعسكري لتحقيق أهداف الطرفين المتحالفين ويبرز ذلك خلال الحملات العسكرية المشتركة، فقد سعى صالح باي لمصاهرة شيخ احرار الحناشنة إبراهيم بن بوعزيز بن نصر، غير أن هذا الأخير رفض مما أثار غضب الباي الذي قام بغزو القبيلة عدة مرات والقبض على شيخها وسجنه في قسنطينة حتى مات وذلك سنة 1186هـ-1773م<sup>2</sup>.

وفي عهد احمد باي 1826-1837عرفت المصاهرات تطورا هاما وكانت بالنسبة إليه عاملا لتقوية نفوذه وزيادة قوته العسكرية، والتقرب من القبائل باعتبارها قوى محلية كبرى، ويرجع البعض أن اهداف الباي كانت تعزيز القوة العسكرية<sup>3</sup>، وقد جاء في تقرير "روسو" سنة 1840م، أن الحاج أحمد باي كانت له زوجة تدعى الحناشنة أم ابنه محمد الذي بلغ من العمر 15 سنة عند الإحتلال الفرنسي لقسنطينة سنة 1837م<sup>4</sup>، وورد في موضع آخر أن أحمد باي تزوج فاطمة بنت بوغرارة من قبيلة الحناشنة التي لها نفوذ عسكري وسياسي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>Ernest MERCIER ;**Les deux sièges de constantine**,p06

<sup>2</sup> جميلة معاشي: الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 119. أنظر أيضا Ch.Feraud **les AHRAR** Op. cit. p357

<sup>3</sup> بوعزة بوضرساية: الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم(1826-1848م)رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1990-1991م. ص104. أنظر العنزي المصدر السابق، ص32.

<sup>4</sup> جميلة معاشي: أسرة احرار الحناشنة بين بايات قسنطينة وبايات تونس،المجلة التاريخية المغاربية،ع128، 2007ص155.

<sup>5</sup> بوعزة بوضرساية: الحاج أحمد باي المرجع السابق، ص49.

ومن جهة اخرى وبالمقابل كان هدف هذه الاسر والقبائل كسب تأييد سلطة الانكشارية ولهذا عملت على مصاهرة أفراد الإنكشارية وهو ما أشارت إليه أيضا سجلات المحاكم الشرعية بقسنطينة حيث جاء في بعض وثائقها ما يلي: " طلق ابن الشريف الإنكشاري عائشة بنت الشيخ العابد شيخ الحنانشة، كان ثمن الصداق...100ريال في ربيع الأول 1243هـ-1827"، ونفس المطلقة قد تزوجت بعد بضعة أشهر من إنكشاري آخر وهو ما نص عليه عقد سجل في جمادى الأولى 1244هـ-1826م: " تزوج محمد بن عثمان الإنكشاري بأمة الله عائشة بنت الشيخ العابد بنت الشيخ العابد شيخ الحنانشة كان ثمن الصداق 100ريال..."<sup>1</sup>، وبما أن قبائل زواوة تعد من أكثر القبائل المعارضة للسلطة العثمانية طيلة العهد العثماني، فقد لجأ الحكام إلى ما يعرف بالزواج السياسي لضمان طاعتها فقد كانت خاضعة لنفوذ أسر دينية قوية، وفي البداية كان خير الدين بربروس هو أول حاكم صاهر أسرة ابن القاضي، كما قام ابنه حسن باشا هو الآخر بمصاهرة الأسرة نفسها، كما تزوج علي بتشين الرايس الشهير الذي كان في منزلة الحاكم إحدى بنات إمارة كوكو.<sup>2</sup>

كما أن الباي محمد نعمان سنة 1808م، قد صاهر الحاج بن عاشور وفق عقد جاء نصه كما يلي: "تزوج على بركة الله المعظم الهمام الأنفع سيدنا محمد نعمان باي أيده الله ونصره بأمة الله الحرة الجليلة جليبية بنت المرحوم بكرم الحي القيوم الحاج بن عاشور المالكة أمر نفسها على صداق قدره ألفين ريال (2000) وقفطانان... زوجها المكرم الأجل القايد عنبر قائد دار حرم السيد الباي المذكور..."<sup>3</sup>.

اما أسرة المقراني فقد جمعها علاقات مع السلطة خاصة في نهاية القرن 18م، فقد كان صالح رايس يرغب في تدوير كل الامارات المحلية لكنه لم يوفق، وسعى احمد باي فيما بعد بتوطيد علاقاته معها وذلك من خلال زواجه من عيشوش ابنة الحاج محمد عبد السلام العايب المقراني، ومع ذلك حدثت مشاكل مع هذه الاسرة فقد اعتقل صهره ولكنه اضطر الى التعاون مع الجيش الفرنسي وقد سجنه احمد باي في سجن

<sup>1</sup> جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 119-120.

<sup>2</sup> لزغم فوزية: المرجع السابق، ص 478.

<sup>3</sup> جميلة معاشي: الانكشارية والمجتمع...، المرجع السابق، ص ص 112، 113.

الكردية الى غاية الاحتلال<sup>1</sup>، وولدت هذه المشاكل روح الانتقام وتعرض احمد باي لمحاولة تمرد من اسرتها بعد عودته من العاصمة بعد سقوطها سنة 1830<sup>2</sup>.

ونفس السياسة اعتمدها الباي حسن بوحناك قبله الذي صاهر الأسرتين: ابن قانة والمقراني وكان لهذه المصاهرة الأثر الكبير في وصوله لحكم قسنطينة، وهو ما أشار إليه ابن العطار بقوله: "بعث الباشا إلى حسن باي وكساه الخلعة وولاه على قسنطينة، فخرج مسرعاً، وكان بينه وبين المقارنة صهر، وبينه وبين شيخ العرب (ابن قانة) كذلك..."<sup>3</sup>

### ج-علاقة العداة والحملات العسكرية على القبائل والاعراش:

لقد كانت الحملات الانتقامية ضد القبائل مظهراً لعلاقات العداة بين السلطة وبين القبائل خاصة المستعصية منها والتي لا تعترف في اغلب الاحيان بالسلطة العثمانية.

إن من ابرز التطورات السياسية التي ميزت بدايات القرن التاسع عشر والتي كانت نتيجة ومظهراً لتعسف وقمع السلطة العثمانية وعجزها عن إيجاد حلول لمشاكلها الداخلية هي اشتداد تلك الحملات التي كان يقوم بها الباياء على القبائل في أقاليم حكمهم وما تبعها من عمليات قمع وتخريب، ويفسر البعض كثرة تلك الحملات برغبة الباياء في تأكيد سيطرتهم وتحكمهم في هذه الاقليم التي تكون ضمن نطاق حكمهم، وتأكيد الشرعية السياسية وكسب رضا الداي من جهة أخرى<sup>4</sup>، ولضمان الاستمرار في حكم بايلك قسنطينة، وما يميز هذه الحملات أنها استمرت الى غاية سقوط عاصمة البايلك سنة 1837م، و تطور هذه الحملات واشتدادها خلال هذه الفترة كان يعكس سياسة الباياء تجاه سكان الريف والقبائل خاصة القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب وكانت هذه الحملات في شكل المحلات التي كانت تنطلق من

<sup>1</sup> .فركوس محمد الصالح: ادارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 330-331

:العياش رواجي: الادارة الاستعمارية وعلاقتها بالعائلات الكبرى في مقاطعة قسنطينة 1837-1871، رسالة دكتوراه

<sup>2</sup> في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2014-2015، ص 43.

<sup>3</sup> :الحاج احمد بن مبارك ابن العطار: تاريخ بلد قسنطينة، المصدر السابق، ص 131.

<sup>4</sup> :فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة في عهد صالح باي، المرخ السابق، ص 97

مركز البايليكات والتي تتكون من قوة تركية وفرسان الحرب التي تقدر ما بين خمسة الاف و عشرة الاف فارس في كل محلة اضافة الى القوة التركية التي وصلت الى حوالي 1500 فارس موزعين على حوالي ستون خيمة في بايلك الشرق وحده خلال اواخر العهد العثماني<sup>1</sup>

وقد اصبح لهذه المحلات مهام هامة تتمثل اساسا في استخلاص الضرائب وتنقسم الى قسمين، القسم الاول تكون المحلة تحت قيادة الباي بنفسه والتي تدير نحو التل والهضاب اما القسم الثاني منها فتكون المحلة تحت قيادة خليفة الباي والتي تدير الى غاية ساحل البحر وتعدادها حوالي 500 رجل<sup>2</sup> اما الهدف من وراء ذلك هو توسيع نطاق النفوذ والتوسع واخضاع المناطق الصحراوية، و ما يميز بدايات القرن التاسع عشر هو اشتداد هذه الحملات واتساع نطاقها ولعل ذلك يرجع الى الرغبة في تأكيد قوة السلطة كما قلنا سابقا. وقد كان لها اثر كبير في اضعاف البايك وخاصة ضد القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب التي تعرضت لحمولات قاسية وكانت الحملات تترك وراءها الخراب والدمار وتعود في اغلب الاحيان بغنائم كثيرة حتى ان النظام الاجتماعي لبعض القبائل كاد ان ينهار نتيجة لهذه الحملات والتي افقدت القبائل ثروتها.

لقد كانت القبائل الشرقية والجنوب شرقية للبايلك التابعة لاسرة الحنانشة والحراكتة في ثورات دائمة ضد السلطة<sup>3</sup>، وفي عهد الباي الحاج مصطفى إنجليز<sup>4</sup> باي الذي حكم من 1798-1803م عرفت المنطقة الشرقية وخاصة القبائل الحدودية حملات عسكرية انتقامية فقد قام هذا الباي بحملة عسكرية ضد أسرة الحنانشة بمساعدة قبائل أولاد سيدي يحيى بن طالب بزعامة شيخهم يونس، أين تمكنوا من قتل شيخ الحنانشة أحمد بن بوعزيز وأخاه وأرسلوا رؤوسهم إلى قسنطينة<sup>5</sup>، وفي سنة 1804م قامت الحنانشة بتمرد

<sup>1</sup> - سعيدي، المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص36

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص37

<sup>3</sup> Ernest MERCIER, **Les deux sièges de Constantine**, op cit p6

<sup>4</sup> كان لهذا الباي دور كبير في مساعدة الباي التونسي حمودة باشا في نزاعه مع الجزائر، انظر

.Vayessette. E :**Histoire des derniers Beys de Constantine**, Op.

Cit,p195 .

<sup>5</sup> - Ernest Mercier :**histoire de Constantine**, op cit ;p307

آخر ضد السلطة العثمانية<sup>1</sup> ، وهذه القبائل كانت دوما في صراع مع السلطة، وقد خلف عثمان ابنه الماحي الذي لم تكن علاقته بالأتراك أحسن من أبيه، حيث ساعد التونسيين عندما حاصروا قسنطينة بضعة أشهر والتي أنهت بمعركة واد صرات سنة 1807م<sup>2</sup>. غير أن هذه السياسة المتشددة للباي تجاه القبيلة لم يمنعها من العدول عن طبيعتها وإجبارها على الطاعة، وقد ثارت مرة أخرى سنة 1823م، وبقيت القبيلة متمردة على السلطة إلى غاية الاحتلال الفرنسي<sup>3</sup>.

و في عهد الحاج أحمد باي آخر بابا قسنطينة (1826-1837م<sup>4</sup>) قام بتعيين الرزقي الحناشي شيخا على الحناشنة بدلا من الشيخ الحسناوي الذي كان يتآمر عليه<sup>5</sup>، وبعث برسائل عديدة إلى حسين باشا بالجزائر يخبره عن طبيعة الحملات التي كان عليه توجيهها ضد متمردى الحناشنة الذين هددوه بالمغادرة إلى تونس إذا أبقى الرزقي على رئاسة المشيخة و في تاريخ 27-29 فبراير 1827م قام بمهاجمتهم في جبل فرينا ، وأخذ منهم 1300 رأس من الثيران و 1400 رأس من الأغنام و 130 رأس من الخيول أو البغال، ويذكر أيضا أن الرزقي كان لا يغادر محيمه، بينما جمع الحاج مبارك جميع مؤيديه على ضفاف واد صبرات لمقاومته.

كما يشير في رسالة أخرى أنه قد هاجم مرة أخرى الحناشنة و النمامشة وحاصر قبائلها إلى الجنوب من جبل مُجَّد ، وأخذ منهم 38 سجينًا وقطع رأسهم ، كما صادر منهم 21600 رأس من الماشية و 585 رأس من الإبل و 35 رأس من الخيول<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العثماني، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، 2012، ص287.

<sup>2</sup> ابن أبي الضياف: اتحاف الزمان في اخبار ملوك تونس وعهد الامان، ج3، الدار العربية للكتاب، تونس1999. ص42.

<sup>3</sup> - حصام صورية: العلاقات الجزائرية التونسية... المرجع السابق، ص92.

<sup>4</sup> - مُجَّد الصالح بن العنتري: فريدة منيسة، المصدر السابق، ص 90.

<sup>5</sup> - فارس العيد: علاقات الجزائريين بالمغرب الأقصى وتونس 148-1930م، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث

والمعاصر، جامعة وهران، 2016-2017م. ص145.

<sup>6</sup> :L.Charles Féraud **les Harar ... Op. Cit**,p365.

و بعد ذلك بيومين قام بغارة جديدة ، أخذت 1200 رأس من الثيران و13 ألف رأس من الماشية. كما قام بإخبار الباشا بتاريخ 21 سبتمبر 1828 ، ليبلغه بأنه قد اغار مرة أخرى على الحنانشة التي رفضت الخضوع حيث اغار عليهم بالقرب من فرينا و أخذ منهم 3000 رأس من الثيران ، و 3200 رأس من الأغنام ، و 77 رأس من الخيول و اسر 52 شخصا وقام بقطع رؤوسهم وارسالها إلى قسنطينة لعرضها في الساحة العامة. كل هذه الفظائع الناتجة عن هذه الحملات القاتلة التي دمرت البلاد وأخلت من سكانها ، لم يكن لديها أي هدف آخر سوى إجبار الحنانشة على قبول الرزقي كقائد وهو الذي فرضه الباي و رفضه جميع السكان المنطقة<sup>1</sup>.

ومن الحملات العسكرية القاسية ايضا تلك الحملة التي قام بها مصطفى انجليز ضد قبائل أولاد علي يحيي بن طالب الذين قاموا بثورة ضد الاتراك، والتي أدت الى مقتل شيخهم ميهوب بن سلطان وقد قاد الثورة ضده منصور بن الرزقي، فقام الباي بالسير بحملة مع قائد الدايرة الاغا بلقاسم العكي<sup>2</sup> لكنه قتل ثم تولى مكانه عمار بن شريف لكنه هزم وخسر العديد من رجاله، ثم بعد ذلك أمر الباي أولاد يحيي بن طالب وسلطهم على قبائل الحنانشة فقتلوا شيخ الحنانشة احمد بن بوعزيز وأخوه<sup>3</sup>، اما منصور بن الرزقي فقد تم توقيفه واطلق صراحه قيما بعد<sup>4</sup>.

ومن الحملات العسكرية في بدايات القرن التاسع عشر الحملة ضد قبائل النمامشة، والتي قادها عصمان باي سنة 1804، وقد قام هذا الباي بمصادرة حيواناتهم من اغنام وابقار وأحصنة وجمال<sup>5</sup>، كما تعرضت النمامشة أيضا لحملة شاکر باي سنة 1818م، وكانت الحملة على اولاد سيدي عبيد حيث قام الباي بمصادرة ثروتهم الحيوانية لكن الظروف المناخية من ثلوج ورياح حالت دون نقلها فترك هذه

---

<sup>1</sup> - Ibid. pp365,366.

<sup>2</sup>Ernest MERCIER : **histoire se constantine**,op cit ,p308

<sup>3</sup>Vayssettes .E : **histoire des derniers beys**, op-cit,pp463-464

<sup>4</sup>Ernest MERCIER, **histoire de Constantine** ;op cit ;p308

<sup>5</sup>ibid ;pp470-479.

القطعان<sup>1</sup>، ولكن قبائل النمامشة استطاعت المقاومة وقاما افرادها بمهاجمة قوات الباي وقتلوا عددا كبيرا من قواته وهاجموا حتى معسكره إلى أن تراجع وترك موطنهم وقام بإطلاق صراح أسراهم دون أن يحقق أي انتصار عليهم<sup>2</sup>، كما تعرضت النمامشة أيضا لحملة من قبل الباي ابراهيم الكريتلي الذي حكم ما بين 1821-1824م، وقام بمعاقتهم على التمرد ورفضهم دفع الضرائب<sup>3</sup>، وقد ذكرت المصادر انه استولى على حوالي 40 الف من رؤوس الاغنام<sup>4</sup>.

ومن الحملات العسكرية أيضا الحملة ضد قبائل بوسعادة وأولاد ماضي وبالرغم من ان هذه القبائل كانت تابعة لبابيلك التيطري، الا انها كانت ملزمة بدفع الضرائب لبابيلك قسنطينة، وقد كانت تتردد على سهول قسنطينة وأسواقها<sup>5</sup>، ومن اهم الحملات التي تعرضت لها كانت حملة سنة 1814م، بسبب تهديدهم تهديدهم لبابيلك التيطري، وكان ذلك في عهد الباي مُجَّد نعمان الذي حكم ما بين 1811-1814م، حيث قام بالحملة ضدهم لكن الثلوج الكثيفة والرياح حالت دون تحقيق نجاح فاستقرت قواته في المسيلة دون أن يحقق اي انتصارا<sup>6</sup>

ومن الحملات أيضا تلك الحملات ضد القبائل الثائرة في منطقة القبائل عبر المنطقة الساحلية التي انتشرت فيها فكرة الثورة من وادي الساحل حيث هاجم فريق منهم قسنطينة في نهاية 1813، مدعين من مرابطين من فروع سيدي بتيقة والذين ينتمون الى المقرانيين حيث خسروا حوالي 150 رجلا ثم وصلوا للحضنة قرب برج بوعرييج ووصل نعمان باي إلى الحضنة إلى اولاد ماضي حيث تتمركز فرسان قبائل فليسة<sup>7</sup>، ثم الحملة ضد أولاد بورنان وأولاد مقران بمجانة في عهد الباي مُجَّد شاكر 1814-1818م، وقد عرف هذا الباي بقساوته وحملاته الكثيرة التي فاقت المائة حملة، وكان دائما يأخذ طريق الجبال وعند

<sup>1</sup>ibid,p540

<sup>2</sup>ibid,p546

<sup>3</sup>. مُجَّد الصالح العنتري: فريدة منيسة، المصدر السابق هامش 2، ص113

<sup>4</sup> L.Charles Féraud :Oulad Sidi Abid ;RA v P

<sup>5</sup>أوجين فايسيت: تاريخ بايات قسنطينة، المصدر السابق، ص26

<sup>6</sup>Ernest MERCIER : **histoire de constantine**,pp512-516

<sup>7</sup>ibid ;p339

عبوره فرجيوة قام بمطاردة مقورة بن عاشور، الذي كان في ثورة مستمرة ثم هاجم المقرانيين قرب برج بوعريبيج واستقر في سيدي بتيقة حيث واجه تحالف ثلاثة فرق مقرانية استطاع خلالها احضاع فرقة اولاد الحاج ثم آخذت فرقة بن عبد الله لقب شيخ مجانة<sup>1</sup>، وفي عهده أيضا وفي منطقة الحضنة التي قامت بعدة ثورات حيث قام فرع من فروع بني قندوز المقرانية بالاتحاد مع اولاد الحاج وكان الهدف دعم القبيلة الكبيرة لاولاد ماضي في نهاية 1816م فقام الباي بحملة ضدهم لكن الحملة كانت شتاء حيث فقد خيماته وعتاده نتيجة للظروف المناخية القاسية ورجع لقسنطينة<sup>2</sup>، وعرفت فترة احمد باي فيما بعد تمرد قبائل محيطية بسطيف التي حرضت من قبل مجموعة من الانكشارية قدموا من زمورة والبرج والمسيلة للهجوم على قسنطينة وقام احمد باي بمحاربتهم وملاحقة الباي السابق ابراهيم باي رفقة مجموعة الانكشارية الذين اتجهوا الى عنابة وعندما انتصر عليهم احمد باي توجهوا الى بسكرة<sup>3</sup>

كما عرفت قبائل وادي الكبير بجيجل حملات عسكرية لانها كانت ضمن القبائل المستعصية على السلطة وهي قبائل نائرة عليها، وتعرضت لاعمال قمع وعنف من قبل السلطة، ففي عهد الباي احمد باي قام سنة 1827م بمنح ما قيمته 30ريال اي ما يعادل 60فرنك لكل فارس من فرسان المخزن مقابل استظهار احد رؤوس افراد من قبيلة اولاد عبد النور وما قيمته 10ريالات اي 20فرنك لكل من يغنم من تلك القبائل بندقية والاحتفاظ بما حصده<sup>4</sup>

اما الصحراء والمناطق الجنوبية فقد عرفت ايضا تطورات هامة حيث كانت عرضة لحملات انتقامية من قبل البايات بهدف بسط النفوذ في المناطق الجنوبية وخاصة منطقة الزيبان التي كانت من اكبر المناطق في بايلك قسنطينة وكانت تمتد قبائلها وحدودها الى المسيلة غربا مع جبل الاوراس ومن الجنوب تحدد بالواحات الواقعة ببسكرة على الطريق المؤدية إلى وواد سوف. وقد وصف حمدان خوجة مدى اتساع

<sup>1</sup>Ibid,p343

<sup>2</sup>Ibid ,p346

<sup>3</sup>Mouloud GAID : **Chroniques**, op cit,p98

<sup>4</sup>-. سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص38

نطاق هذه القبائل بقوله: " يوجد في وسط الصحراء بعض المدن مثل بسكرة ميزاب، الغواط، وغيرها....." انهم يخضعون لإدارة المشايخ أو شيوخ العرب وهم أسرة بوعكاز الدواودة.<sup>1</sup>

تعرضت منطقة الزاب لغزوات البايات منذ عهد صالح باي الذي عمل من قبل على محاولة الدخول الى مناطق الزيبان أربعة مرات، ففي المرة الأولى أرسل مُجَّد الملقب بشيخ العرب ابن الحاج بن قانة إلى بسكرة لكن سرعان ما تم رده من الصحراء من طرف الدواودة، فاستمرت قبائل الصحراء تحت سلطتهم.<sup>2</sup> فإضطر ابن قانة إلى الفرار إلى جبل أحمد خدو تاركا السلطة بيد أصحابها الشرعيين، فعمل صالح باي على التقرب من أسرة بوعكاز من جديد والإعتراف بمشيخها على العرب، فتم الاتفاق بين صالح باي والشيخ مُجَّد الذباح، وساعده بذلك هذا التقرب في الاجتماع مع الشيخ النباح و مُجَّد بن قانة وقسم المنطقة بين الطرفين، وجعل إقامة بن قانة في بسكرة و مُجَّد الذباح بمنطقة سيدي خالد ويمتد نفوذها في واد سوف، وبهذا نجح في الوصول إلى مبتغاه وهو تثبيت أسرة بن قانة في الزيبان وعمل على مهاجمة توقرت والسعي للقضاء على بني جلاب.<sup>3</sup>

ورغم ان المنطقة قد استعصت على البايات من قبل لكنها عرفت خلال بدايات القرن التاسع عشر حملة هامة قادها مُجَّد باي الميلي 1818-1819م، كانت ضد سكان اولاد جلال وهي قرية تابعة للزاب، بسبب ثورتهم التي تزعمها ذباح بن بوعكاز، لكن الحملة فشلت في بدايتها بسبب قوة الثورة وكثرة المدافعين عن القرية فتكبد الباي خسائر كبيرة ومع ذلك ارتكب اعمال شنيعة حيث قتل قائد النوبة وسي الطاهر الزموري خليفة قائد الدار وسليمان بن دالي باش سيار واغا الدايرة وقام بنهب الاموال.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، ص45.

<sup>2</sup> مُجَّد الطاهر بن دومة : أخبار وأيام وادي الربيع، تحقيق مُجَّد الحاكم بن عون، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص علم المخطوط العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010م-2011م، ص103-104.

<sup>3</sup> عن هذه الاعراض انظر Charles Marie , **Répertoire alphabétique des tribus et douar de l'Algérie, département de Constantine, Alger, 1879, p. 72**.

<sup>4</sup> ibid , p355

اما منطقة وادي ريغ الممتدة قبائلها من توقرت الى سوف فقد أولت لها السلطة العثمانية أهمية بالغة وكانت علاقتها مع السلطة علاقة العبد بالسيد والمتمثلة في التزام إمارة بني جلاب بدفع الضرائب في اطار الولاء وتعرضت للعديد من الحملات التأديبية<sup>1</sup>، بسبب الامتناع عن دفع الضرائب في عدة مرات، وبعد فشل حملات صالح باي في نهاية القرن الثامن عشر بسبب تحالف القبائل الصحراوية وتراجع قواته استمرت الحملات خلال القرن التاسع عشر ومنها حملات ففي سنة 1818م، والتي ترجع اسبابها الى دور الشيخ فرحات الذي قام بتشجيع الباي احمد المملوك على الحملة بعدما عين على راس قيادة مشيخة العرب بعد التخلص من عمه الذباح القائد الحقيقي للمشيخة، وكانت أكثر قسوة مما دفع بسليمان توقرت محمد بن جلاب الى المسارعة لارضاء الباي وتقديم ضريبة سنوية تقدر ب 100 الف ريال بسيطة<sup>2</sup>، وفي عهد احمد باي المملوك في فترة حكمه الثانية 1820 - 1822م، قام باخضاع بني جلاب وقرر الزحف نحوها خلال صيف 1821 م، وحاصر المنطقة وقام بقطع النخيل لكن الشيخ الذباح الذي كان متحالفا مع محمد بن جلاب فقد استسلم وتعهد بدفع مبلغ 100 الف ريال بسيطة<sup>3</sup>

وكانت هذه الحملة سببا لعزله من قبل الداوي حسين لانه لم يامر به عندما استشاره في ذلك، وقام بنفيه سنة 1820م، حيث ذكر العنتري في هذا الصدد: "...واما السبب في انقضاء ولايته انه عزم على المشي الى وطن الصحراء لاكتساب منفعة فاستاذن من الباشا بالجزائر في ذلك فلم ياذن بل نهاه عن المشي هناك، وكان من عادة البايات لا يمشون الى الصحراء الا بمشورة واذن من عند الباشوات، فلما رجع من سفره وافاه زمان دنوشه فحين وصل الى الجزائر عاقبه الباشا وعزله وعفى عن قتله...<sup>4</sup> وكان من نتائج هذه الحملة الاستيلاء على ما قيمته 10000 ريال بسيطة، وقطع 200 نخلة<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - هذه الحملات بدأت منذ عهد صالح رايس سنة 1552م بسبب امتناعها عن دفع الضرائب، وفي عهد صالح باي سنة 1788 عرفا حملات عدة في عهد سلطانها فرحات لن عمر الجلابي لنفس الاسباب واستمرت في عهد احمد باي، انظر: رضوان شاطو: العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والامارات الصحراوية في الجزائر-امارة بني جلاب بوادي ريف انمودجا-، مجلة القرطاس، ع2015، صص 150-151

<sup>2</sup>L.Charles Féraud ;**Le Sahara de Constantine**, in RA v ;1887 ,P80

<sup>3</sup>ibid,p360

<sup>4</sup>كان ذلك في 1237هـ-1822م، انظر العنتري: فريدة منيسة...المصدر السابق، صص 112-113

ومن ضمن العوامل التي ادت الى اشتداد الحملات على الجنوب تاثير النظام الضريبي في اواخر العهد العثماني، بحيث عمدت الحكومة على فرض رسوم الاسواق والتي كانت تدفع نقدا او عينا من البضاعة المسوقة، ومثال على ذلك فرضت ضريبة تسمى الحصة او الغلة تدفعها القبائل الصحراوية التي تنتقل الى الشمال مقابل دخولها السوق ، وهذه الرسوم وسيلة لاستخلاص الضرائب خاصة من قبل المناطق البعيدة على نفوذ البايلك<sup>2</sup>، كما كانت تقوم السلطة بمعاينة كل قبيلة تقوم بالتبادل التجاري خارج الاسواق التي تقوم بتشجيعها ، فقد تعرضت عدة مناطق جنوبية الى مهاجمة فرسان المخزن سنة 1825م بسبب مقايضة هذه القبائل لإنتاجها مع القبائل الصحراوية المعادية للبايلك<sup>3</sup>.

الحملة على الاوراس: لقد كانت الاوراس عرضة للعديد من الحملات الانتقامية من السلطة ولعل من الاسباب هي كثرة الاضطرابات والثورات في تلك المنطقة اي الجنوب القسنطيني، وتأثير دور الزوايا والطرق الصوفية بالمنطقة والتي كانت ملجأ للهاربين من السلطة ومن العقاب والقتل وفيها حق الحصانة وقد كانت ايضا ملجأ حتى لبعض البايات في فترات الاضطراب مثل احمد طوبال سنة 1807م الذي لجأ اليها وابراهيم باي الغربي الذي لجأ اليها ايضا سنة 1818<sup>4</sup>.

تعرضت الاوراس لحملات في عهد الباي الحاج احمد باي، وقد اصدر الباي سنة 1251هـ-1835م حكما يقضي بقطع اليد اليمنى لستين رجلا من فرقة اولاد سعيد بالاوراس وارسالها الى قسنطينة بعد غزو اراضيهم واسرهم<sup>5</sup>، كما شن حملة على قبائل اولاد سلطان بالاوراس وارتكب الجنود اعمال قمعية<sup>6</sup>.

---

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني: *وضعية عشائر المخزن الاجتماعية*، المجلة التاريخية المغربية، العدد 7-8، 1877، تونس، ص75

<sup>2</sup> . كمال بن صحراوي: *اوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري اواخر العهد العثماني*، اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 201-2013، ص ص 223-224

<sup>3</sup> . ناصر الدين سعيدوني: *تاريخ الجزائر في العهد العثماني*، المرجع السابق، ص 200

<sup>4</sup> L.Charles Feraud : *oulad sidi abid,RA v13* ,

<sup>5</sup> . الامير بوعدادة: *المؤسسات في الجزائر خلال العهد العثماني...* المرجع السابق، ص101

<sup>6</sup> محمد الصالح ابن العنتري، *فريدة منيسية...*، ص115

## المطلب الثالث-تطور العلاقات بين القبائل:

### اولا: علاقات التقارب والتحالف بين قبائل البايلك:

ان من ابرز التطورات السياسية التي عرفها بايلك الشرق تطور علاقة التحالفات الكبرى خاصة بين القبائل بهدف كسب النفوذ والدفاع عن نفسها ، وبالمقابل كان من اكثر مخاوف البايات على سلطتهم هو التقارب بين شيوخ القبائل الكبرى ، وفي هذا السياق يذكر مُجدد بن مبارك الميللي بأنه لو أن قبائل أولاد سيدي الشيخ وشيوخ عمور وأولاد مختار والمقراني وبيت بوعكاز وشيخ الحنانشة وحدوا كلمتهم لاستطاعوا بسهولة أن يتخلصوا من الحكم التركي وقيموا حكما جزائريا أصيلا<sup>1</sup>.

وهذا نظرا لقوة القبائل فقد تمتعت قبيلة الحنانشة بالقوة العسكرية وعمل شيوخها على التقارب مع العديد من القبائل الأخرى بالبايلك لخدمة مصالحها وتعزيز سيطرتها ونفوذها أكثر، وقد كان شيخ الحنانشة يدير 16 قبيلة كلها موالية وحليفة له وتدعمه بقواتها<sup>2</sup>، اما شيخ فرجية فكان يدير العديد من القبائل التابعة له والتي يمكنها تجهيز العديد من الفرسان كقوة عسكرية<sup>3</sup>

وقد سيطرت بعض القبائل على طول المجال الممتد من قسنطينة إلى الحدود التونسية وعقدت أسيرة أحرار الحنانشة تحالفا قويا من عدة قبائل مسيطرة مثل عامر الشراقة، واد الزناتي، أولاد يحيى بن طالب مما زاد من قوتها<sup>4</sup>.

و يذكر الرحالة بايسونال أن شيوخ القبائل كانوا يستطيعون تجهيز أربعة إلى خمسة آلاف فارس مجهزين أحسن تجهيز وعدد من المشاة، ومن هؤلاء بوعزيز قائد الحنانشة والحاج إبراهيم شيخ قرفة وعمار بن

<sup>1</sup> - مبارك بن مُجدد الهلالي الميللي; تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ، مكتبة النهضة، الجزائر، 1964م، ج3، ص293.

<sup>2</sup> أحمد سيساوي:البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية،رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة قسنطينة2013-2014، ص134.

<sup>3</sup> AOM ;F80 /441

<sup>4</sup> جميلة معاشي: الإنكشارية والمجتمع...، المرجع السابق، ص297.

سلطان قائد أولاد يحيى بن طالب وكان جميع هؤلاء الشيوخ متحالفين فيما بينهم ويعتبرون أنفسهم مستقلين عن السلطة المركزية<sup>1</sup>، وهو ما أكده فيرو حيث ذكر بأن النمامشة والحنانشة والحراكتة وأولاد سيدي يحيى بن طالب كانوا يشكلون مع مجموعة من القبائل الجزائرية والتونسية حلفا واحدا يسمى حلف الحنانشة<sup>2</sup>.

ولهذا فإن سلطة البايلك لم تتمكن من السيطرة الكاملة لان القبائل كانت في حالة استنفار للحرب و تنظم باستمرار الثورات ضد الحكم التركي<sup>3</sup>. حيث سجل الزباني هذه الملاحظة بقوله: "...وخير ما مررنا به من الجزائر إلى قسنطينة من المدن فكله خراب... وذلك بسبب قيام الثورات المحلية على النظام التركي..."<sup>4</sup>.

وقد امتدت التحالفات الى الجنوب حيث شاركت قبيلة الحنانشة عن طريق الشيخ بوعزيز في الصراع بين سلاطين بني جلاب حكام توقرت، إذ إتصل به الشيخ أحمد بن إبراهيم لمساعدته في إسترجاع حكم توقرت من أبناء أخيه مقابل 5 آلاف ريال و200 جمل و4 آلاف حايك و600 حمولة تمر، فقبل الشيخ بوعزيز و سار بقواته نحو الصحراء، إلا أن عمر بن عبدالقادر حاكم توقرت إتصل بالشيخ بوعزيز وأغراه بأكثر من ذلك، فتحول الشيخ بوعزيز لمساندة هذا الأخير و بذلك كان الإنتصار لحاكم توقرت الذي حكم من 1739-1756م<sup>5</sup>، ومنذ تلك الفترة استمر الصراع خاصة خلال بدايات القرن 19م، الى عاية الاحتلال الفرنسي.

---

<sup>1</sup>Payssonal et Desfontaines : **voyage dans les regances des tunisie et d'alger**, Paris Bertrand 1833, p 292.

<sup>2</sup>حصام صورية : **العلاقات بين أياي الجزائر وتونس خلال القرن 18م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد المجيد بن نعيمة، جامعة وهران، 2012-2013م، ص 167.

<sup>3</sup> مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، المرجع السابق، ص 298.

<sup>4</sup> مولاي بلحميسي الجزائري من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م. ص 40

<sup>5</sup> جميلة معاشي. **الأسر المحلية الحاكمة...**، المرجع السابق، ص 323، 324.

لقد تميزت علاقة الاعراش ببعضها البعض بالتنافس والتناحر في اغلب الاحيان وربما هذا يرجع الى التركيبة القبلية لها ولسياسة السلطة العثمانية المعروفة بسياسة فرق تسد، ومن جانب اخر سعى بعضها الى تشكيل تحالفات قبلية لتكوين قوة عسكرية مدافعة عن نفسها ، ولم يكن لها طموح في السلطة في العهد العثماني، ومن هذه الاعراش الهامة التي تصارعت فيما بينها صف الغرابة الذي تكون من أولاد زيان وتارة وتاغوست وبوزينة و الفضالة وبعض الفرق من بني فرح ومشونش في الاوراس الذي كان في صراع مستمر مع صف أولاد عبدي المشكل من أهالي الرحا من أولاد عبدي و الأرباع وبعض الأسر من المعافة وأولاد عزوز وبني بوسليمان وأولاد ملول و أولاد خيار من أجل حيازة الأراضي التي أخلتها قبائل النمامشة عندما تحولت إلى الهضاب الواقعة إلى الشرق.

العشائر المتنازعة على سهول تارة وضعة و المؤلفة من أهالي تارة في الشرق وأولاد داود في الشمال وأولاد عبدي في الوسط.

الصفوف المتنافسة على حيازة سهول المدينة وتاحمامات و المشكلة من أولاد " التواتة " وبني بوسليمان و الوجانة وأولاد عبدي و أولاد زيان<sup>1</sup>، وعرش بني مهنة الذي يقع في سكيكدة ويحتل المنطقة الساحلية الممتدة من شرق قرية القل ، وبمساعدة " صالح باي " توسع نحو الشرق وطردهوا عرش عرب سكيكدة من مصب واد الصفصاف ودخلوا في خدمة البايات قسنطينة الى الاحتلال الفرنسي<sup>2</sup> اما القبائل والاعراش المحيطة بالقالة والتي تربطها حدود مع تونس فهي متعددة وعمامة هي قبائل هادئة ومسالمة حسب ما اشارت اليه التقارير الفرنسية في بداية الاحتلال<sup>3</sup>. اما جنوبا فقد ضمت اسرة بن قانة القبائل التالية: الصحاري قبيلة سالمية رحمون ابن يزيد اولاد مديدجة قبيلة لخضر وجزء من اولاد صولة.

<sup>1</sup> . ناصر الدين سعيدوني: الانسان الاوراسي وبيئته الخاصة، مجلة الاصاله، العدد 60-1978، 61، ص ص 143-

<sup>2</sup> علي خنوف: السلطة في الارياف الشمالية لبابلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر 1999، ص 34

<sup>3</sup>F80 /1673,La Calle

اما اسرة بوعكاز فقد ضمت القبائل التالية:عرب الشراقة اولاد اهل النور جزء من اولاد سحنون بالحضنة وقد كانت هذه الاسرة الى جانب اسرة بن شنوف بعدما حاول شيخ الزاب الشرقي واسمه احمد باي بن شنوف الثار من اسرة بن قانة التي قتلت والده وتاييد الباي احمد لاسرة بن قانة، ليستمر الصراع خلال الاحتلال الفرنسي.<sup>1</sup>

وقد اصبحت مهمة جباية الضرائب ايضا من اسباب الصراع وكان شيخ العرب مكلفا باستخلاصها من قيادته ويتقاضى منها الثلث مما جعله يحقق ارباحا طائلة وجمع ثروة حقيقية، وهذا ما اشارت اليه الوثائق بان شيخ ريعة كان ياخذ عشرة الاف ريال<sup>2</sup>، وكانت اعمال الجباية تمر في ظروف صعبة وكانت تركز اساسا على عدد النخيل نظرا لبعده القبائل عن مقر السلطة وعدم استطاعة البايات الوصول اليها، وقد قدر عدد النخيل في بسكرة حوال 36الف نخلة وكان شيخ العرب تساعده قوات احمد باي في جباية الضرائب في الزيبان، وهذا قد اثر سلبا على سكان القرى وعلى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، ولكن هذه الضرائب قد تضاغت سنة 1830،<sup>3</sup> وكان احمد باي بن شنوف قائد الزاب الشرقي في عداوة مع اسرة بن قانة واصبح في صف فرحات بن السعيد للانتقام من بن قانة، ولهذا استغلته السلطات الفرنسية فيما بعد وتقربت منه بعد سقوط قسنطينة.

**ثانيا- علاقة المصاهرات داخل القبائل والاعراش :** لقد ساهمت المصاهرات في زيادة نفوذ القبائل، وهو ما حصل مع أسرة أولاد مقران المسيطري على غرب البايك. إذ بعد فرار الشيخ بوعزيز من حسين باي تونس، إتهجه إلى مجانة ونزل عند حاكمها الشيخ بورنان المقراني، وزوجه بوعزيز إحدى بناته التي رفض تزويجها إلى حسين باي تونس<sup>4</sup>، ثم عقد عدة تحالفات مع فرحات بن رجاجة شيخ أولاد علي بالزاب

<sup>1</sup> .:صالح فركوس:ادارة المكاتب العربية...،المرجع السابق، ص267

<sup>2</sup> بيان اعراش بيد البايك, AMG ;1H194

<sup>3</sup> .خلال العهد الاستعماري اصبحت ضباط المكاتب العربية يحسبون لشيخ العرب ثرواته وقد وجه الحاكم العام -بيجو-

رسالة الى الرائد سان جرمان قائلا لن شيخ العرب لا ينبغي ان يحضى بنفس الحقوق كما هو في السابق انه ينبغي عليه ان يفهم ان وجودنا ببسكرة قد غير وضعيته راسا على عقب كقائد لهذه البلاد... انظر: فركوس المرجع نفسه، ص279

<sup>4</sup> . L.Charles Feraud :Les Harars... Op. Cit. p230-231 .

وصهره بن بوالضيف شيخ الأوراس<sup>1</sup>، وكذلك عززت هذه المصاهرة من نفوذ أحرار الحنانشة بكسبهم ولاء وتحالف قبيلة أولاد مقران، وهو ما تجسد حين طلب يونس باي بتونس من صهره بوعزيز مساعدته على إسترداد ملك أبيه، فوافقه على ذلك وراح يتفق مع صهره بورنان المقراني إذ قاد الطرفان هجوما على تونس تم خلاله تنحية حسين باي من السلطة<sup>2</sup>.

وقد عقدت أسرة أحرار الحنانشة تحالفا مع قبيلة النمامشة التي تكونت من ثلاث عشائر كبرى هي البرارشة و العلاونة وأولاد رشاش،<sup>3</sup>، وكانت تعتبر من أقوى قبائل الشرق الجزائري حيث إمتد نفوذها حتى نقرين بتونس وكان الهدف من تحالف الطرفين هو محاربة بايات قسنطينة<sup>4</sup>، ويذكر فيرو أن الحنانشة والنمامشة جمعتهما مصاهرة من خلال زواج بوحفص بن إبراهيم بن بوعزيز من إحدى بنات النمامشة تدعى فطيمة<sup>5</sup>، ثم القيام بعدة إنتفاضات كالتي جرت عام 1803-1804<sup>6</sup>، وبرزها تمردهم ضد الحاج أحمد آخر بايات قسنطينة سنة 1828م<sup>7</sup>.

اما في الجنوب فقد كان وصول اسرة بن قانة الى الصحراء نتيجة لعلاقة المصاهرة مع اسرة بوعكاز عند زواج مباركة بن بن قانة مع ابن شيخ العرب علي بوعكاز وبالتالي اكتسبت نفوذا وقوة في الجنوب<sup>8</sup>

<sup>1</sup> - صالح عباد: الجزائر خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص 158.

<sup>2</sup> : L.Charles Feraud :Les Harars...Op. Cit. p231. 232.

<sup>3</sup> - أنظر كوثر العايب: العلاقات الجزائرية التونسية... المرجع السابق، ص 71.

<sup>4</sup> احميدة عميراي: علاقات بايلك الشرق الجزائري مع تونس، المرجع السابق، ص 28.

<sup>5</sup> -Feraud CH **Les Ahrars**..Op. Cit. p357.

<sup>6</sup> كوثر العايب: العلاقات الجزائرية التونسية... المرجع السابق، ص 38.

<sup>7</sup> : L.Charles Feraud :Notes **sur tebessa** ,R. A,1874,P456.

<sup>8</sup> مختار الهواري: سياسة الادارة الفرنسية تجاه بغض العائلات المنتفذة في الجنوب القسنطيني 1837-1860، مذكرة

ماجستير في تاريخ الاوراس الحديث والمعاصر، جامعة باتنة 2017-2018، ص 25

وكان الدافع الاساسي من وراء هذه المصاهرات في الجنوب تحقيق توازن واستقرار وتحقيق النفوذ وقد استطاع من خلالها مُجد بن قانة ان يمد نفوذه في الصحراء وتوطدت العلاقة خاصة بعد تولي الحكم على توقرت حفيد الحاج بن قانة علي بن القيدوم لانهما يريدان التخلص من اسرة بني جلاب<sup>1</sup>.

#### المطلب الرابع: الصراع على زعامة مؤسسة المشيخة :

إن اعتماد البايات في التعامل مع الاعراش والقبائل عن طريق شيوخها والقادة المحليين الذين أصبحوا بحكم العادة والعرف يتوارثون زعامة المشيخة، وقد ساعدت طبيعة الشرق الجزائري الجبلية وعدم التعرض لثورات مدمرة كثورات التجانية والدرقاوية على تزايد نفوذ المجموعات القبلية الكبرى التي أصبحت تسيطر على بايلك الشرق حتى اضطرت البايات إلى التعامل معها والإعتراف بزعامة شيوخها<sup>2</sup>، ونظرا لاتساع رقعة البايك وبهدف إحكام السيطرة فقد لجأت السلطة إلى وضع أربعة قيادات كبرى تكون بمثابة أداة للسلطة السياسية وهي قيادات مستقلة عن بعضها البعض، ففي الشرق الى غايي الحدود التونسية فتسيطر قبيلة الحنانشة ويقودها الاحرار وكانت تسيطر على اولاد زناتي و اولاد يحيي بن طالب، وعمار شراقة<sup>3</sup>، أما في الشمال والساحل من عنابة الى غاية بجاية فقد سيطرت فرجيوة، وزواغة ويقودها بني عاشور وبن عز الدين، أما في غرب سطيف الى أبواب الحديد تسيطر بني عباس حيث يقودها المقرانيين، أما في الجنوب فسيطرت الدواودة وتقودها بوعكاز ثم بن قانة<sup>4</sup>، ومن بين هؤلاء الشيوخ نذكر : شيخ الحنانشة الأحرار في في الشرق، شيخ العرب بوعكاز في الجنوب، وشيخ مجانة أولاد مقران في الغرب. وقد اشار المترجم الفرنسي

---

<sup>1</sup> : L.Charles Féraud ; **histoire du sultans des touguourt**, in

RA,v22 ,1878 ;p289

<sup>2</sup> سعيدوني وبوعبدلي: **الجزائر في التاريخ**، المرجع السابق، ص 108 .

<sup>3</sup>:Abd Eljelil Temimi :**le beylik de constantine...**op it ;p51

<sup>4</sup> انظر

Mouloud GAID :**Chroniques des Beys...**op cit ,pp4-5

ارنست مرسية الى نفوذ هذه الاسر في كتابه تاريخ قسنطينة وبين مدى قوة ونفوذ العائلات الاقطاعية، الحنانشة والذواودة وبوعكاز وأل مقران.<sup>1</sup>

لقد أصبح لهذه الأسر نفوذ سياسي كبير أدى إلى ظهور الحكم الأسري لديها بسبب تفرع القبيلة فغلب نفوذ الاسرة على نفوذ القبيلة وأصبحت تختار زعيمها من بين اكبر الأسر القوية لتتكون اسر إقطاعية ذات صبغة عسكرية تمتعت بنوع من الاستقلال.<sup>2</sup>

ومن العائلات او الأسر التي كان لها نفوذ أسرة المقراني بالحدود الغربية للبايلك، وأسرة بوعكاز وتنتمي إلى قبيلة الذواودة الهلالية من فرع رباح وكان إستقرارها الأول بالشرق الجزائري ، اما أسرة بني جلاب فقد استقرت جنوب البايلك بالمناطق الصحراوية من توقرت ووادي سوف وأسرة بن قانة التي كانت من ابرز الاسر الكبرى في الجنوب ببسكرة والتي أشارت اليها الدراسات والوثائق الارشيفية نظرا لأهميتها ودورها البارز في الأحداث السياسية في نهاية العهد العثماني<sup>3</sup> وأسرة أحرار الحنانشة التي تستقر في الحدود الشرقية للبايلك وكان لها دور سياسي وعسكري هام في الحدود الشرقية الجزائرية وكانت محل اهتمام المترجمين الفرنسيين في كتاباتهم.<sup>4</sup>

لقد امتدت أبرز المشيخات في بايلك الشرق حول الحنانشة وبني جلاب بتوقرت، وبوعكاز بوعاشور بفرجيو، وقد ازداد الاهتمام بمؤسسة المشيخة من قبل السلطة العثمانية وهذا راجع الى مكانة الشيوخ ودورهم الى جانب السلطة، ويمكن القول أنهم قد اقتسموا السلطة معها وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الحاج

<sup>1</sup> انظر

Ernest MERCIER : **histoire de constantine...** op cit , p250.

<sup>2</sup>: جميلة معاشي،:الاسر الحاكمة...المرجع السابق، ص25

<sup>33</sup> انظر:

AMG,H227 ;**Martin Notes sur l'histoire de quelque familles (sercle de biskra)**

<sup>4</sup> تعد دراسة شارل فيرو حول احرار الحنانشة في المجلة الافريقية على راس الدراسات الخاصة بهذه المنطقة من قبل مترجمي الاحتلال.

احمد بن مبارك العطار: "...يكون تصريف الوطن بينهم ثلاثا، ثلثه لبن قانة شيخ العرب وثلثه لشيخ الحنانشة وثلثه لحكام الترك، وتعاهدوا على ذلك منذ ذلك الوقت..."<sup>1</sup>

وهكذا قد أصبح لهؤلاء الشيوخ مكانة خاصة تجاه السلطة من خلال ولاءهم او قبولهم بتعيين الباي الجديد فقد نصت التقاليد المعمول بها أن الباي عندما يعين او تجدد ولايته ويرتدي الخلعة ليلبسها هو الأول ثم يبعث بها الى احد الشيوخ.<sup>2</sup>

وقد فصل الحاج احمد بن مبارك بن العطار في هذه المراسيم بقوله: "...وبقيت العادة الى وقتنا ان الباي اذا اتته خلعة الولاية من الجزائر يلبسها هو الاول ثم يبعث بها الى شيخ العرب وبعده الى شيخ الحنانشة ويعرف وظيف الحنانشة بوظيف القفطان لان ولايتهما كولاية الباي..."<sup>3</sup>

وقد اشار شارل فيرو ان أول من تلقب بشيخ العرب وتولى منصب المشيخة هو امير الذواودة ورياح علي بوعكاز بن السخري وهو لقب مكان امير العرب وهو لقب استحدث فقط في بايلك الشرق الجزائري<sup>4</sup>

لقد أصبح شيخ العرب له مهام سياسية واقتصادية واجتماعية هامة فقد كان من مهامه حفظ الاستقرار في مقاطعته ومواجهة القبائل الثائرة ودعم السلطة ومراقبة التجارة وجباية الضرائب، وقد اصبح لشيخ العرب سلطة على المنافذ بين الاوراس وبلزمة الى بلاد سوف وتوقرت وبسكرة، وازافة الى قبائل الزيبان كان يحكم قبائل عددها احدى عشر قبيلة -عمورا الشراقة- البهيمات-البوازيد- السلمية- اولاد

<sup>1</sup> الحاج احمد بن مبارك بن العطار: تاريخ قسنطينة، ص375

<sup>2</sup> تعد هذه العادة ضمن مراسيم تعيين الباي الجديد والخلعة هي لباس يرتديه الباي بعد تعيينه، انظر. F80 /1673.

<sup>3</sup> . الحاج احمد بن مبارك بن العطار: تاريخ بلد قسنطينة المصدر السابق، ص375 .

<sup>4</sup> انظرُ L.Charles Feraud :**Les Bni Djaleb sultans des tougurtes** in RA

عقيان- الصحاري- بن براهيم- بن علي<sup>1</sup>. وقد اضاف شارل فيروا ان الصحراء الشرقية بجنوب البايك قد كانت تحت حكم سلاطين بني جلاب لمدة طويلة من الزمن<sup>2</sup>.

-الصراع داخل مؤسسة المشيخة: ان من أبرز التطورات خلال بدايات القرن 19م، هو تزايد الصراع داخل مؤسسة المشيخة، وقد أصبح انتقال وتزعم قيادة المشيخة من فرع لآخر وإلى أبناء العمومة تطورا هاما عرفه الشرق الجزائري، وأصبحت مسألة الحفاظ على الزعامة أمرا صعبا، حيث عرفت مؤسسة المشيخات صراعات عديدة في أوائل القرن 19م، ونظرا لتأثير سياسة التفرقة التي انتهجتها السلطة العثمانية خلال الفترة العثمانية خاصة في أواخر العهد العثماني فقد أصبح تعيين الشيوخ في الشرق الجزائري من نفس العائلة يخدم المصلحة السياسية للبايات أيضا، فبالنسبة لمشيخة فرجيوه التي تأسست على يد بوعاشور في أواسط القرن 11هـ-17م، والذي قيل أنه جلب فرسانا من قبيلة ريغة بسطيف لخدمته، ووزع عليهم أراضي في فرجيوه، وبهذا الشكل قد تكونت حوله قوة محلية وتخلص من الضريبة التي كانت تدفعها قبيلة أورزيفة المجاورة<sup>3</sup>.

لقد انظم الشيوخ في صراع أدى الى نشوب حرب بين شلغوم المخلوع من منصبه، وعمه مقورة بوطغان منذ سنة 1780 في مناطق الشمال القسنطيني واستمر الصراع حول قيادة المشيخة لفترات طويلة متخذا عدة أشكال فقد ابعده الشيخ بورنان بن مقورة على يد ابن عمه مصطفى بن الدراجي سنة 1808م، ثم ابعده هذا الأخير على يد الباي شاكور باي بايعاز من بورنان بن مقورة أيضا سنة 1814م وتم قتل الشيخ الدراجي بن مقورة على يد بوعكاز سنة 1834م<sup>4</sup>، وتذكر المصادر ان الشيخ احمد بوعكاز شيخ فرجيوه قد وصل الى السلطة عن طريق القتل وكان مدعما من قبل ابناء عمومته بن عز الدين بزواغة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> احمد سيساوي: البعد البايليكي في المشاريع الاستعمارية، ص 147

<sup>2</sup>L.Charles Feraud. :**Les Bni Djelab...op cit p469**

<sup>3</sup>**Répertoire alphabétique...op cit,p 6-7.**

<sup>4</sup> أنظر Charles FERAUD ,,**Ferdjioua** , RA p9

<sup>5</sup> أنظر Ernest MERCIER : **Les Deux Sieges de constantine**,op cit p6

وبالنسبة لمشيخة الحنانشة فمنذ سنة 1807م إلى غاية وصول أحمد باي سنة 1826 فقد حدثت تغيرات هامة فكان كل شيخ يقوم بقتل منافسه من أجل السلطة أو قد يموت داخل السجن<sup>1</sup>. ويمكن القول ان هذا الصراع داخل مؤسسة المشيخة قد اتخذ عدة أساليب منها:

### عمليات العزل والقتل داخل مؤسسة المشيخة:

لقد كثرت الأعمال القمعية في نهاية العهد العثماني في الشرق الجزائري وكان سببها العصيان والتمرد، وإنتهجت سياسة التفرقة بين الشيوخ<sup>2</sup>، وقد كان العزل يعبر عن العجز الإداري وسوء التسيير وعبر كذلك عن عدم الاستقرار السياسي في الشرق الجزائري، خاصة مع بدايات القرن 19م، ففي مشيخة فرجيوه كان العزل منتشرا أكثر ما بين سنوات 1804-1834م، حيث بلغ العزل 5 حالات<sup>3</sup>، أما عمليات العزل للشيوخ فقد شملت العديد من رؤساء المشيخات بالحنانشة ومنها عزل عثمان بن إبراهيم فرع من فروع بن نصر بالحنانشة سنة 1804<sup>4</sup>.

أما القتل كان أكثر انتشارا، وقد كان لا يستمر الشيخ في منصبه لأكثر من سنتين، والجدول التالي يبين حالات القتل السائدة في مشيخة الحنانشة ما بين سنوات 1804-1837م<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>: احمد الشريف الزهار: مذكرات، المصدر السابق، ص 160.

<sup>2</sup>: في الحقيقة أن هذه السياسة التي اعتمدت على التفرقة طبقها صالح باي من قبل في نهاية القرن 18م، وكان هدفها السيطرة على القبائل، حين غزا النمامشة وأولاد سيدي عبيد، للمزيد حول قبائل أولاد سيدي عبيد أنظر L. Charles Féraud : **les Oulad Sidi Abid**, R. A, v18, 1874, p469\_468.

<sup>3</sup>: يعقوبي خديجة: شيوخ القبائل ومؤسسة المشيخة في بايلك الشرق والوسط العربي التونسي 1700-1860 رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2-2017-2018، ص 231.

<sup>4</sup>: نفس المرجع، ص 139.

<sup>5</sup>: نفس المرجع، ص 233.

سنة القتل	الشيخ
1803_1798م -	- أحمد بن بوعزيز وأخوه
1830 -	- الشيخ بوضياف وأولاده
1830 -	- الحاج مبارك والشيخ الحسناوي
1830 -	- الشيخ طراد والشيخ عمارة

ولهذا كانت مشيخة الحنانشة أكثر المشايخ تعرضا لعمليات القتل التي مست شيوخها في نهاية القرن 18م، وبداية القرن 19م، فقد قتل طراد بن بوعزيز قبل توليه المشيخة<sup>1</sup>، وقد كانت أعمال القتل التي كان ينفذها البايات في حق رؤساء المشايخ في الشرق الجزائري تتم وفق قراراتهم الذاتية ودون الرجوع إلى قرارات الداوي نفسه باستثناء الحاج أحمد باي 1826\_1837 الذي كان قد إستشار الداوي حسين حين قتل شيخ مقورة بفرجية سنة 1828م<sup>2</sup>.

ويمكن تفسير انفراد البايات بقراراتهم دون الرجوع الى سلطة الداوي في القرارات المتعلقة بالقتل او بالعزل أن معظمهم كانوا يمثلون سلطة القاضي الأعلى في أقاليمهم، واعتبار قضايا القتل أمور عادية بالنسبة لأعضاء الديوان<sup>3</sup>، وهذا يعكس طبيعة النظام القضائي خلال تلك الفترة ومؤسساته القضائية التي سيطرت عليها السلطة المتمثلة في البايات والديوان فقد كان القتل أمرا عاديا بالنسبة لأعضاء الديوان في أواخر

<sup>1</sup>: نفس المرجع، ص 136.

<sup>2</sup> نفسه

<sup>3</sup>: الامير بوغداة: المؤسسات في الجزائر اواخر العهد العثماني القضاء نموذجاً، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر

العثماني، جامعة قسنطينة 2007-2008، ص ص 104\_105.

العهد العثماني وأصبح اعضاءه يتدخلون في القضايا التي هي أصلا من اختصاص الداى كالحيانة والتآمر عليه وكان معظم البايات يمثلون سلطة القاضي الاعلى في أقاليمهم<sup>1</sup>.

ولهذا أصبح الصراع على رئاسة المشيخة من ابرز التطورات التي شملت كامل المشايخ الكبرى في بايلك الشرق الجزائري، والذي كان يصل إلى حد القتل، ففي الجنوب فقد قُتل الشيخ إبراهيم بن جلاب على يد مُحمَّد بن عمر بن جلاب، وهو أخوه سنة 1804<sup>2</sup>، ولهذا كان الصراع على مشيخة بن جلاب بتوقرت هو الأقوى، ثم بعد ذلك مشيخة فرجيوه في بداية القرن 19م<sup>3</sup>.

كما كان السجن قد اصبح وسيلة ومظهرا للصراع، فقد سجن الشيخ عثمان سنة 1804م، وهو عثمان بن إبراهيم شيخ الحنانشة<sup>4</sup>، مع العلم أنه في بدايات القرن 19 كان السجن يتم بإخبار الداى، عكس السجن في المراحل السابقة وهذا ما بينته الوثائق المرسله ومنها الوثيقة حول سجن الشيخ مصطفى بن الدراجي شيخ فرجيوه سنة 1804 على يد علي باي<sup>5</sup>.

#### -الإنعكاسات على تطور مؤسسة المشيخة:

أدت هذه العمليات إلى الإنتقال من مرحلة الاستقرار داخل البايك ومؤسسة المشيخة إلى الاضطراب فقد أصبحت خاصة القتل أو الصراع أو العزل سائدة في المشايخ مثل مشيخة فرجيوه<sup>6</sup>، وفي مشيخة بني جلاب بين الإخوة من جهة وبين الإخوة وأولاد العم من جهة أخرى أو أعمامهم فأدى ذلك إلى ضعف مؤسسة المشيخة وتمرد القبائل ضد قادتها<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> انفس المرجع ص 104-105

<sup>2</sup> يعقوبي خديجة: شيوخ القبائل... المرجع السابق، ص 140 .

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 141 .

<sup>4</sup> نفسه .

<sup>5</sup> نفس المرجع، ص 144 .

<sup>6</sup> نفس المرجع، ص 141 .

<sup>7</sup> نفس المرجع، ص 143 .

ومن الانعكاسات ايضا قيام الثورات والتمردات داخل المشايخ على السلطة، ومنها تمرد أحمد بن بوعزيز وقيام الباي مصطفى إنجليز بحملة على أولاد يحي العواسي من قبيلة الحنانشة لأنهم قتلوا شيخهم وتمردوا على السلطة ، وسلطوا عليهم الشيخ يونس شيخ أولاد يحي بن طالب والذي قام بقتل أحمد بن بوعزيز<sup>1</sup> ، وقيام الحاج مبارك شيخ الحنانشة بالتمرد رفقة قبيلته على الحاج أحمد باي سنة 1827م، وكان رد فعل الباي هو القيام بحملة على شيخ الحنانشة في نفس السنة، وأولاد سيدي الشيخ وأولاد مسعودة ومصادرة حوالي 1260 بقرة<sup>2</sup>.

ويذكر شارل فيرو في شأن شيوخ الحنانشة أنهم منذ سنة 1771 إلى 1805م ان العديد منهم قد تداولوا على رئاستها لكن لم يكن لهم تأثير على الصعيد الخارجي بسبب العداء والصراع المستمر بين الفروع المختلفة للأسرة وكان هدف كل فرع فرض سيطرته<sup>3</sup>.

ومنذ معركة واد سيرات بتونس سنة 1807م<sup>4</sup>، الى بداية فترة حكم احمد باي عام 1826م ، اشتدت الصراعات والانتقامات داخل الاسرة ويذكر شارل فيرو ايضا ان معظم الشيوخ تعرضوا للقتل وقليل منهم من تولى المشيخة لفترة سنة او سنتين<sup>5</sup> ومثال ذلك التنافس بين الرزقي وفرع أولاد منصر بسبب منصب الامين في أسرة الأحرار وكان المنصب امتياز لعائلة الحنانشة إلى غاية آخر ممثليهم وهو أحمد بن علي، وازداد اصراع بعد تعيين توسع التنافس بعد منصور الرزقي والذي إتهم بتورطه في قتل الشيخ الميهوب لكن الشيخ ترك ابناً هو الرزقي بن منصور، الذي كانت تربطه علاقة صداقة قديمة بالحاج أحمد باي و منذ تعيين احمد باي 1826م وقد سعى الرزقي الى دعمه. ووقف بجانبه في حملته على شيخ قبيلة أولاد سيدي يحي بن طالب<sup>6</sup>، وبضمانه لتأييد احمد باي عمل الشيخ الرزقي على اضعاف أسياده الوراثيين<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - Vayssettes EUGENNE : **Histoire de Constantine**, io cit ;p162.

<sup>2</sup>- Temimi(A. E. J), **Haj Ahmed bey**, p52-53.

<sup>3</sup>:L.Charles Feraud :**les AHRAR ...Op. Cit**,p358.

<sup>4</sup>"إبن أبي الضياف: اتحاف الزمان... المصدر السابق، ج3. ص42. أنظر حمدان خوجة المصدر السابق...، ص127.

<sup>5</sup> : L.Charles Feraud :**les Ahrars ...Op. Cit**,p359. ا

<sup>6</sup>:Ernest MERCIER : **histoire de constantine** ,Op. Cit,p307 .

<sup>1</sup> الممثلين في الشيخ علي من فرع أحرار منصر فقام الرزقي بتحريض الباي ضده، ثم أوضح الحاج أحمد أن أسرة الأحرار كانت تميل إلى تحرير نفسها من تبعيتها لقسنطينة<sup>2</sup>، حيث يقول في ذلك: " كان عم الحسنوي في القديم هو شيخ قبيلة الحنانشة التي كنت مقيما عندها، ولأنه حاك مؤامرات ضدي حكم عليه بالإعدام وإستبدل بالرزقي الذي أبدى لي كثيرا من الإخلاص ولإرضاء أسرة الحسنوي عينت هذا الأخير كاتباً للشيخ الرزقي"<sup>3</sup>. وكانت مشيخة الحنانشة شاغرة حينما منحها أحمد باي إلى الرزقي<sup>4</sup>، وحسب المصادر فإن ارتقاء الرزقي على راس مشيخة الحنانشة أثار استياء الأحرار لان الرزقي الرزقي لم يكن من قادة الحرب بل من الكتاب<sup>5</sup>.

وهذا ما يفسر اشتداد الصراع على المشيخة بين الرزقي والحاج المبارك، سليل أحمد بن علي، الأمين الأول للأحرار، ولهذا حرض أبناء شقيقه سي البخاري وسي حسنوي على الرزقي، حيث قام كل من طراد بن نصر والحسنوي بن أحمد بثورة ضد الرزقي، أجبر من خلالها على الفرار إلى قسنطينة وعجز أحمد باي عن مساعدته لإنشغاله بالحملة الفرنسية على مدينة الجزائر، فبقي الرزقي بقسنطينة وبقي طراد بن نصر على رأس المشيخة إلى غاية وفاته سنة 1833م، فتولاها الحسنوي إلى ان رجع أحمد باي من الجزائر ومنحها لصديقه الرزقي<sup>6</sup>، وهذا الصراع داخل مشيخة الحنانشة ستستغله فرنسا خلال حصار قسنطينة وحاولت كسب تأييد مغارضي أحمد باي من الشيوخ.

كما أثرت نتائج فشل الحملة على تونس في تغيير صفوف قادة المشايخ ففي مشيخة بن عاشور عوض القايد بابن العم اسماعيل بن شلغوم سنة 1807م، وفرار مصطفى بن عاشور الى جبال البابور<sup>7</sup>، وفي عهد

<sup>1</sup> براوات بن عتو: المدينة والريف في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2007-2008، ص 267.

<sup>2</sup> : L.Charles Feraud :les Ahrars...Op. Cit. 347.

<sup>3</sup> أحمد باي : مذكرات، ترجمة و تحقيق مُجد العربي الزيري، دط، ش و ن ت، 1981م، ص، 85.

<sup>4</sup> فارس العيد: المرجع السابق، ص 145.

<sup>5</sup>: L.Charles Feraud :les Hrar...Op. Cit. 347.

<sup>6</sup> - Ibid,pp,350-362.

<sup>7</sup> انظر:

عهد شاکر باي ومقتل نعمان باي کان بورنان بن الدراجي قد تلقى قفطان التولية على فرجیوة باقصاء مقورة الذي عزله شاکر باي لیبدا الصراع بين اسرة بوعکاز<sup>1</sup> ، وفي عهد احمد باي کان اول اجاء ضدهم هو نقل قيادة المشیخة من ماقورة الى بورنان ابن الدراجي وقد جاء في رسالة الباي الى الداى: "...ان ماقورة بن عاشور خرج عن الطاعة ورفض الانصياع لضريبة اللازمة وانه بالنظر الى عصيانه وعدم اكتراثه بطلباتنا فقد قررنا عزله وتعويضه بابن عمه بورنان الدراجي..."<sup>2</sup> ، ويذكر شارل فيرو ان ذلك كان سببا في تمرد مقورة سنة 1827م<sup>3</sup> .

اما في الجنوب فقد اصبح الصراع بين اسرتي بن قانة وبوعکاز الذواودة منذ عهد مصطفى باي انجليز بعد تقسيمه سنة 1803م للمناصب بين الاسرتين بهدف تحقيق نوع من التوازن السياسي، ولكن مُجد الصغیر بن قانة الذي كان يرأس مشیخة بن قانة قد عزل من منصبه وبعد عزله قام بإرسال رسالة مجهولة إلى الباي مصطفى انجليز يخبره على لسان أعمامه بانهم يشکون في شرعية سلطة الباي عليهم فرد الباي بعزل علي بن القيدوم وعين مكانه مُجد بن الصغیر بن قانة على الحضنة<sup>4</sup> .

وفي عهد الباي عبد الله باي 1804-1806م، قام بتولية اسرة بن قانة على المشیخة وعين علي بن القيدوم شیخا للعرب واعفى الاسرة من دفع الضرائب ونفس الإجراءات قام بها الباي شاکر باي سنة 1815م باعفاءها من دفع الضرائب، ولكن عند وصول الباي احمد المملوك إلى السلطة سنة 1818م، قام بمعاينة اسرة بن قانة لأنهم لم يدفعوا الضرائب وكان يميل لصالح أسرة بوعکاز الذواودة، وقام بعزل علي بن القيدوم ثم امر باعدامه بسبب صراعه مع ابن عمه مُجد الصغیر الذي قام باغتياله<sup>5</sup> ، وفي عهد الباي ابراهيم باي قام سنة 1821م باعادة المشیخة الى عائلة بوعکاز الذواودة وترأسها مُجد الذباح لكن بسبب كبر سنه تنازل لابن اخيه فرحات بن سعيد، أما في عهد احمد باي الذي كانت له علاقة قوية معها فقد

---

Ernest MERCIER , :**histoire de constantine...** op cit p328

<sup>1</sup>: Ibid; p339

<sup>2</sup>: العياشي رواجي: الادارة الاستعمارية وعلاقتها بالعائلات الكبرى... المرجع السابق، ص41.

<sup>3</sup>: L.Charles Feraud :**Ferdjioua et Zougha in RA** op cit p14.

<sup>4</sup> حرز الله مُجد العربي: منطقة الزاب... المرجع السابق، ص90

<sup>5</sup> نفسه

اسند منصب شيخ العرب لرئيسها مُجَّد بن قانة بعدما كان من نصيب اسرة بوعكاز الذواودة، والممثل في شيخها فرحات بن السعيد، وهذا الاجراء زاد في تاجيح الصراع بين الاسرتين في الجنوب اضافة الى ان ان ذلك الاجراء كان مكافاة من الباي نظرا لمساندة بن قانة له<sup>1</sup>، وعند موت هذا الاخير عين بوعزيز بن قانة وهو خال احمد باي على رأس المشيخة وهذا ما ادى الى غضب شيخ العرب الذواودي وانتقاله الى اولاد نايل<sup>2</sup>، وقد أصبحت اسرة بن قانة تتزعم المشيخة نهائيا .

وقد ازداد نفوذها اكثر نظرا لدعم احمد باي لها، ودخلت في صراع ضد أسرة بوعكاز الذواودة التي مثلها فرحات بن سعيد الذي اعتبر ذلك انتزاع للسلطة وللملك، وأصبح عدوا للحاج احمد باي،<sup>3</sup> وقد أعلن فرحات بن سعيد انتفاضته وعين نفسه شيخا للعرب وقام بمواجهة قوات احمد باي في بسكرة المدعم من قبل بن قانة وردا باعلان الحرب على فرحات بن سعيد وحاصراه في الخنفة الى ان غادر معسكره<sup>4</sup>، كما دخل معه في معارك في مراح جازية والزعاطشة سنة 1831م<sup>5</sup>، وقد ادى ذلك الصراع الى قيام بوعزيز بن قانة باستدراج احمد باي الى بسكرة من اجل محاربة فرحات بن سعيد واكتشف احمد باي فيما بعد ان خاله كان يريد الاستيلاء على امواله حيث جاء في قوله: '...انتم لا تعلمون ان فرحات بن سعيد يقرب بسرعة من الزيبان في الوقت الذي تحاولون فيه الدفاع عن قسنطينة...'<sup>6</sup> وقد قام احمد باي بالذهاب لمحاربة فرحات بن سعيد وعرض على اخيه التعاون ولكنه غدر به، ثم ارسل وفدا من الصحراء الى مُجَّد بن الحاج بن قانة سنة 1836، لالقاء القبض على شيخ العرب فرحات بن سعيد<sup>7</sup>.

<sup>1</sup>:العياشي رواجي: الادارة الاستعمارية وعلاقتها بالعائلات الكبرى... المرجع السابق، ص 39-40.

<sup>2</sup> محفوظ قداش: جزائر الجزائريين 1830-1954 ترجمة مُجَّد المعراجي، منشورات ANEP. 2008. ص 55 .

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر، ص 96. انظر ايضا:

Ernest MERCIER :Les Deux Sièges...op cit ;p6

<sup>4</sup> انظر

Mouloud GAID :, **Chroniques Des Beys de constantine**,p98

<sup>5</sup>:العياشي رواجي: الادارة الاستعمارية وعلاقتها بالعائلات الكبرى... المرجع السابق، ص 40.

<sup>6</sup> صالح فركوس: محاضرات في تاريخ الجزائر، ص 50 .

<sup>7</sup> حرز الله مُجَّد العربي: منطقة الزاب... المرجع السابق، ص 164

كما تمرد بني جلاب بتوقرت سنة 1830م وكان ذلك في عهد الحاج احمد باي وذلك من خلال الإمتناع عن دفع الضرائب التي كانت مفروضة عليهم منذ عهد صالح باي اي في نهاية القرن 18م عندما قام باخضاعها<sup>1</sup>.

كما ادى الصراع الى انقسام اسرة المقرانيين سنة 1808 م، وكان فرع قندوز المقراني ضحية أولاد الحاج بورنان وارتكب ضده مجزرة وكان بني عبدالله قادة أولاد الحاج مدعين من قبل نعمان باي قسنطينة وبورنان مدعين من قبل هاشم الذين لم يتركوا برج مجانة<sup>2</sup>، كما انعكس ذلك في اشتداد الحملات الانتقامية ضد القبائل التي كانت أكثر قسوة وشدة ومنها الحملات التي قادها شاعر باي ضد أولاد مقران وأولاد بورنان انطلاقا من قسنطينة<sup>3</sup>، وفي عهد احمد باي استمر في سياسة القسوة ضدهم رغم انه قد جمعته معهم علاقات المصاهرة وهذه السياسة القاسية ادت الى تمرد ابن القندوز المقراني ولكن احمد باي راسله ووعدته بالمشيخة لكنه نكث الوعد والقى عليه القبض<sup>4</sup>.

-الإحسانات بين الشيوخ والبايات: الاحسانات هي عبارة عن امتيازات مادية أو سلعة كان يقدمها البايات للأعيان والوافدين بغرض جلب مواد لمدينة تونس، وقد كان أعيان الحنانشة يتحصلون على إحسانات مثل السروج والكساوي الذهبية<sup>5</sup>.

من ضمن مظاهر التنافس والصراع حول المشيخة هو تقديم الهدايا لضمان الاستمرار في الوظيفة، وقد كان تقديم الهدايا للحفاظ على المنصب مظهرا يعكس الفساد السياسي، فكان شرط التعيين في المنصب

---

<sup>1</sup>: في عهده لم يرض بالاتاوات الضريبية التي تقدمها توقرت ومع قدوم فرحات بن جاب الله تمت بينهما مفاوضات تخص موضوع الضرائب ولم يتوصلوا الى اي اتفاق فتوالى الحملات الانتقامية الى ان اقترح الشيخ بتعهد وادي ريغ بتسديد ما قيمته 300الف ريال بوجه ومصاريق الحرب لكنها منذ ذلك الوقت لم تدفع بانتقام وقام احمد باي فيما بعد بمحاصرة توقرت انظر:

LOUIS Pisse : **Itinéraire de l'Algérie** Pais imprimante 1862 ;p456

Ernest Mercier : **histoire de Constantine**,p338. -<sup>2</sup>

<sup>3</sup> ارتكب الباي خلال هذه الحملات عمليات قتل واسعة عن تفاصيلها فإيسيت في المجلة الافريقية العدد 6، ص 207

<sup>4</sup>: العياشي رواجي: الادارة الاستعمارية وعلاقتها بالعائلات الكبرى... المرجع السابق، ص 43.

<sup>5</sup> يعقوبي خديجة، **شيوخ القبائل**...، المرجع السابق، ص 200.

هو إرضاء السلطة، وشرط للحصول على الوظيفة، فكان لها أثر سلبى على جميع المجالات، ففي بداية القرن 19م أرسل شيخ الحنانشة هدايا إلى باي تونس (أفريل 1804م) وقيمتها حوالي 735 ريال إحسان لإبراهيم كاتب شيخ الحنانشة ، قدموا من الخيل هدية على يد عثمان خوجة<sup>1</sup>.

وقد استطاع الشيوخ تكوين ثروة فمنذ سنة 1783 إلى 1803 م صدرت الجزائر كميات كبيرة من الحبوب، وقد إرتفع سعرها، وشهدت الجزائر إستصلاحا للأراضي الزراعية، إنعكس ذلك في ثراء الشيوخ المحليين المتعاملين مع الشركة الإفريقية ، وحول هذه الثروة التي تتمتع بها هذه الفئة ذكر كل من روزيت وكاريت Rozet et Carette مدخول لقائد أولاد أمقران ما بين 1 إلى 2 مليون فرنك أما شيخ الحنانشة فإنه يضع بين يديه 16 قبيلة ويتحكم في الطريق إلى تونس ويملك عددا لا يحصى من القطعان، وبذلك يظهر الثراء الفاحش عند الزعماء الكبار عشية الاحتلال<sup>2</sup>، ولهذا كانت وسيلتهم للتقرب من السلطة هي الهدايا هذا الى جانب اعتبارها واجبا تدفع للسلطة ففي عهد الحاج أحمد باي كانت الهدايا شرطا رئيسيا للبقاء على رأس قيادة المشيخات.

وقد جاء في إحدى المراسلات من أحمد باي إلى حسين داي 1818-1830م، بتاريخ 1 ذي الحجة 1244هـ - 3 جوان 1829 ما يلي: " إن مشايخ الوطن ينعمون على والدة الحاج أحمد باي بمبلغ من المال وبعض البغال... والوالدة تريد إرسال ذلك إلى الباشا"<sup>3</sup>.

أما حقوق التولية ففي عهد أحمد باي ساهمت مشيخة الحنانشة ومشيخة مجانة بحوالي 479 ألف فرنك، وهي قيمة ومساهمة عالية من حقوق التولية والتي تقدر بـ 50 ألف فرنك وكان شيخ فرجيو وحده يدفع 1500 فرنك<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - Vayssettes EUGENNE : **histoire de Constantine** ,op cit,p214.

<sup>2</sup> - Rozzet et Carette :**L'Algérie. l'Univers ou histoire et description de tous les peuples de leurs religions, mœurs, coutumes,.. etc**, Firmin Didot Frères éditeur, Paris, 1850, p. 60.

<sup>3</sup> : يعقوبي خديجة: **شيوخ القبائل...**، المرجع السابق، ص 238 .

<sup>4</sup> : فلة القشاعي: **النظام الضريبي...**، ص 116 .

لقد تحالف الحاج أحمد باي مع شيوخ القبائل مقابل الولاء ومقابل انتفاعهم من الأراضي القريبة من قسنطينة، والتي تعرف بأراضي العزل مع الالتزام بدفع ضرائب الحكور، كما قام بإعفاء بعضهم من الإلتزامات الضريبية<sup>1</sup>. وهذا بسبب قوة ونفوذ القبائل فقد كانت اولاد عبد النور" في هذه الفترة قبيلة واحدة من أقوى قبائل مقاطعة قسنطينة، حيث كان من السهل لها جمع ألفي الفارصا، وتلقي الدعم إذا لزم الأمر من قبل أصدقائها سكان جبال أولاد بوعون كانت القبائل المجاورة تسعى للتحالف مع أولاد عبد النور<sup>2</sup>.

وقد نتج عن ذلك إزدياد حلفاء أحمد باي مما دعم قبضته على الأقاليم التي يحكمها في الجهة الشرقية، وإزداد عدد حلفاءه، فقد إستطاع إستقطاب 19 قبيلة رئيسية، وإستطاع أن يكسب قوة تتكون من 7800 فارس<sup>3</sup>.

وبالمقابل قام حمودة باشا بتونس بإحتواء المشيخة فأصبح الشيوخ يزكون من طرف الباي الذي يعينهم في مناصبهم، وأصبح لهم مكانة، ومن خلال هؤلاء أصبح يعرف القيادة ويعرف أحوال الرعية، وازدادت الثقة بينهم<sup>4</sup>، وطبق الإعفاءات الضريبية ومنح الألقاب الشرفية، ونتج عن ذلك زوال العداء التقليدي بينهم<sup>5</sup>. وما نستنتجه من كل ذلك ان سياسة البايات وخاصة في الفترات الاخيرة التي لم تكن تعامل هذه الاسر والعائلات بنفس الاسلوب وقد انعكس ذلك في زيادة حدة الصراع ولهذا سنجدها تتخذ مواقف مغايرة خلال الاحداث الاخيرة قبل سقوط قسنطينة وهذا ما سنراه لاحقا.

<sup>1</sup>: يعقوبي خديجة:شيوخ القبائل...، المرجع السابق، ص 85 .

<sup>2</sup>: L.Charles Feraud :Notice Historiques Sur La Tribu Des Ouled Abd--Nour , Extrait De R.M.S.A.C(Receuil ) , HavardCollege Library, Constantine , 1913, - p 08.

<sup>3</sup>: يعقوبي خديجة شيوخ القبائل...، المرجع السابق، ص 85

<sup>4</sup>: نفس المرجع ص 90 .

<sup>5</sup>: نفس المرجع، ص 91 .

## المطلب الخامس: تطور العلاقة بين السلطة في بايلك الشرق ورجال الطرق الصوفية

لقد تباينت المواقف بين الطرفين حسب الاوضاع والظروف بين المؤيد والمناصر للسلطة العثمانية في الجزائر ونظام البايات وسياستهم في الشرق الجزائري وبين التمرد وقيادة العصيان خلال الثورات على الاتراك وكل ذلك تحكمت فيه العديد من العوامل والاسباب.

### اولا:رجال الدين والمرابطين وتأييدهم لسلطة البايات:

لقد كانت العلاقة بين شيوخ الزوايا تجاه السلطة العثمانية مبنية على مصالح مشتركة وكان هدف الشيوخ والمرابطين هو الحفاظ على نفوذهم وقد عملت السلطة على التقرب منهم والسبب الرئيسي في ذلك هو دافع الجهاد ضد المسيحيين ولهذا تقرب البايات من هؤلاء ومنحهم الاحترام لان السلطة ترى فيهم وسيلة لفرض السيطرة وفرض الهدوء على القبائل من جهة اخرى، وقد سعت ايضا للحصول على مباركتهم واستخدامهم كوسطاء،

وفي هذا السياق ذكر ابن الفكون ان اهل المخزن كانوا يعطونهم على ان يولونهم المناصب ، وحتى رجال العساكر والبحرية كانوا يطلبون بركاتهم والدعوة لهم وكانو يطلقون طلقات مدفعية احتراماً لهم<sup>1</sup> . ويتضح ذلك من خلال عبارات الوقار والاحترام الواردة في الرسائل الموجهة لهم والتي كانت تصدر حتى من البايات انفسهم وحتى من الدايات.

من ضمن عوامل التقرب من المرابطين ان بعض البايات أنفسهم اعتقدوا بالكرامات التي قيلت حول بعض المرابطين فقد ذكر احمد بن مبارك العطار ان الباي حسين بوحنك الذي حكم البايلىك من 1736الى 1754 قد تآثر باحد المرابطين ويدعى الشيخ الشليحي وكان يؤمن بانه صاحب كرامات ويهابه فاعطاه دارا تعرف بدارالشليحي واقام له زاوية في منطقة أولاد عبد النور بضواحي جيجل وقام باعفائه من دفع الضرائب وغيرها<sup>2</sup>

<sup>1</sup> : عبد الكريم ابن الفكون: منشور الهداية في من ادعى العلم والهداية،تحقيق ابو القاسم سعد الله،، ص136

<sup>2</sup>:الحاج احمد بن مبارك بن العطار: تاريخ بلد قسنطينة، المصدر السابق، ص129

تكليفهم بادوار من قبل السلطة، فقد كلف مرابطي بنو مقران بجيغل بحماية رحلة القوافل المنتظمة والمرافقين لها من مرحلة الى اخرى من كل قبيلة كانت تمر باراضيها وكذلك كانوا ايضا مكلفين بالتفاوض مع القبائل للتزود بالخشب الموجه لصناعة القوارب البحرية، وهي اخشاب تعرف بها منطقة بني فوغال بالمنطقة<sup>1</sup>، كما اعتبرت الزاوية بمثابة ملجا لكل من هو هارب من العقاب والقتل ولهذا كان للزاوية حصانة ولا تقترب منها السلطة، وقد تعرضت المصادر التاريخية التي اهتمت بدراسة العلاقة مع الطرفين لعدة رسائل متبادلة، والمتعلقة بمنح امتياز حق اللجوء الى بعض الزوايا على غرار الرسالة الموجهة من الداوي علي باشا الى المرابط الحاج مُجَّد أمقران بجيغل والمؤرخة في سنة 1224هـ الموافق 1809م جاء فيها: (..وما ذكرتم لنا فيه على شان عارو خوجة انه هرب الى داركم ودخل تحت حرمتكم وطلبتم منا ان نعفوا عنه ونؤمنه لوجهكم... فعليه الامان ولا يخاف فلا نضره بشيء فلو كان مرادي في اذيته لفعلت ولكن هو في دارك وفي أمانك...)<sup>2</sup>

وتبين هذه الرسالة الامتياز الذي منح إلى المرابط حول منحه سلطة حماية من يلجا اليه دون تدخل السلطة، وحسب شارل فيرو ان الداوي كان هدفه تجنب الصعوبات أكثر من اقتحامها. ويضيف ان طريقة كتابة الرسالة تبدو وكأنها من الداوي الى شخص أعلى منه مرتبة<sup>3</sup> ويتضح من خلال ذلك مدى هيبة هذا المرابط الى درجه منحه مثل هذا الامتياز.

وتلك الأوامر التي صدرت من الحكام لتسهيل مهام المرابطين للقيام بمهام معينة وقد ذكر شارل فيرو في كتابه حول تاريخ جيغل رسالة علي باشا الى المرابط سي مُجَّد أمقران والي أشرف جيغل سنة 1224هـ -1809م، التي بموجبها كلفهم بملاحقة وتعقب المحرضين على الفتن حيث جاء فيها: "...لنا عندكم حاجة تقضونها وهي ذلك الرجل الذي يغر الناس بالكذب ويقودهم الى الفساد... فاجتهدوا واحرصوا على الظفر به ونكافتكم بما يرضيكم"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> شارل فيرو، تاريخ جيغلي، ترجمة عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية للنشر، الجزائر 2011 ص 144، 145،

<sup>2</sup> : L.Charles Féraud : **Les Cherifs Kabyles**, op. cit

<sup>3</sup> .: شارل فيرو، تاريخ جيغلي، تحقيق مُجَّد سرحان، المصدر السابق، ص 170.

<sup>4</sup> نفسه، ص 170.

على الصعيد الاجتماعي، ذكرت المصادر مساهمة المتصوفة في حل القضايا الاجتماعية بفضل ما يملكونه من نفوذ وفي التجمعات القبلية الكبرى سيطر نظام الجماعة، وفي نفس السياق ذكر **ادموند دوتي** دور الصلحاء في الوساطة لحل النزاعات وبين انه بمثابة دور العدالة.<sup>1</sup> كما ساهم هؤلاء في الاشراف على المؤسسات الدينية التعليمية كالزاوية، والمساجد، مما ساعدهم على اكتساب مكانة وسط السكان، الى حد الاعتقاد بأضرحتهم ومباركتهم والقيام بعدة زيارات لهم الى حد التقديس. وقد عمل المرابطون وشيوخ الطرق الصوفية على جعل مؤسساتهم مأوى لعابري السبيل والزائرين والمسافرين للأكل والشرب، وهو مكان يتم فيه الفصل في مختلف القضايا، واصلاح أحوالهم الفاسدة ونشر التعاون بينهم، كما اعتنت بتوعية السكان وتوجيههم توجيهها روحيا خاصة في فترة الحروب،<sup>2</sup> الى حد قول **أبو يعلى الزواوي** ان هذه المؤسسات اي الزوايا، لا تختلف عن مختلف المؤسسات والشركات العملية الخيرية المقامة بأوروبا وأمريكا بأموال أولى البر من الوصايا والأوقاف ونحو ذلك.<sup>3</sup>

على الصعيد السياسي، كان المرابطون يتمتعون بنفوذ هام ومكانة، وقد أثبت ذلك ما ذكرته التقارير الفرنسية ودليل ذلك ما جاء في مقتطفات القنصل الفرنسي دييواتانفيل سنة 1809م، بقوله: "وجوب العمل لكسب المرابطين الذين هم يتمتعون باحترام كبير من طرف السكان وينقادون انقياد تام، لقد تعرفت على عدد منهم ممن يسكنون الجبال سواء من الناحية الشرقية أو الغربية، الذين يقومون بزيارتهم"<sup>4</sup>، ثم مع مرور الوقت اكتسب شيوخ الزوايا ورجال الصوفية مكانة هامة خصوصا بعد تأييد الشيوخ والزعماء المحليين، وقد تقلد هؤلاء مناصب سياسية، فمزجوا ذلك بين السلطة الدينية والسياسية،

<sup>1</sup> ادموند دوتي : الصلحاء، ترجمة مُجد ناجي بن عمر، افريقيا الشرق للنشر، المغرب 2014 ص 125.

<sup>2</sup> فهيمة مبارك: بلاد الزواوة في ظل الحكم العثماني، مرجع سابق، ص 77.

<sup>3</sup> أبو يعلى الزواوي تاريخ الزواوة، مراجعة وتع، سهيل الخالدي، ط1، 2005، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ص118.

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني: وراقات جزائرية، مرجع سابق، ص 250، 251.

كما قبلت القبائل البربرية تدخل المرابطين لوقف التطاحن، ولا شك أن ذلك هو الدور الأساسي للمرابطين الصالحين ولا سيما في الأرياف حيث انعدمت السلطة، فمراقبة القوافل ومراقبة الأمن العام والاشراف على الزواج او الطلاق وتمكنوا من التأثير على السلطة نفسها بفضل مكانتهم الهامة<sup>1</sup>.

اذ لا يمكننا أن نجزم أن شيوخ الطرق الصوفية تدخلوا في السياسة وتقربوا من الحكام لأغراض مختلفة كما ذكرنا سابقا، ومنهم من ابتعدوا عن السياسة وركزوا اهتماماتهم بالقضاء والفتوى وغيرها. ومنهم من أعلن معارضة صريحة ووصل الحد الى حمل السلاح ضدهم، وفي مطلع القرن التاسع عشر عرفت الجزائر سلسلة من الثورات الشعبية قادها رجال الزوايا والمرابطين في بلاد القبائل كان ينظر الى شيخ الزاوية على انه له قدرات خارقة ومصدرها من البركة الالهية وقد تحصن بالمرتفعات بفضل بركة هؤلاء<sup>2</sup>

ويذهب البعض الى اضافة خاصية اخرى كونهم محليين وهم مستويات مختلفة الصالح المحلي الذي يمارس نفوذه في قرية واحدة ومنهم من يمتد نفوذه الى القبائل والقرى الاخرى والاكثر توقيرا واجلالا في البلاد هم المنحدرين من نسل مولاي ادريس مؤسس فاس، وفضلا عن ذلك ففوة النفوذ لا تقتصر على الذين امتد تأثيرهم امتدادا كبيرا بل ان من بين هؤلاء من لا يمارس نفوذه الا في مجال ضيق نسبيا، فيصبح السيد المطلق، وقد ذكر المؤلف انه عندما دخل -ديفولكس- الى منطقة بني جعد بتادلة قيل له: ليس هناك لا سلطان ولا مخزن فليس هنا الا الله وسيدي بن داود...<sup>3</sup>

وقد كان السكان يعتبرون شيوخهم في مرتبة اعلى من السلطان نفسه<sup>4</sup>

اما القبائل التي لم تستطع ان تتصل بشريف معروف اتخذت لها شريفا ذو اخلاق حميدة حسب السكان، والقبائل التي لم تتخذ هذا المسار اصبحت استثناء، وكلما سالتهم عن جدتهم يجيبونك بطرق متفاوتة انه قد جاء من الساقية الحمراء<sup>5</sup>

<sup>1</sup>Dumas E, **Mœurs et Coutumes de l'Algérie** Paris 1853,p21

<sup>2</sup>ادموند ذوتي: **الصلحاء**، المصدر السابق،ص36

<sup>3</sup> . نفس المصدر37

<sup>4</sup> نفس المصدر، ص39

<sup>5</sup>نفس المصدر، ص71

وفي منطقة الميلية في بني فرقان نشطت كثيرا هذه الخرافات المتعلقة بالشرفاء وغيرهم فقد ذكر **دوتي** ان احد الشيوخ وهو شيخ بني فرقان نفسه سنة 1804م، عندما وصل الباي عثمان على راس جنوده وهلاك جنوده قد سمع صوت ثلاث طلقات مدافع من الجبل الذي فيه ضريح هذا الولي وهذه الطلقات هي التي اهلكت جنود الباي حسب الخرافة<sup>1</sup>، ولكن هذه القصة لا تتماشى مع مختلف الروايات التي ذكرت كيفية هلاك جنود الباي<sup>2</sup>

ومن الامتيازات التي تمتع بها هؤلاء الاعفاء من دفع الضرائب ومن الاشغال الشاقة وكان هؤلاء محل استشارة عند الظروف القاهرة وكانوا يتحكمون في النزاعات وكانوا محل احترام في كل مكان يتجولون فيه، واحترام العامة لهم انتقل الى احترام الحكام لهم ايضا لكي لا يثيرون غضب الرعايا واسراع السكان لتأمين حاجة الصالح بعدما يلجأ الى الانعزال في كوخه ثم يلحون عليه بالبقاء فيبدا صلاحه في الانتشار فتقطع له قطعة ارض وتهدى له امرأة<sup>3</sup>

وقد امتد نفوذهم كذلك الى ان اصبحوا يقومون بدور العدالة حين تتصارع القبائل مثل القبائل الحدودية الجزائرية التونسية، فكانوا يقومون بالصلح والتسامح وكانت العامة من الناس تلجأ اليهم لفض النزاعات<sup>4</sup> كما استطاعت هذه الفئة كسب ود الاتراك وهناك عدة مراسلات بين الطرفين تتضمن عبارات المجاملة والاحترام، والوعد بالهدايا ولم تفوت فرصة التعبير عن الاحترام لهم وتقديم التنازلات والاعفاءات المخزنية، وتركت لهم اختصاصات سياسية كحق اللجوء والعفو<sup>5</sup>، وهذا ما ذكره العنتري عند مطاردة احمد شاوش القبائلي سنة 1808 فتحصن بزاوية الفكون.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> نفس المصدر، ص 83

<sup>2</sup> Voir : Luciani : **Oulad Atia et Ouad Zhou**, in R ;A ;1899 ;pp

<sup>3</sup> دوتي: الصلحاء، المصدر السابق، ص 88

<sup>4</sup> نفس المصدر، ص 126

<sup>5</sup> Rumelet C ;T; **l'Algérie légendaire**, librairie Adolphe Jourdan

1892 ;Paris, pp224-225

<sup>6</sup> انظر العنتري: فريدة منيسة، ص 100

ومن الامثلة حول ما جاء حول عبارات الود والوقار ما جاء في رسالة الداوي علي باشا الى المرابط مُجَّد مقران<sup>1</sup>: 'مقام المكرمين اولادنا كبير جيغل ومشايخهم والمرابطين خصوصا السيد مُجَّد امقران المرابط سدده الله".

#### - نماذج من مواقف التقارب :

كان للزعامات الدينية دورا هاما في تثبيت حكم البايات والمساهمة في الحفاظ على الامن بالمنطقة، ومثال ذلك منح يوسف باشا شيخ منطقة الخنقة بالزاب وجبل شرشار لاحمد بن سيدي مبارك فاصبحت الخنقة تابعة للباييك رغم احتفاظ شيوخها باستقلال شبه تام، وقد ذكر علي الشابي انه يملك امر من عبد الله بن اسماعيل باي 1218-1221 هـ-1804-1806 م، مؤرخ في شهر شعبان 1221 هـ، اكتوبر 1807 م، وهذا الامر يقضي باحترام الشيخ الراعي ابن عبد الله بن الكنوز الشابي، -اولاد الراعي هم فرع من فرقة الشابية استوطنوا قرب عنابة-وجاء في الامر: لا يتعدى احد على اسلافه واجداده بل هي باقية بيده ونفعها عائد عليه لا ...دخل لاحد فيه ولا ييلزمه فيها شئ من المطالب المخزنية والوظائف السلطانية<sup>2</sup> ، وقد كانت زاوية الخنقة ملجا للمغضوب عليهم وتلقى شيوخها ظهائر من البايات واعتمد عليها من قبل بايات الشرق الجزائري وتونس لحل نزاعات كثيرة وهذه الظهائر تدل على احترام الحكام للمتصوفة وتبجيلهم ، كما اعفى البايات عددا من الزوايا من دفع الضرائب ومنها زاوية الاخضري بين طيوس وقد نصت الوثائق على ضرورة احترام الناس لعائلته ونسبه<sup>3</sup>

وقد كان العثمانيون يؤمنون بالاولياء الصالحين ويعتقدون في كراماتهم رغم علمهم بممارستهم للشعوذة والدجل، وقد كانوا يجددون امتيازات للمتصوفة ومثال ذلك ما قام به الباي مصطفى انجليز عندما عين بايا على الشرق الجزائري فقام بتجديد الاعفاء الضريبي للمرابط مُجَّد بن كوجك علي بوثيقة مؤرخة في سنة 1798 م، ونفس الاجراء قام به الباي عثمان بن مُجَّد بوثيقة مؤرخة في شهر ماي 1804 م، وقبل الذهاب الى الحرب ضد تونس، قام الباي حسين بن صالح 1821-1822 م بمنح اموالا لزاوية سيدي علي العريان

<sup>1</sup> : L.Charles Féraud :les Chérifs Kabyle, op cit p

<sup>2</sup> انظر علي الشابي، ص77

<sup>3</sup> .ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الاسلامي بيروت 1998 ص470

استلمها الوكيل مُجَّد بن سي السعيد، وذلك بهدف بناء دار واصلاح مسجده والاقواف<sup>1</sup>، وكان الهدف من وراء ذلك الحفاظ على الاستقرار في فترة غياب الباي، كما منح البايات شيوخ الزوايا والمرابطين بالاوراس كل الامتيازات من خلال اعفاءهم من المطالب المخزنية ومنحهم اقطاعات وهدايا، واصدروا الفرمانات مثال ذلك رسالة الباي مُجَّد منماني 1239هـ-1241هـ-1824-1826م، ورسالة احمد باي سنة 1242هـ-1827م الى احدى العائلات ببلزمة بالاوراس وكل ذلك مقابل مصلحة تامين الطرق عبر وادي عبيدي لكي تمر الحامية العسكرية ببسكرة والتحكم في القبائل القوية<sup>2</sup>

وهذه السياسة في منطقة بلزمة قد اعتمدت على تجنيد قبائل اولاد بوعون واعطائهم امتيازات ودعم العائلات ذات النفوذ في المنطقة مثل عائلة احمد بن بوزيد، الذين اعتقدوا في صلاح شيخها احمد بن بوزيد<sup>3</sup>

وكان بن عزوز البرجي 1233-1817م المعروف في منطقة الزاب وبسكرة وهو تلميذ عبد الرحمن الازهري، فقد كان العامة يطلبون منه اخماد الثوار نظرا لمكاتبته<sup>4</sup>

ولهذا استطاع الحكام ان يستميلوا هذه العناصر بشرط ان لا يتدخلوا في شؤون البايات حفاظا على امتيازاتهم، وتعززت هذه المكانة للزعماء الدينيين بفضل الامتيازات، وهذا ما يفسر ازدياد نفوذهم في الارياف حيث استطاع هؤلاء ان يسيطروا على اذهان الناس واصبحوا يتمتعون بثروة مالية ضخمة واجتماعية اضافة الى المكانة الدينية التي هددت سلطة البايلك، فقامت السلطة باتباع سياسة لينة تجاههم واعتمدت على تمتين الروابط بينها وبين القوى الدينية ووظفهم بمهارة واحاطوهم بالتقدير والاحترام وباقي الامتيازات فقد اصبحت زوايا منطقة القبائل في اواخر القرن 18م وبدايات القرن 19م، تتمتع بثروة مالية واجتماعية هامة واصبحت هي الواسطة الفعلية بين السكان والسلطة فاصبحت من صنف الزوايا الحليفة

<sup>1</sup> . حول سياسة صالح باي الوقفية، انظر قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي، ص 104-109

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني: وراقات جزائرية، ص 42-422

<sup>3</sup> . صباح عتارسية: موقف الحكام والعلماء من المتصوفة في الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ

الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2017-2018، ص 110

<sup>4</sup> انظر : مُجَّد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف ج2، مطبعة فونتانا الجزائر 2010، ص 330.

التي احتفظت بعلاقات قوية مع الحكام، وبالمقابل استطاع الاتراك ان يؤمنوا الطرق ويضمنوا مرور الحاميات العسكرية من الجزائر الى بجاية عبر جبال اكفادو على كامل المنطقة تحت العناية المرابطية لايت زلال وابن ايجر<sup>1</sup>

كما استطاعت السلطة ان تحافظ على علاقاتها مع الزعامات الدينية المحلية وابعاد كل تهديد للحكم المركزي مصدره بلاد القبائل وجعل الزوايا هي الوسيط بين الادارة وسكان القبائل، كما خولت لها مهام القيادة في بيئة صعبة رافضة لكل امر، وهذا ما ساهم في ازدياد نفوذها فاصبحت تحقق توازن حقيقيا محليا في الريف القبائلي<sup>2</sup>

وبالتالي يمكننا ان نستنتج ان من اهم عوامل التقارب هذا هو منح الامتيازات اما الغاءها يعني بالضرورة تغير العلاقة نحو العداء بين الطرفين وظهور حركة التمرد والثورات.

ان اهم الامتيازات التي تحدث عنها المصادر والوثائق كانت امتيازات الإعفاءات الضريبية والتي كانت القبائل تدفعها بالاضافة الى امتياز منح الاراضي وضمان حرية التنقل وضمان حمايتهم، والملاحظ ان هذا الامتياز منح لبعض المرابطين وشيوخ الزوايا حتى في بعض المناطق البعيدة عن سلطة البايلك ولبعض الشيوخ غير المعروفين، ودليل ذلك وجود وثائق هذه الامتيازات ضمن احدى الزوايا الرحمانية بإحدى القرى التابعة لحالية لبلدية سدراتة بولاية سوق اهراس حول اعفاء شيوخ زاوية اولاد بوكحيل من الالتزامات الضريبية وضمان الحماية لهم عند القيام بتحركاتهم ، جاء في إحدى الوثائق التي ترجع الموجودة في هذه الزاوية والمؤرخة في اواخر شهر شعبان سنة 1220هـ-1805 م وهي صادرة من البايع عبد الله الذي تولى البايلك من سنة 1804 الى 1806، "...عمار بن ساسي البوكحيلي على أننا أنعمنا عليه وحررناه من جميع المطالب المخزنية والوظائف السلطانية، لا يتعدى عليه احد ولا يقربه باذائه ولا بمكروه كل ذلك منا لوجه الله العظيم..." ، وتضيف وثيقة اخرى تابعة في نفس الزاوية حول منح نفس الامتياز المؤرخة في أوائل شهر ربيع الثاني عام 1226هـ-1811م في عهد البايع محمد النعمان الذي تولى البايلك

<sup>1</sup> صباح عتارسية: موقف الحكام والعلماء من المتصوفة...، المرجع السابق، ص120

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص122

من 1811 إلى 1814م<sup>1</sup> جاء فيها: "...اولاد بوكحيل على أننا أنعمنا عليهم وحررناهم من جميع المطالب المخزنية والوظائف السلطانية بحيث لا يطالبهم احد بشيء ووصينا بجرمهم واحترامهم ورعيهم وإكرامهم إنعاما تاما..."، ومن خلال هذه الوثائق المخطوطة يتبين ان هذه الظاهرة اي الامتيازات الممنوحة لهذه الفئة من اعفاءات ضريبة كانت شاملة عبر أنحاء البلاد ولم تقتصر على منطقة دون اخرى لما لها ما تثير في وقوفها تجاه السلطة العثمانية.

### ثانيا: الصراع بين شيوخ الزوايا والمرابطين وسلطة بايات الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني:

من ابرز التطورات الهامة في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر هي تغير العلاقة بين شيوخ الزوايا وسلطة البايات نحو الصراع والتحريض على الثورات ويرجع ذلك الى العديد من الاسباب.

ان المرابطين كانوا صنفين كما ذكرت المصادر، صنف مارس التصوف الحقيقي المبني على العلم تمسكوا بمواقفهم وصنف من اصحاب البدع كانت السلطة تتغاضى عن بعض تصرفاتهم وعرفوا بابتزاز اموال الناس بالباطل وغالبا ما استخدمتهم السلطة لجانبها<sup>2</sup>، وأصبحت هذه الفئة وكأنها طبقة ارستقراطية، عبر عنها ابن الفكون بقوله: (ياكلون الدنيا بالدين)<sup>3</sup> وهذا ما يفسر في بعض الحالات القطيعة مع السلطة و شعور السلطة بازدياد خطر هؤلاء وعدم اعتراف البعض منها بسلطة البايات معناها انه ليس كل المرابطين قد تحالفوا معها.

هذا التحول تجاه السلطة العثمانية في بايلك الشرق الجزائري في نهاية العهد العثماني ازداد خاصة منذ مقتل صالح باي سنة 1792م، وقد تأثر ذلك بالتطورات التي عرفتھا المنطقة والاضطرابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ومن ضمن العوامل الاخرى التي ساهمت في نمو شوكة المرابطين انتشار البدع والخرافات المتمثلة في الاعتقاد بالكرامات وهذا ما ادى الى ابتعاد هؤلاء عن التصوف ومشاركتهم وتورطهم في عمليات الفساد والفوضى، وتحالفهم مع الولاة الفاسدين، مثلما عبر عن ذلك الشيخ الفكون ان ينسب

<sup>1</sup>: وثائق زاوية اولاد بوكحيل (سدراتة)

.عبد الكريم ابن الفكون: منشور الهدايا...، المصدر السابق، ص131

<sup>3</sup>. نفس المصدر، ص120

البعض منهم الذين صنّفهم من الدجالين الكذابين الى المتصوفة وهم بعيدين عنهم وهم من اراذل الناس ، ويضيف بأنهم قد احلوا الرشوى بأفعالهم وطائفة منهم أعلنت بان سابق الاقدار منوطة بإرادتهم ولهم تأثير حتى على الكون، فزادت بهم العامة شغبا الى شغبيهم وتشويشا داخل القلوب<sup>1</sup>، ويضيف بأنهم كانوا ياخذون الزكاة والعوايد وهذا ليس من شروط التصوف<sup>2</sup>.

ويرجع لويس رين ذلك التحول إلى ازدياد نفوذهم ودورهم السياسي فقد كان لهم تأثير كبير وأكثر اتساعا خاصة بعد استغلال السلطة لهم واستغلال مكائهم ونمو تأثيرهم الفكري<sup>3</sup>، فقد كان العديد من السكان يرون فيهم قادتهم وأنهم بمثابة ارواح منزلة من السماء ولهم قدرات خاصة خارقة للعادة، فأصبحوا بمثابة دولة داخل دولة لدرجة ان نفوذ شيخ زاوية استطاع مواجهة السلطة الحاكمة المجسدة في الداى نفسه<sup>4</sup>، وحسب هذا الاخير ان من الضروري بعد اي انتفاضة كان لا بد من القضاء على تأثير الزاوية التي استطاعت تجنيد الثوار بفضل تنظيماتها وخاصة الرحمانية والقادرية<sup>5</sup>

وحتى بعض الطريقة ورجالها المصلحين ربما استاءوا من سياسة بعض البايات وغيروا من مواقفهم بسحب تأييدهم وإسقاط المشروعية.

كما ذهب البعض الى اعتبار القوانين الداخلية للطرق الصوفية والالتزام بها سببا في اشتداد قوة ثورة القبائل عند القيام بثورة، لان انضمام الفرد تجعل منه خاضعا تماما لها وتحت تصرف مقدمها (كونك بين يدي شيخك كممثل الجسد بين يدي الغسال)<sup>6</sup>، وبالتالي هذه الثقة العمياء للشيخ والتي تضمن الحماية له حتى الموت من اجل الدفاع عنه وعدم إخفاء اي سر شخصي أمامه مثلما لا يخفي المريض مرضه أمام

<sup>1</sup> عبد الكريم ابن الفقون: منشور الهداية...المصدر السابق، ص33

<sup>2</sup> نفسه المصدر، ص125

<sup>3</sup> :Louis Rinn, **Marabouts et Ekhouanes** ;Alger, ed :adolphe jourdan1884  
cit,p103.

<sup>4</sup> :Ibid,p106.

<sup>5</sup> :Ibid,p108.

<sup>6</sup>:Ibid ;p86

طبيبه، تصبح بمثابة عقد شخصي<sup>1</sup>، وهذا ما يفسر التفاف العدد الهائل من المؤيدين حول شيخهم، بالإضافة ان هذا التضامن يمكن ان يكون طمعا في بعض المكاسب، بالإضافة إلى طقوس الحضرة والزيارات وتقديم الهدايا و الاموال التي تجمع ليتم الاحتفاظ بها بها من طرف المقدم لتستخدم وقت الاضطرابات وعند اعلان الثورات<sup>2</sup>.

لقد اعتمدت السلطة في بايلك الشرق الجزائري على القوة وعلى القيادات المحلية المتعاونة معها لفترة طويلة من الزمن منذ بداية الحكم العثماني حفاظا على المصالح وبهدف احكام السيطرة، لكن مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر للميلاد تطورت العلاقة نحو التوتر والعداء، ولم يكن ذلك صدفة بل تحكمت عوامل عديدة في تغيير هذه العلاقة ومن اهمها:

ضعف العلاقة بين رجال الدين وسلطة البايات منذ نهاية القرن الثامن عشر بتغيير سياسة الاتراك الداخلية نظرا لتراجع مداخليل البحر، والتي عوضت بمداخليل جباية الضرائب التي اكهلت كاهل عامة السكان، واستخدمت السلطة القوة العسكرية لجباية الضرائب والحملات العسكرية، ومع اشتداد قبضة البايات ومحاولاتهم القمعية لاختضاع القبائل سعى رجال الدين والمتصوفة الى الدفاع عن السكان الاهالي ثم تزعم هؤلاء حركات تمرد وعصيان بدأت بقوة مع بدايات القرن التاسع عشر ميلادي،

كما ان تضيق الحكام الخناق على الشيوخ وحرمانهم في بعض الاحيان من الامتيازات ساهم كثيرا في تحول العلاقة نحو العداء<sup>3</sup> والاكثر من ذلك فرض عليهم دفع الغرامات مثل ما جرى مع الشيخ المرابط - الزبوشي - شيخ زاوية ميللة الذي تمتع بمكانة هامة في ضواحي ميللة، واستطاع ان يؤثر على العامة من السكان بفضل نفوذه الواسع،<sup>4</sup>

وكذلك السياسة التي اتبعها البايات تجاه الزوايا المنافسة لنفوذهم فتخوفوا من علاقات الزوايا الخارجية وحاولوا الابقاء على الروابط واتباع التهذئة احيانا وعدم قبول بعض الزوايا لبعض الاصلاحات ومنها

<sup>1</sup>:Ibid ;p86-91

<sup>2</sup>:Ibid,p96

<sup>3</sup> .صباح عتارسية:موقف الحكام والعلماء من المتصوفة...، المرجع السابق، ص128

<sup>4</sup> أنظر مقال، زبوشي وعصمان باي، ضمن المجلة الافريقية العدد، 6 السنة1862

الاصلاحات المتمثلة في انشاء المدارس لمحاربة الزوايا وخاصة الاصلاحات ونتائجها بعد سياسة صالح باي<sup>1</sup> ويمكن ان نقول ان هذه السياسة قد ادت الى تأييد سكان الريف لرجال الدين والمتصوفة نظرا للمعاناة التي كانوا يعانونها نتيجة لسياسة فرض الضرائب بالقوة وكذا السياسة التعليمية المطبقة وهذا ما عرف بسياسة التهميش فكان رد الفعل هو العنف وقيادة الثورات الدينية المعادية للسلطة.

لقد تمثلت ردود فعل البايات في اتباع العنف تجاه اي محاولة للتمرد وقد اعتمدوا على القوى الدينية ولكنها لم تستطع السيطرة، كما تخوفت السلطة من نفوذ الطريقة ومثال ذلك في منطقة القبائل تخوفها من مؤسس الطريقة الرحمانية عبد الرحمن الازهري والذي اتهم بالزندقة من قبل بعض الفقهاء، وقد انعقد مجلس علمي برئاسة المفتي المالكي علي بن عبد القادر بن الامين لكنه قام بسحب التهم المنسوبة اليه<sup>2</sup> ن وقام اتباع الرحمانية بالثورة على المرابطين المحليين والعلماء بسبب هذه التهم، وانتشرت تعاليمها على يد تلميذه سي علي بن عيسى، فسعوا الى وقف الزيارة الى زاوية ايت اسماعيل، وسرقة دثمانه للفت النظر<sup>3</sup>

و في بداية القرن 19م تخلصت المنطقة من نفوذ السلطة الحاكمة بعد وفاة سي المكّي امقران رغم محاولة القائد يحيى اغا ارجاع الطاعة ، وقد كتب لبني جاد بعد رفضهم السماح باستغلال حطب منطقة تامغوت بساحل المنطقة وقال لهم: "...ان طلب السلطان التنازل عن الاشجار لمساعدة الدين فهذا واجب مقدس للجميع، ورفضه يعني احتقار الاسلام، وتعلمون ما جاء في الحديث عن وجوب طاعة السلطان..."<sup>4</sup>

وهذا التطورات بدأت من قبل في بايلك الشرق الجزائري حيث اشتدت قبضة السلطة على رجال الدين خاصة منذ عهد صالح باي ولهذا لم يتمكن بعض الزوايا قد حافظت على علاقتها مع السلطة ومنها الزاوية

<sup>1</sup> ..حول اصلاحات صالح باي واثرها انظر سعيدوني، ورقات جزائرية، ص254

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، ص140

<sup>3</sup> .صباح عتارسية:موقف الحكام والعلماء من المتصوفة...المرجع السابق، ص137

<sup>4</sup> :نفس المرجع، ص139

الحنصالية ، وقد لجأ إليها الشاعر بلقاسم الرحموني خوفاً من البايع وعرض شعراً سنة 1803م، حول  
الأوضاع المزرية التي الت إليها المنطقة<sup>1</sup>

كما أن زاوية سيدي عبيد بتبسة كانت بمثابة مركز معارضة دينية تجاه السلطة العثمانية، فقد تعرضت  
لمضايقات من قبل عائلة بن زكري وكذلك من قبل شيخ الخناشنة، وأصبح قتل المرابطين عادة من قبل  
الأتراك خاصة بعد ثورة ابن الأحرش حيث قتل البايع إبراهيم الكريتلي 1822-1824م ابن المرابط  
سيدي إبراهيم بن محمد بن سعيد بعدما عقدت مقابلة بينهما لم يعرف موضوعها.

لقد أدى التصادم وتضارب المصالح بين المرابطين والسلطة إلى الرغبة في الانتقام من قبل بعض المرابطين  
الذين حرضوا على الثورات ضد الوجود العثماني ونمو الكره الشديد والحقد في نفوس البعض منهم إزاء  
ردود فعل بعض البايعات، خاصة إذا اجتمعت هذه العوامل كلها مع تأثير المرابط الديني الكبير على  
الأهالي، وإجراءات نزع امتيازات للبعض منهم والتي تعد عقاب كبير ولها تأثير كبير في نفسية هؤلاء، فهذه  
الامتيازات مثلت بالنسبة لهم وكأنها حق الهي وعند اليأس من استرجاعها تصبح الجبال والمرتفعات ملاذاً  
للتحريض والتخطيط للقيام بثورة والانتقام، وهذا ما يمكن استنتاجه من خلال أهم ثورة حرضت عليها  
الطرقية في بايلك الشرق الجزائري في بدايات القرن التاسع عشر، والتي تجمعت فيها كل هذه الشروط،  
لعب خلالها الشيخ عبد الله الزبوشي أشهر مرابطي. ميله الذي اعتبر من أهم المحرضين على ثورة ابن  
الأحرش سنة 1804م ضد البايع عصمان، وضد الهيمنة التركية بصفة عامة، وسبب تحريضه على الثورة  
نمو الكره الشديد والحقد في قلبه عندما تولى عثمان بايع الشرق الجزائري سنة 1218هـ - 1804م،  
والذي تمتع بشعبية واسعة و تأثيره الكبير بمنطقة ميله على الأهالي، وأهم دافع هو تجريدته من امتياز عدم  
دفع الضرائب والذي اعتبره نوع من العقاب الشديد وعندما فشل في استعادة هذا الامتياز قام  
بالانسحاب إلى القبائل المحيطة بالمجرى الأيسر للوادي الكبير بجيجل وكان يقول بأنه ضحية لسياسة  
الحكام الأتراك ولكنه التزم السرية والحذر الشديد في تحضيره للانتقام، وعمل على حشد المؤيدين له بعيداً  
عن أنظار الأتراك، وقد كان يصرح لأنصاره بأنه قادر على القضاء على البايع وقد أقسم بوضع رجله فوق  
عين البايع العمياء.

<sup>1</sup> :ستعرض إلى قصيدة بلقاسم الرحموني حول قسنطينة في فصل التطورات الثقافية.

من عوامل نجاح حركته ظهور شخصية عبد الله ابن الاحرش ودعوته للثورة على الأتراك في نفس السنة والذي استغل أنصاره وكره تلك المناطق للتواجد التركي<sup>1</sup>، وكان يعد أنصاره بالانتصار على الباي أيضا، واستغل قوة تأثيره على العامة وادعاءه بقدرته وكراماته، مستخدما هذا النوع من الخطاب بقوله: (حين تصلوا إلى البلد نضع يدي على بابها يفتح من غير مفتاح، وأذنهم أن يعمرؤا مكاحلهم بالتراب يرجع بارودا وبارود أهل قسنطينة يرجع ماء في مكاحلهم ومدافعهم...)،<sup>2</sup> ونفس الرواية نجدها في كتاب الحاج احمد بن مبارك ابن العطار. ويضيف ابن العنتري انه استطاع التأثير على اتباعه بقوله: (...وجاءت معه كل القبائل كالجراد المنتشر من كون الشريف طمعهم بكلامه وغرهم بفطنته وافتراءه قائلا لهم امشؤا معي إلى قسنطينة كي ندخلها فغنمؤا أرزاقها ونسكنؤا ديارها...)،<sup>3</sup> وتتطابق أيضا هذه المعلومات حول الحشد الكبير الذي كان معه فقد ذكر اب العطار انه جمع حوله ما يزيد عن المائة ألف من الانصار<sup>4</sup>، وهذا الكم الكبير يؤكد قوة التأثير لهذه الشخصيات وتأكيد هذا التحالف بين الزبوشي وابن الاحرش، وهذا ما يفسر سهولة جمع المؤيدين في منطقة لا يعرفه ابن الاحرش وغريب عنها<sup>5</sup>، وقد ذهبت بعض المصادر إلى أن هذه الحركة كانت بمثابة دعوة دينية استطاعت جمع عدد كبير من القبائل حول منطقة وادي الزهور وان من عوامل نجاحها الدور الاجتماعي الذي لعبه هذا الشريف في الإنفاق على المحتاجين وتقديم الغذاء والدفاع عن أغراضهم<sup>6</sup>، كما عرف باستخدامه للاستخدام الخاطبي المؤثر بقوله: (الوقت قد حان منحكم الله قادتكم محمد بن الاحرشن هو محرركم، هو سيد العصر، انهضؤا كلكم لان الله سيمنحكم بونة قسنطينة وحتى الجزائر)<sup>7</sup>، وهذا الخطاب غير العادي كان موجها في محيط مهيا للقيام بالثورة، فسجد الجميع وعند رفع

<sup>1</sup> : L.Charles Feraud : **Zabouchi et Osman Bey de constantine**, in Revue Africaine, volume6,annee1862,p121

<sup>2</sup> - مخطوط مجهول المؤلف حول اخبار بلد قسنطينة، المكتبة الوطنية بالحامة رقم 2717، الورقة 6.

<sup>3</sup> - محمد الصالح العنتري، فريدة منيسة...المصدر السابق،ص89.

<sup>4</sup> :ابن العطار: تاريخ قسنطينة، المصدر السابق،ص112

<sup>5</sup> : L.Charles Feraud : **Zabouchi et Osman Bey**,op. cit,p121.

<sup>6</sup> :A. berbrugger, **un Cherif Kabyle**, op. cit,p210.

<sup>7</sup> -Ibid,p210.

رؤوسهم رددو عبارة(النصر مضمون)<sup>1</sup>، والأكثر من ذلك أن ابن الاحرش كان دائما يوهم مناصرين بقدراته وكراماته، فقد ذكرت الرواية انه اختفى وراء قبر وجعل منادي ينادي بصوته بين القبر وكأنه من الأموات لإظهار بعض كراماته المزعومة والتاثير على العامة<sup>2</sup>، وبالإضافة الى ادعاءه بأنه شريف من شرفاء ملوك فاس، وهذا ما ذهب اليه ادمونت دوتي الذي أكد أن القبائل التي لم تستطيع ان تتصل بشريف معروف اتخذت لها شريف والقبائل التي لم تتخذ هذا المسار أصبحت استثناء وكلما سؤلوا عن جدهم يجيبوا بأنه قد جاء من المغرب<sup>3</sup>.

لقد اثبت الطريقة قوتها خلال هذه الثورة في مواجهة السلطة التركية حيث استطاع ابن الاحرش أن يثير موجة من الاضطراب والفوضى أثرت حتى على السلطة المركزية ودليل ذلك تأكيد الداوي مصطفى باشا على ضرورة قيام الباي عثمان بالقضاء على هذه الحركة بقوله:(انه في مقاطعتك اعمل ما بوسعك لإخماد ثورته)<sup>4</sup>، وفي رواية أخرى قال الداوي:"...انت في باي تلك الاوطان وهذا الشريف ظهر في حكم عمالتك فواجب عليك تمشي اليه بنفسك وتأخذ منه تارك واقصده أينما كان فاقتله او اطرده من تلك الاوطان..."<sup>5</sup>.

وما نستنتجه هو قوة الثورة ومدى تخوف السلطة الحاكمة من انتشار مثل هذه الثورات ذات الصبغة الدينية خصوصا وان فترة بداية القرن التاسع عشر هي فترة امتداد الاضطرابات على مستوى الايالة.

هذه الثورة نقل أحداثها شارل فيرو من خلال جمع روايات شفوية ومنها شهادة احد الشهود حضر مقتل عثمان باي ويدعى الشيخ طوبال وشهادات أخرى جمعها من احد الشيوخ بميلة حول هذه الأحداث وجمع تفاصيل حول موقع الأحداث اين تم القضاء على عثمان باي<sup>6</sup> عندما اراد ملاحقة ابن

<sup>1</sup>-Ibid,p210.

<sup>2</sup>-Ibid,p210.

<sup>3</sup>.. ادمونت دوتي: الصلحاء المصدر السابق، ص72

<sup>4</sup>-A. Berbrugger, **Un Cherif Kabyle**,op. cit,p212.

<sup>5</sup>. مُجَّد الصالح ابن العنزي: فريدة منيسة... المصدر السابق، ص90

<sup>6</sup> : L.Charles Feraud :**Zabouchi et Osman Bey**,op. cit,p122-123

الاحرش في منطقة بني فرقان الجبلية في ظروف بيئية جد صعبة، حيث قطع الطريق على قوات الباي وانتقال الباي بنفسه مع البقية اين حاصرته قوات القبائل وانتهى الامر بقتل الباي و معه حوالي خمسمائة فرد من الاتراك والفرسان وكان ذلك بتاريخ 1219هـ-1804م<sup>1</sup>، ويضيف بيربريجر أن هذه الأحداث كانت نتيجة سلبية لحقد بعض المرابطين وغضبهم.

لم تتوقف هذه الأحداث التي حرّضت عليها الطريقة والمرابطين ففي السنة الموالية لثورة اندلعت ثورة اخرى في القبائل المجاورة لبجاية وكانت بتحريض ودعم من احد المرابطين بالمنطقة ويدعى بن بركات، وسنة 1807م حاول احد المرابطين ادعى انه شريف آخر أن يجيي ثورة ابن الاحرش لكن فشل وتمت ملاحظته والقضاء عليه بمساعدة المرابط سي امقران المتحالف مع السلطة<sup>2</sup> ن ومع ذلك بقي تأثير هذه الثورات في نفوس العامة والاعتقاد باستمرار الكرامات ففي عهد طوبال باي 1223-1226هـ الموافق ل 1808-1809م عرفت المنطقة جفافا حادا عزل البلاد واثّر سلبا على المنطقة فتوجهت الصيحات لدعوة المرابطين وحضر الشيخ الزبوشي وتقول الرواية انه قد ذبح بقرة سوداء وكان يعد بالمطر، وحسب الرواية أن العامة عندما لاحظت سقوط الأمطار فسرت ذلك بكرامات المرابطين<sup>3</sup>، وهذه الاعتقادات وتصديق العامة بها كانت من اهم الاسباب التي جعلت شيوخ الزوايا منافسين للسلطة ولهم نفوذ هام.

وما نستنتجه ان تغير العلاقة مع رجال الطريقة كان من ابرز التطورات في نهاية العهد العثماني وهذا التغير لم يكن صدفة وانما لفرض سياسة قاسية ضد هذه الفئة وخاصة نزع امتيازاتها علما انها فئة كانت قد اعتمدت عليها السلطة في مهام متنوعة وهذا الخلل في العلاقة الثنائية ساهم في اضعاف البايكك والتاثير على العامة لما تملكه من نفوذ.

---

<sup>1</sup> :A. Berbrugger, **un Cherif Kabyle**, op. cit, p212-213.

<sup>2</sup> :D. Grammand, op. cit, p366.

<sup>3</sup> : L.Charles Feraud : **Zabouchi et Osman Bey**, op. cit, p123-125.

## المبحث الثاني:

### التطورات السياسية الخارجية 1800-1837:

ان من مميزات هذه الفترة المدروسة هي تاثير الاحداث الخارجية الصعبة التي عاشها بايلك قسنطينة ونظرا لامتداد مساحة البايك والتداخل الطبيعي وعامل الحدزد مع تونس وايضا التغيرات الحاصلة في نظام الحكم في تونس كلها عوامل ستؤثر على اوضاع البايك، كما

ان العلاقات مع اوربا وتواجد المصالح الاوربية وخاصة الفرنسية ونفوذها المتغلغل في السواحل الشرقية وامتيازاتها سيؤثر سلبا على تدهور الاوضاع السياسية التي غلب عليها الصراع والتنافس والرغبة في التوسع خاصة بعد سقوط الجزائر سنة 1837

### المطلب الاول: تطور العلاقات مع تونس:

#### اولا: تاثير المجال الحدودي على العلاقات بين بايلك الشرق وتونس:

لقد كانت قضايا الحدود من ابرز الاشكاليات المطروحة في بلاد المغرب الحديث نظرا لانقسامها الى مجال خاص بالدولة ومجال خاص بالقبيلة وهو الذي كان له تاثير اكثر.

لقد ساهم المجال الحدودي الشاسع بشكل كبير على العلاقات بين بايلك الشرق الجزائري تونس و من كلا الطرفين، وكذلك التداخل الاقليمي والتشابه التضاريسي وعامل التواصل الاجتماعي وخاصة القبلي مما اثر كثيرا على العلاقات الثنائية خاصة بين الشرق الجزائري والغرب التونسي.

لقد اصبحت منطقة الجريد بالجنوب التونسي وهي مجال اكثر امتدادا ملجأ للاجئين الجزائريين الفارين من الصحراء الجزائرية من توقرت في عهد اسرة بن جلاب<sup>1</sup>، وهذا راجع خاصة الى احتدام الثورات في اواخر العهد العثماني، اضافة الى ذلك ان مجال الغرابة بالجزائر يلامس الحدود الغربية لتونس واصبح منطقة مفتوحة امام نشاط قبائل اولاد بوغانم بقلعة سينان باش شمالا، وفضاء الهمامة بمنطقة الجريد جنوبا، حيث تستقر في جنوب تبسة قبائل العلالونة والنمامشة والبرارشة وقبائل اولاد سيدي عبيد<sup>2</sup>، وهذه القبائل قد اثرت على الاوضاع السياسية في الشرق الجزائري وعلى تونس وعلى العلاقات بينهما خاصة.

وقد اثر هذا المجال الحدودي في التقارب بين الطرفين من جهة، فقد نتج عنه نوع من المصاهرات وعلاقات القرابة الدموية بين العروش الحدودية، وتشير الوثائق الى ظاهرة الترحال وظاهرة الاستقرار في

<sup>1</sup> رابح فيسة مُجدد: المظاهر العمرانية بين القرى الواحية بتونس والقرى الريفية بالجزائر، دراسة مقارنة، مجلة القرطاس، ع 2، 2015، ص 153 .

<sup>2</sup> ادريس رائسي: القبائل الحدودية التونسية الجزائرية بين الاغارة والاجارة، الدار المتوسطة للنشر، تزنس 2016 ص 23

نفس الوقت، واتفقت الوثائق على وجود هذه الحركة المستمرة للقبائل في اتجاهات عديدة، خاصة وان مجالات الحدود بين الطرفين لم يشمل المنطقة الحدودية الواقعة جنوبا ولهذا كانت هذه المناطق تتداخل ويتسع نطاقها حسب قوة القبيلة ومصالحها الاقتصادية والاجتماعية وهو ما ادى غالبا الى عدم اعتراف سكان المناطق الحدودية بهذه الحدود حفاظا على مصالحها، ومن جهة اخرى تميزت العلاقة بالنزاع احيانا بين هذه القبائل الحدودية اعتبارا لنمط معيشتها وتأثير العامل الاقتصادي خاصة الغنائم، وقد كان تفسير الصراع عامة على أساس البحث عن المرعى والماء والأرض<sup>1</sup> وهي عناصر اساسية في النزاعات القبلية سواء أكان نزاع داخلي بين القبائل داخل دولة أو صراع قبائل حدودية، مع عجز كلا السلطتين عن إيجاد الحل رغم المساعي المتعددة، ودليل ذلك ما جاء العديد من المراسلات التي يحتفظ بها الارشيف التونسي والمتعلقة بالقضايا الخاصة بحركة القبائل والمشاكل الناتجة عنها كالاغارات الحدودية والمراسلات الخاصة بها<sup>2</sup>، والتي كان ينظر لها على اساس انها نتيجة وردود فعل طبيعية

ومن مظاهر تأثير هذا المجال قبائل الغرابة التي اعتمدت على الجمع بين الترحال والاستقرار الجزئي غالبا صيفا وشتاء او الجمع بين الزراعة والرعي ولكنه بعد سنة 1830، قد عرفت هذه القبائل كغيرها ظاهرة التفكك نتيجة للسياسة الاستعمارية فيما بعد.

ومن المظاهر ايضا ذلك التقارب بين الفراشيش واولاد يحيى بن طالب و الذي نتج عنه علاقات المصاهرة والقرباة ومع ذلك بقي جزئيا نظرا لتحكم القوى الديمغرافية والصراع الاجتماعي والسياسي<sup>3</sup>

ان مسالة الحدود رغم سعي الايالتين تحديدها منذ القرن 17م، بحيث كانت شمال وادي سيرايا الا انها لم تشمل او تحدد جنوبا وبالتالي بقي الحد غير واضح المعالم وكان دائما قابلا للتمدد ومثال عن ذلك ان قبائل اولاد عبيد كانت تختار المناطق الرطبة بتبسة صيفا والمناطق الدافئة ببلاد الجريد شتاء ومن جهة اخرى كانت القبائل التونسية تمارس الحراثة داخل الاراضي الجزائرية<sup>4</sup>، وكانت التقاليد السائدة بين الايالتين

<sup>1</sup> التايب المنصف المجال والسلطة في البلاد التونسية خلال العهد العثماني، مجلة روافد العدد4، جامعة1998، ص24

<sup>2</sup> .: الارشيف الوطني التونسي الحافظة 223، الملف 384 اغارات الجزائريين على الاعراض الحدودية التونسية

<sup>3</sup> ادريس رائسي: القبائل الحدودية...، المرجع السابق، ص ص24-25

<sup>4</sup> نفسه، ص25

تسمح للفلاحين باستئجار الأراضي الفلاحية داخل البلد المجاور فقد كان بعض الفلاحين التونسيين قد استاجروا اراضي في منطقة بكارية بتبسة، والعكس كذلك فقد كانت القبائل الجزائرية الحدودية تستئجر اراضي تونسية لممارسة الفلاحة<sup>1</sup>، ضف الى ذلك تشجيع تونس على امتلاك العقارات.

ان امتداد مجال الفراشيش غربا قرب الغرابة في نهاية العهد العثماني لم يؤثر على اسلوب معيشة سكان القبائل المجاورة بل كان هؤلاء يشتركون مع بقية المجموعات المحلية او الخارجية في اسلوب المعيشة والصراع وبقي اسلوب معيشة سكان المناطق الحدودية على حاله رغم تدخل الدولة، كما بقيت التواصل ايضا على حاله، و فقد كان سكان الفراشيش يحرثون جهات في مناطق بكارية وبئر العاتر بتبسة وكانت القبائل الجزائرية تعبر بكل حرية خاصة جنوب وادي سيرات وقد مثلت الحياة الاقتصادية والاجتماعية الحافر الاساسي للنشاط داخل المجال الحدودي<sup>2</sup>

ولهذا يرى البعض ان الحدود الفاصلة آنذاك اصبحت لها دلالة جبائية اكثر منها طبيعية اوسياسية وبالتالي حد للجباية ولكن القبائل الحدودية كانت حرة في اختيارها الطبيعي واستغلت ذلك من اجل التهرب الجبائي<sup>3</sup>، خاصة لدى القبائل التونسية.

وقد مثل المجال الحدودي من الشمال الى الجنوب والذي يفصل بين عدد الفروع من القبائل اهمها الفراشيش بتونس واولاد يحيي بن طالب بالشرق الجزائري والنمامشة واولاد عبيد ويمثل هذا المجال الحدودي محورا هاما للمبادلات اصبحت منطقة عبور مهمة بين الشمال الحيواني والجنوب التمري اضافة الى اهمية المعاملات مع الشرق الجزائري فكان السكان ينتقلون في كل الجهات<sup>4</sup>

وقد كان للاسواق دورا هاما في ربط علاقات هامة وتطور هذا المجال القبلي والريفية مثل اسواق جنوب تونس بقبائل السبايس العليا وغربا مع القبائل الحدودية الجزائرية ومنطقة سوق اهراس<sup>5</sup> خاصة وان هذه

<sup>1</sup>المرجع نفسه، ص75

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص75-76

<sup>3</sup>التايب المنصف: المجال والسلطة في البلاد التونسية خلال العهد العثماني، مجلة روافد العدد1998، 5، تونس، ص12

<sup>4</sup>ادريس رائسي: القبائل الحدودية...، المرجع السابق، ص77

<sup>5</sup>.التايب المنصف: المجال والسلطة...، ص26

المناطق كانت تتوافد عليها ايضا قبائل تونس الحدودية مثل شارن وورغة واولاد بوغانم وكانت المبادلات تتركز على الاغنام والحبوب والحلفاء ومصنوعات الحصير والسجاد، ، الخ ونفس الدور قد لعبته اسواق تبسة التي جلبت السكان من القصرين ووسالة وافران وبودرياس والطباقة وحيدرة وتالة وڤريالة والجريد اي قبائل الفراشيش والهمامة وقد كان لاهل الجريد محلات تجارية بالمدينة ومنطقة سوف ايضا كانت لها علاقات جيدة مع الجريد<sup>1</sup> ضف الى ذلك ان منطقة الجريد كانت تعاملتها اكثر مع الشمال والساحل وبلاد سوف اكثر من مبادلاتها الداخلية حتى مع الاماكن القريبة، وهذا كان راجعا الى ان المنطقة تمتعت بثروات فلاحية وبالتالي عانت من ثقل الجباية المركزية عليها<sup>2</sup>.

### ثانيا-علاقة القبائل الحدودية مع السلطة في تونس (قبيلة الحنانشة والاسرة الحسينية):

يمكن العودة الى القرن السابع عشر للحدث عن العلاقات بين القبائل الحدودية والمتمثلة اساسا في قبيلة الحنانشة وعلاقتها مع بايات تونس وكانت القوة هي التي فرضت علاقات هذه القبائل خارج حدودها، لقد كانت القوة العسكرية للقبائل الحدودية قد مكنت بعض الاسر مثل اسرة الحنانشة من السيطرة على الإقليم الحدودي للأيتين. وكان رد فعل بايات تونس التقرب منها واشراكها في صراعاتهم الداخلية على السلطة، أو الخارجية ضد بايات قسنطينة. وقد لجأ بايات تونس إلى كسب شيوخها بالهدايا والخضوع لمطالبهم.

وقد تحدثت المصادر التونسية عن سيطرة خالد بن نصر أو خالد الصغير زعيم الأسرة في النصف الأول من القرن 17م. ووضغه على حكام أياي الجزائر وتونس بقوله: "... كان خالد المذكور أشهرهم (شيوخ القبائل) سمعة بين قبائل العرب وله منعة وعدة وقائع مع عسكر الجزائر، عمر عمرا طويلا ومارس الحروب، وكان يتشامخ بأنفته على العمالة التونسية ويمتد في وطنها لأنه مجاور لها ويتعرض إلى محلتهم فيستكفون شره ويهادونه بالهدايا"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ادريس رلنسي، القبائل الحدودية، المرجع السابق، ص77

<sup>2</sup> التايب المنصف المجال والسلطة... المرجع السابق، ص26

<sup>3</sup> ابن ابي دينار: المؤنس في اخبار افريقيا وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسي 1286هـ، ص 222.

لقد كانت قبيلة الحنانشة منذ السنوات الأولى لحكم الأسرة الحسينية تتدخل في شؤون تونس السياسية، وقد تدخلت في النزاع بين علي باشا وعمه حسين بن علي سنة 1728-1735م، او ما يعرف بالحرب الباشية الحسينية التي تحدثت عنها المصادر واعتبرت من ابرز الاحداث الداخلية بتونس، وذلك من خلال إنحياز أولاد نصر بزعامة شيخهم بوعزيز إلى علي باشا ويرجع سبب هذا الإنحياز أن الشيخ بوعزيز تعرض سابقا لحملة مشتركة بين حسين بن علي وحسن كليان باي قسنطينة، والتي أثرت على سلطته، فحاول الإنتقام من الحسين بن علي<sup>1</sup>.

كما تدخل فرع أولاد منصر في هذا الصراع، وارسل اليهم علي باشا ابنه يونس نظرا لنقمتهم على بوعزيز لكونه نقض الحلف وإنظم إلى صفوف حسين بن علي<sup>2</sup>.

وبمجرد وصول يونس باي الى أولاد منصر أغار هؤلاء بمعية أولاد يعقوب وأولاد يحيى بن طالب على القبائل الغربية. وهزمت المحلة التي ارسلها الباي حيث أرسل إليهم الباي فخرد الباي بنفسه رفقة بوعزيز بن نصر ، وتمكن من القضاء عليهم في واقعة أوكيس في 1729م.<sup>3</sup>

كما دعم أولاد نصر بزعامة الشيخ بوعزيز الحملة العسكرية على تونس التي قادها علي باشا بمساعدة داي الجزائر، حيث راسل الشيخ بوعزيز وحلفائه داي الجزائر إبراهيم بيدون إستعدادهم لمساندته في حملته على الأيالة التونسية خاصة وأن علاقتها مع الجزائر كانت تشهد تدهورا مستمرا ووافق الداوي على ذلك وبالتالي يكون بوعزيز وحلفائه قد مهدوا عسكريا للحرب التونسية الجزائرية سنة 1735م. والتي سينظم إليها فيما بعد أولاد منصر<sup>4</sup>، حيث إنضمت قوات الشيخ بوعزيز وحلفاؤه وايضا أحرار منصر وفي ليلة

---

<sup>1</sup> العربي الحناشي، الحنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس من 1640-1740م، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية تونس، 1987-1988م، ص 53.

<sup>2</sup>: L.Charles Feraud : **les Hrar...** Op. Cit. p225.

<sup>3</sup>:Ibid. pp226-228.

<sup>4</sup>:Ibid,p232

04أوت 1735م باغتت قوات علي باشا حسين باي المعسكر بمنطقة سمنجة<sup>1</sup> عند واد مليون ومما ادى الى تراجعهم.

كانت أسرة أحرار الحنانشة بفرعيها تبحث من وراء هذا الدعم للحصول على المال والجاه ، وقد جاء في قول ابن العطار: '...انه رجل داهية صاحب مكر ودهاء (يقصد بوعزيز بن نصر) لا يقدر عليه أحد وكان يتلون في أحواله، فتارة يوالي حاكم قسنطينة ويعادي صاحب تونس، وتارة يعادي صاحب تونس ويصالح صاحب قسنطينة، وكان ذا جرأة وقوة بنجاعة الحنانشة<sup>2</sup>.

كان علي باشا لا يثق في أصهاره لما إشتهروا به من تقلبات بين البايات، فقرر التخلص منهم مغتتما فرصة زيارتهم لأبنتهم فقام بقتل عدد منهم كأحمد الصغير وسلطان وإبنة وإبن أخيه و طلق زوجته بنت سلطان وزوجها من بعض مسلمة الإفرنج<sup>3</sup>. وكان ذلك في سنة 1739م، وفي السنة ذاتها دبر علي باشا مؤامرة مع إبنة يونس ضد الشيخ بوعزيز بن نصر، حيث إغتتم يونس فرصة وجوده بالكاف وقدم صهره بوعزيز إليه بمعية 50 فارس من أعيان الحنانشة فقبض عليه ونكل به ثم بعته إلى والده<sup>4</sup>.

وفي هذا الصدد تذكر المصادر أنه قد راسله علي باشا وإبنة يونس الذين عسكروا في باجة ، وأغرقوه بالهدايا وأعطوه موعدا في الكاف بحجة التشاور لحرب جديدة ضد الجزائر، وماهي إلا مكيدة إستطاع من خلالها يونس باي إلقاء القبض على الشيخ بوعزيز. وأخذ في اليوم الموالي إلى تونس ووضع بين يدي والده، مثبت على بغل يجوب شوارع المدينة،وبعد إنتهاء هذا العرض نقل إلى ساحة القصبة ، حيث تعرض إلى تعذيب وحشي وقطع جسده وأكل وهو ينزف سنة 1739 م<sup>5</sup>.

---

<sup>2</sup> أحمد بن المبارك بن العطار: تاريخ بلد قسنطينة، المرجع السابق، ص63.

<sup>3</sup> : جميلة معاشي الأسر الحاكمة...، المرجع السابق، ص 230.

<sup>4</sup> أحمد بن المبارك بن العطار: تاريخ بلد قسنطينة، المصدر السابق ص64

<sup>5</sup> : L.Charles Feraud : **les Ahrars...op cit** p327-328.

كما شاركت الحنانشة في حملة الداى ، بعدما دخلوا العاصمة وقتلوا علي باشا رفقة ابنه محمد سنة 1756م ويقول ابن أبي الضياف: البسوه برنسا غطوا به وجهه وأخذ أحد الفرسان يكيل له الشتم فسأل: من الفارس؟ فقيل له ولد أبي عزيز بن نصر، فقال : له العذر في ذلك لأني قتلت أباه شر قتل<sup>1</sup>

وما يمكن استنتاجه من هذه الاحداث هو الدور الذي لعبته قبيلة الحنانشة المحوري وتدخلاتها في تونس نظرا لاعتقاد شيوخها باستقلالهم عن السلطة، وسيطرتهم على القبائل الحدودية بفضل قوتهم العسكرية ويذكر البعض أن شيخ الحنانشة بوعزيز كان دائم التحدي مرة لباي تونس ومرة لباي قسنطينة<sup>2</sup>.

وفي الفترات التي تشهد فيها العلاقات بين الطرفين توترا، وتبدو فيها المواجهة العسكرية حتمية، كان دعم القبيلة من أوفر الحظوظ لكسب الحرب وقد ذكر الرحالة بيسونال ان شيخ قبيلة الحنانشة بإمكانه تجنيد قوة قوامها ثمانية آلاف رجل، وحتى أكثر من ذلك وهذا العدد هو ضعف ما يمكن ان توفره القبائل المخزنية مجتمعة. بل في بعض الأحيان يفوق عدد الجيش الإنكشاري الجزائري في أوقات الحرب. والذي لا يتعدى 12 ألف أو 15 ألف رجل<sup>3</sup>.

وقد استمرت الحنانشة في التدخل في تونس الى غاية بداية القرن التاسع عشر واعتبر ذلك من مظاهر النزاع الحدودي بين الايالتين.

و بالرغم من ذلك لا يمكننا ان نعمم ذلك الصراع على كامل العلاقات بين الحنانشة والسلطة في تونس على اساس نزاع وتدخل في الشؤون الداخلية فقط فقط شهدت العلاقات نموذجا للتقارب والترابط السياسي والاجتماعي وذلك من خلال المصاهرات السياسية بين الطرفين والتي تحدثت عليها المصادر والمراجع.

<sup>1</sup> : ابن ابي الضياف: اتخاف الزمان...، ج3، ص65

<sup>2</sup> : Peyssonel et Desfontaines **Voyages Dans les régences de Tunis et d'Alger ;op cit,p292.**

<sup>4</sup> Ibidp,292 ,293

وهذه المصاهرات كانت تحمل من ورائها دوافع سياسية هامة ، فبالنسبة للطرف التونسي تدعيم الحلف بين أولاد منصر وعلي باشا من خلال مصاهرة سياسية ، فقد تزوج علي باشا بإبنة سلطان بن عمار بن منصر<sup>1</sup> . والهدف هو كسب تاييد أكبر قبيلة متوغلة في تونس ليضم إلى صفوفه قبائل الشرق الجزائري، وذلك من خلال إقامة أحلاف محلية مستندا في ذلك على علاقة أولاد منصر بالقبائل القوية<sup>2</sup> .

اما بالنسبة لأسرة أحرار الحنانشة فالمصاهرة السياسية تحافظ على المصالح وتحقق الثروة والنفوذ السياسي<sup>3</sup> . وقد جاء في احدى المصادر القول: '... لما أراد الله به مصاهرته لأكبر مشايخ العرب سلطان بن منصر فتشرف الشيخ بمصاهرته هذا البطل وسعد حيث دخل في سلك دولته إلى أن ضربت بسعاده المحل<sup>4</sup> ،

كما تحدثت المصادر عن وجود علاقات بين أحرار الحنانشة وبايات الأسرة الحسينية بعد القضاء على علي باشا وإبنة مُحمَّد، حيث كان شيوخ الأسرة سندا قويا إلى جانب مُحمَّد باي تونس، الذي ساندته الشيخ مُحمَّد بن سلطان الذي كان شيخا على الحنانشة في حربه ضد أحمد القلي باي قسنطينة بسبب إمتناعه عن أداء الضريبة للجزائر، حيث قام أحمد القلي بإطلاق سراح يونس بن علي بعد عشر سنوات من السجن وساعده على إنتزاع حكم تونس، غير أن شيخ الحنانشة طمأن مُحمَّد باي بخبر وفاة يونس بعد سبعة أيام من خروجه من السجن، إثر معلومات مؤكدة تقصاها شيخ الحنانشة من جواسيسه الذي أرسلهم لرصد تحركات باي قسنطينة<sup>5</sup> . كما شاركت أسر الأحرار إلي جانب مُحمَّد باي ضد إسماعيل بن يونس الذي كان يطمع في خلافة جده علي باشا<sup>6</sup> .

---

<sup>1</sup>: **les Ahrars Féraud :les Hrar...**Op. Cit. p228.

<sup>2</sup>: العربي الحناشي: الحنانشة وعلاقتها بالسلطة في تونس...، المرجع السابق، ص60.

<sup>3</sup>: Féraud CH :**les Hrar...** Op. Cit. p228

<sup>4</sup>: ابن أبي دينار:المؤنس.. المصدر السابق، ص243.

<sup>5</sup>: جميلة معاشي الاسر الحاكمة...، المرجع السابق ص ص، 232، 233..

<sup>6</sup>: نفسه، ص233.

ومن العلاقات ايضا والتي عبرت عن المودة مظاهر التقرب بالهدايا وهذا ما عرف بإحسانات بايات تونس إلى أسرة أحرار الحنانشة.

لقد كانت الإحسانات أو الهدايا وسيلة هامة للتقرب وزيادة النفوذ، وقد كانت الاحسانات ميزة خاصة في السياسة التونسية تقدم للشخصيات والاعيان ورجال الدولة وتتضمن هدايا متنوعة واموال، ولهذا فقد سعت كلا السلطتين سواء في بايلك قسنطينة او في تونس الى عقد مصاهرات والتقرب من الاسر والعائلات الكبرى بالهدايا وكانت اسرة الحنانشة قد حظيت بذلك نظرا لاهميتها بالنسبة لتونس وقوة هذه القبيلة في ظل سلطة الاحرار وعلى خلاف العادة اصبحت الاحسانات تقدم من البايات الى الافراد، فقد كان بايات تونس يقدمون الهدايا أكثر من غيرهم، ويذكر أيضا أن كل حناشي كان جدير بالإحسان ، وأن كل هذه الإحسانات شملت الجميع من شيخي الفرعين وعائلتهما والأعيان والنساء وحتى الخدم<sup>1</sup>.

وإن كان هذا التقليد والذي يشبه العرف الدبلوماسي الذي إتخذه بايات تونس مع القبائل الحدودية هو أيضا قصد إذهاب الخطر وجلب المودة، وتأكيد الإحترام لشيوخ القبائل على حسب قوة هذه القبائل وقد تفاوتت هذه الإحسانات بين فرعي الأسرة بعد الإنقسام، والتي مالت إلى فرع نصر وشيخه إبراهيم بن بوعزيز<sup>2</sup>، ونظرا للامتداد الكبير لقبيلة الحنانشة وتموقعها بين الايالتين وبقاءها شبه مستقلة والتي استطاعت تكوين ما يعرف بالكوفدرالية<sup>3</sup>، هذا ما ادى بالسلطة في تونس الى التقرب منها ومن مظاهر ذلك انه سنة 1813م قدمت السلطة التونسية للمرابط الحناشي امتياز مهمة حماية المنطقة حيث امتد نفوذه الى اولاد زياد شمالا مقابل طبرقة<sup>4</sup>، وتحكم القبيلة في الطريق المؤدي الى تونس واملكها لغدد كبير من قطعان الماشية<sup>5</sup> الماشية<sup>5</sup> ضف الى ذلك نفوذ شيوخ الحنانشة وثروتهم التي فرضت هبة خاصة<sup>1</sup>

<sup>1</sup> توفيق بن زردة إحسانات بايات تونس لجماعات الحنانشة (1170هـ/1756م-1192هـ/1779م)، من خلال

الدفتين 2144-2145 بالأرشيف التونسي، جامعة الأمير عبدالقادر، العدد10، جانفي 2017 ص14.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص04.

<sup>3</sup> 1.Charles Féraud :**histoire des villes...**, la calle ;op cit,p6332

<sup>4</sup>ibid

<sup>5</sup>Rozzette et Carrette,**Moeurs et coutumes...**op cit. p60

### ثالثا: عهد حمودة باشا ودوره في تطور العلاقات بين بايلك الشرق وتونس:

إن من ابرز التطورات السياسية الخارجية لبايلك الشرق الجزائري في بدايات القرن التاسع عشر هو ذلك التحول في العلاقات مع تونس ولعل من ابرز العوامل التي اثرت في تغيير العلاقات مع تونس نحو العداء والحرب كانت وصول حمودة باشا الى الحكم ففي عهده عرفت العلاقات صراعا كبيرا ومناوشات أدت الى اندلاع حرب 1806 والتي كانت من ابرز الاحداث التي اثرت سلبا على بايلك الشرق.

يتحدث المؤرخون حول هذا العهد الجديد بتونس وتأثيره على العلاقات الثنائية وقد اثر كثيرا على تطور تونس وعلاقتها الخارجية، لقد سعي حمودة باشا الى التخلص من هيمنة الجزائر وحسب بعض المؤرخين ان النظام في بايلك الشرق الجزائري لم يتمكن من بسط نفوذه على مداخل البلاد مثلما حدث في تونس كما انه لم يتوصل الى توسيع قاعدته الاجتماعية فبقيت مداخله تعتمد اساسا على ما توفره عمليات القرصنة مما جعله رهن ادارة الطائفة التركية وطائفة رياس البحر اللتين اتحدتا ومصالحتهما المادية والسياسية ضد الفئات المحلية، و لهذا السبب سيطر اترك الجزائر حتى دخول الفرنسيين بسبب كثرة القبائل المتمردة ، بينما توصل النظام الحسيني خاصة في عهد حسين باشا الى توسيع حيزه الترابي واستمرار مراقبته بفضل جهاز المحلة التي تاكد دورها العسكري والردعي فيما يتعلق بالاهالي وبالتالي توسيع الحيز الترابي للحكم المركزي فادى ذلك الى فقدان القبائل صفاتها المحاربة التي تحلت بها في العهد الحفصي<sup>2</sup>، وهذه الصفات كانت موجهة ضد السلطة وهذا ما خدم السلطة ايضا وعلى عكس ذلك احتفظت القبائل بالشرق الجزائري بصفاتها القتالية وساهمت في اضعاف السلطة.

---

<sup>1</sup>voir :AMG ,H226 ,**Rapport Rousseau, revenues de la province de Constantine**

<sup>2</sup> نبيهة السلطاني العبدى: القوي العسكرية القارة بتونس وتكاليفه المالية من 1756 الى 1814م، رسالة دكتوراه جامعة تونس الاولى 1999-2000، ص162

اهتمام حمودة باشا بالقيام بالمحلات وبفضلها اصبح التحكم سهلا بالنسبة للدولة التي اصبحت تتعامل مع وحدات بشرية محلية منظمة ومراقبة اكثر، كما ان القبائل التي ارتبطت بالسلطة كانت بهدف الاسناد والدعم فقط وليس المشاركة في السلطة وهذا الدعم كان في اطار الزمالة او المخزن<sup>1</sup>

وقد ذكرت المصادر التاريخية التونسية بان من ضمن اهتمامات حمودة باشا العسكرية هي فرق الزمالة وكانت أولى القبائل المشكلة لها هي قبيلة دريد التي انضمت الى السلطة وكانت من ابرز القبائل القوية التي تستطيع تجهيز الفرسان<sup>2</sup>

ثم توسعت الزمالة الى قبائل اخرى مثل الهمامة واولاد سيدي سعيد وورغة وهذه القبائل قادرة على توفير 4000 فارس وقد حضيت بامتياز تخفيف الجباية والاستفادة من الهدايا والجاه<sup>3</sup>

ضف الى ذلك دور المحلة في فرض السيطرة وجمع المعلومات، فاصبحت القبائل التونسية الحدودية التي تشعر بالخطر قد اصبحت اكثر شعورا بالانتماء للدولة من باقي القبائل وعند الاستعداد للحرب يظهر هذا الشعور<sup>4</sup>.

وفي هذا الصدد أشار **لوجي دو تاسي** الى ضرورة استمالة شيوخ القبائل المرابطة على الحدود الجزائرية من طرف بايات تونس لتجنب انضمامهم الى الجزائر كما أكد على ضرورة تحسين العلاقات مع بايات قسنطينة لضمان الاستقرار في البلاد، ، ،<sup>5</sup>

وقد شكلت التخوم والاطراف الغربية هاجسا حقيقيا سياسيا وعسكريا بالنسبة لحكام تونس وخاصة في عهد حمودة باشا الذي اراد التخلص منه ضف الى ذلك وجود قبائل تونسية حدودية مستعصية في جبل سيلاط وجبل مطماطة وجبل عمدون وبالتالي هي حدود غير مستقرة<sup>1</sup>

<sup>1</sup> .التايب المنصق: **المجال والسلطة...**، المرجع السابق، ص30

<sup>2</sup> . ابن ابي دينار: **المؤنس... المصدر السابق**، ص236

<sup>3</sup> التايب المنصق: **المجال والسلطة...**، المرجع السابق، ص30

<sup>4</sup> نفسه

<sup>5</sup> نبيهة السلطاني العبدوي: **القوى العسكرية القارة...**، نفس المرجع، ص167

هذه الصعوبات ساهمت خلال عهده في تشكيل اقليم تونسي داخل حدود مفتوحة وادى ذلك الى نمو وعي بالانتماء الى الوطن للدفاع عنه، وسيتجلى ذلك الوعي بعدما رفض حمودة باشا دفع ضريبة الزيت<sup>2</sup>، واعلن رفضه لها وعدائه للجزائر وفي هذا الصدد يقول مؤلف كتاب امراء افريقيا عن حمودة باشا: "...واعلن ما يخفيه من حرب الجزيريين لما عيل صبره في مداراتهم...<sup>3</sup> كما ان مجال السيادة في تونس في عهد حمودة باشا قد تشكل اكثر نظرا لخطر المواجهة مع الجزائر وهذا ما احتفظت به الذاكرة الجماعية في تونس حول صورة العدو القادم من الغرب -مصدر الازراء والجوائح الطبيعية- ربح الغرب ما تفرح القلب-ألي يجي من الغرب ما يفرح القلب، وهذه الامثلة المترسخة في المخيال التونسي كانت في حد ذاتها تجارب سابقة وساهمت في تشكيل الدولة والسلطة المركزية<sup>4</sup>.

لقد اظن المؤرخون التونسيون والاجانب في وصف عهد حمودة باشا وقد وصفوه بالرخاء فقد نشأ في ظروف ملائمة حيث ولد سنة 1173هـ، 1759م واخذ تربيته على يد ابيه علي باي وعلى يد علماء بارزين من اهمهم وزيره حمودة بن عبد العزيز صاحب كتاب:الكتاب الباشي، الذي علمه الحساب والتاريخ، وساهم في تكوينه الثقافي الفقيه حمودة باكير ووزير ابيه مصطفى خوجة<sup>5</sup>، وقد ظهر حمودة باشا في مرحلة هامة وهي مرحلة انتقالية كان يهدف من خلالها الى التقليل من العناصر التركية تدريجيا في الحياة السياسية والادارية وايصال العناصر الاهلية، واصبحت السلطة تونسية بعدما كانت تركية واعتنى بالماليك وتكوينهم وتقديم الضمانات لهم<sup>6</sup>

<sup>1</sup> التايب المنصف: المجال والسلطة، المرجع السابق، ص ص11-12

<sup>2</sup> ابن ابي الضياف: اتحاف الزمان، ج3، المصدر السابق، ص99

<sup>3</sup> ابي عبد الله الشيخ محمد الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في امراء افريقية، ط2، مطبعة بكار، تونس1323،

ص136

<sup>4</sup> لتايب المنصف: المجال والسلطة...، المرجع السابق، ص24

<sup>5</sup> نبيهة السلطاني العبدى : القوى العسكرية القارة..، نفس المرجع، ص181

<sup>6</sup> Nadia Sbaai, **Mostafa Sahab Atabaa** ; Edition cartage,tunis2007. pp12-13

تقلد حمودة باشا قيادة الاحمال وقد استعان في توريث ابنه بالقناصل الاوربيين الذين كان لهم تاثير على السلطان العثماني ، فلما تحصل ابنه على لقب الباشا كان بمثابة البيعة الاولى ،، وبعد وفاة ابيه لم يجد عراقيل لتسليم السلطة ولم تنتج اي اضطرابات،،<sup>1</sup>

و هذه الفترة سميت بمرحلة تركيز نظام الحكم وتدعيم القدرات العسكرية 1196-1207هـ، 1782-1793م، وكانت مرحلة اكتساب وضمان مناعة النظام الحسيني في ظروف ساعدت على ذلك منها الانتعاش الاقتصادي واستقرار مداخيل الجبايات من 1768 الى 1769م، ثم تغيرت الاوضاع اثر وباء 1785 و 1786م، حيث تراجعت العديد من الحرف وتقلصت اراضي فلاحية وضعفت الموارد الزراعية فقام بتنظيم الادارة المحلية وحدد مستحقات الدولة من الضرائب مما ادى الى تضاعفها وانتظامها وازدادت ضريبة الانفاق حيث اصبح القياد يدفعون مبالغ مالية للباي يحدد قيمته وزيره يوسف صاحب الطابع ويهدف الحد من ظلم القياد للاهالي ويفضل سياسة التجارة المفتوحة على اوربا، ،<sup>2</sup>، قام بتشجيع القرصنة كما اتبع سياسة المهادنة مع الجزائر فلم يتجرا على محاولة التخلص من التبعية للجزائر، لانها فترة ضعف الاقتصادي، وهذه الحجة هي التي ستحدد سياسته العسكرية تجاه الجزائر كما ان ازماته مع الجزائر ستدفعه الى تنمية قدراته العسكرية.<sup>3</sup>

اما سياسته العسكرية فقد كان حمودة باشا شغوفاً بها فقد اعتنى بالجند وقيادته للمحلة في سن العشرين من عمره، وكانت رغبته في توفير الامن والتصدي للاطماع الاجنبية وخاصة قضية التخلص من التبعية لدايات الجزائر منذ اكثر من خمسون عاما وقد اعتمدت سياسته العسكرية على التسليح حيث قام باعفاء كل انواع الاسلحة الاتية من الخارج من الرسوم الجمركية وقبول هدايا الاسلحة الالية من السويد والدانمارك وغيرها<sup>4</sup>، فقد اهدت حكومة الدانمارك له عتادا حربيا متنوعا سنة 1787م وسنة 1789، ما يقرب 48 مدفعا و500 برميل من البارود، و200 قطعة لصناعة السفن، كما مارس الضغط على فرنسا حتى استطاع

<sup>1</sup> نبيهة السلطاني العبدى: القوى العسكرية القارة....، نفس المرجع، ص 183

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 188

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 189

<sup>4</sup> نفس المرجع، ص 193

شراء 300 قنطار من البارود للمدافع و20 الف قذيفة مدفعية لم يدفع سوى نصف ثمنها واعتبر النصف الباقي هدية،<sup>1</sup>.

كما استعان ببريطانيا ثم ايطاليا حيث بعث احد اللزامة والتجار الكبار بتونس ويدعى محمود الجلولي الى مالطا 1225هـ - 1810م، بقي خلالها ثلاث سنوات لاتمام صفقة تجارية مع مالطا تمثلت في صنع سفن والآت حربية لفائدة تونس.<sup>2</sup>

من الاعمال كذلك انه عمل على صناعة المدافع في الحفصية والبارود في القصبة تهيأ للدفاع عن حوزته<sup>3</sup>، وذلك بانشاء مصنعا للبارود سنة 1787م، وسنة 1788م في القصبة تحسبا للحرب ضد الجزائر وكان حريص عليه بنفسه خلال حريق 1802م، كما انشا معملا لصناعة المدافع وهو مصنع لتذويب النحاس والحديد وصبه وكان يسمى دار عمل المدافع، ، ،<sup>4</sup> كما تلقى من المغرب الاقصى هدايا من النحاس لصنع ما يقرب 100 مدفع<sup>5</sup>

كما عمل على انشاء مسبك جديد لتذويب النحاس وصنع المدافع بمعدات فرنسية والة لثقب المدافع، كما استحدث صناعة السفن الحربية حيث قام بتحديث مصنع حلق الوادي لصناعة السفن وما ان حلت سنة 1800م، حتى اعترف ممثل فرنسا في تونس بتفوق الاسطول الحربي التونسي على الاسطول الجزائري كما انه قد لاحظ النقص في الزوارق الحربية وبعد الحرب مع الجزائر عمل على تنمية قدراته<sup>6</sup>

وفي سنة 1212هـ - 1814م اي قبل وفاته ارتفع عدد السفن التي انشأت في مصنع حلق الوادي الى 70 سفينة حربية مجهزة بالمدافع<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 194

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 195

<sup>3</sup> .ابي عبد الله الشيخ: الخلاصة النقية...، المصدر السابق، ص 136

<sup>4</sup> ابن ابي الضياف: تحاف اهل الزمان... ج 7 ص 165

<sup>5</sup> نفس المصدر ص 165

<sup>6</sup> نبيهة السلطاني العبدى: القوى العسكرية القارة...، المرجع السابق، ص 197

<sup>7</sup> A. Roussou, *les annales tunisiennes...* op cit, p287

وقد ذكرت المصادر انه جهز محالا ضخمة وجمع المخازمية والمزارقية من الغروش وهاذه الجموع كانت تحت قيادة وزيره سليمان كاهية الاول وكان ذلك عشية غزوه لقسنطينة سنة 1221هـ-1806م<sup>1</sup>، ولهذا ارتفعت النفقات في عهده والتي استوجبتها الحرب مع الجزائر كما قدرت القوى بحوالي 12 الف جندي محلي من المرازقية وحوالي 20 الف من الزواوة

وتحسبا للحرب مع الجزائر قام بتحسين العاصمة وذلك بيجديد الابراج وبناء والاسوار ومنها سور الكاف وابراج<sup>2</sup> كما تحاشى الصدام مع الجزائر قبل اتمام قدراته واعتبرها اسرار عسكرية واستدعى المهندس الهولندي -همير- لبناء عدة ابراج حول العاصمة وتجديد سور بباب سويقة وباب الجزيرة، وشرع في بناء هذه الابراج على التوالي: برج سيدي يحيي السليماني وبرج سيدي عبد السلام، وبرج باب سعدون وبرج سيدي قاسم الجليزي وبرج السيدة المنوية<sup>3</sup>، كما حصن المناطق الداخلية وذلك بتحسين حلق الوادي وتعزيزها بالمدافع كما انشا الابراج المشحونة بالمدافع وتنصيب منجبقا ضخما كما اشرف على هذه التحسينات المهندس فرانك وفي الكاف جدد قسبة المدينة وابراجها نظرا استراتيجية الموقع الحودي للمدينة<sup>4</sup>.

وقد كتب على الاسوار والابواب باللغة التركية لكي يبين ان السلطان العثماني هو من امر ببناءها وانها مبررة من قبله ومثابة الرد على الجزائر<sup>5</sup>.

ومن جهة اخرى عمل بايات قسنطينة خاصة منذ نهاية القرن الثامن عشر على تامين الحدود الشرقية للبايلك منذعهد صالح باي في نهاية القرن الثامن عشر، وهذا ما ادى الى تطور الخلافات بين الطرفين، ومن اسباب ذلك ان بعض القادة التونسيين ويدعى حسان الكبير قد كلفه باي تونس بالتوجه نحو قبائل

---

<sup>1</sup> .ابي عبد الله الشيخ: الخلاصة النقية...، المصدر السابق، ص 136

<sup>2</sup> نفسه

<sup>3</sup> نبيهة السلطاني العبدى: القوى العسكرية القارة...، المرجع السابق ص 219

<sup>4</sup> ابن ابي الضياف، تحاف الزمان... ج 7، المصدر السابق، ص 53

<sup>5</sup> نبيهة السلطاني العبدى: القوى العسكرية القارة...، المرجع السابق، ص 221

الجهة الغربية من تونس لجمع الضرائب كالعادة ، وقد إنطلق على رأس محلة و أثناء القيام بعملية جمع الأموال لإحدى القبائل قرب الحدود الجنوبية مع تبسة ، ثارت عليه ورفضت السيطرة ففرت مستنجدة بحاكم قسنطينة التي كانت بقيادة صالح باي<sup>1</sup> فنشأت خلافات في سنة 1783 م بين حمودة باشا وصالح باي وإمتدت حتى سنة 1787 بعد أن أرسل باي قسنطينة مندوبا الى حمودة باشا يطالب بدفع تعويضات كبيرة ، لكنه رفض دفعها مما جعل صالح باي يجهز حملة ضد تونس.<sup>2</sup>

يذكر روسو أن حمودة باشا أمر في الخفاء بالبدء في إستعدادات عسكرية متخوفا من هجوم جزائري مفاجئ.

وقد استطاع الزحف في منطقة الجريد و إتجه نحو القبائل في الجهة الغربية للبلاد وإستمرت هذه الحملة الداخلية قرابة الأربعة أشهر.<sup>3</sup>

وقد استغل صالح باي الحرب بين تونس والبندقية فقام بتهديد حمودة باشا بالهجوم على تونس بالاتفاق مع الداوي<sup>4</sup> عندئذ أوعز حمودة باشا إلى إسبانيا للتدخل في طلب صلح بين الطرفين والذي تحقق فيما بعد.<sup>5</sup>

---

<sup>1</sup> حسام صورية: العلاقات بين أيلة الجزائر وتونس خلال القرن 18، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمصادر، جامعة وهران، 2012-2013م، ص 89.

<sup>2</sup> L. Pechot : **Histoire de L'Afrique du Nord avant 1830**, cajoisso Imprimeur , Editeur , Alger, 1914,P110.

<sup>3</sup> ألفونص روسو: الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى إحتلال فرنسا للجزائر تحقيق وتنقيح مُجد عبد الكريم الوافي، د ط ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2011، ص 256.

<sup>4</sup> رشاد الامام: سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814، رسالة دكتوراه في الفلسفة، الجامعة الامريكية، بيروت، د س، ص 416.

<sup>5</sup> Narcisse faucon : **la Tunisie avant et depuis l'occupation française** ,Histoire et colonisation, Tome1 , librairie coloniale, Paris ,1893,P170.

مع مطلع القرن التاسع عشر أصبحت العلاقات بين الايالتين في اغلب الاحيان متدهورة ولما كون حمودة باشا قدراته قرر منع ارسال الزيت التونسي الى الجزائر مستغلا في ذلك المعاملة السيئة للوفد الجزائري للمدعو ماريانو ستيكا وهو احد ممالك حمودة باشا المقربين له والذي كان في استقبال الوفد الجزائري ورغم وساطة السلطان العثماني فقد تمسك بموقفه،<sup>1</sup> ، وقد عرفت العلاقات قبل ذلك انفراج منذ سنة 1798 بعد وفاة داي الجزائر، وفي سنة 1800م امر حمودة باشا بقتل حسن باي حفيد علي باشا الاول بعدما سمح له بالدخول الى تونس لكن الحسين ارسل له مراسلات مع احد اعيان الجزائر فامر بخنقه<sup>2</sup> ، واصبح يظهر رغبته في الاستقلالية ودون استفزاز الداى، ولما ادعى باي قسنطينة احقيته في امتلاك منطقة الجريد التي تعد موردا هاما لتونس فاطهر حمودة باشا تحديه للجزائر بعدما ارسل الداى رسالة اليه في شان مسألة الجريد، ، ولكنه استطاع استمالة باي قسنطينة مما اغضب داي الجزائر الذي امر باعدام مصطفى باي انجليز والذي استطاع الفرار الى تونس<sup>3</sup> ، وهذا مما زاد في غضبه ورفض بيع المواشي التي كان يحدد سعرها باي قسنطينة بأثمان مرتفعة وهكذا فقد تأزمت أكثر العلاقات منذ تاريخ 1801م، ورفعت الرايات فوق القصبه عزما على قطع العلاقات،<sup>4</sup> .

منذ سنة 1801 و1807م، ضربت الجزائر حصارا على حلق الوادي اثر سلبا على اسطول تونس التجاري والحربي ثم قامت القوات الجزائرية بالاغارة على بعض القبائل التونسية على الحدود، فكان رد فعل حمودة باشا هو فرض حصار على قسنطينة.<sup>5</sup>

### المطلب الثاني: الصراع مع تونس وحرب 1806.

ان التطورات الاخيرة التي عرفها بايلك الشرق الجزائري في بداية القرن 19م، وتراجع نظام الحكم وانتشار الفوضى اثر على العلاقات مع تونس وشجع حمودة باشا على مواجهة باي قسنطينة ووضع حد

<sup>1</sup> نبيهة السلطاني عبدري: القوى العسكرية القارة...، المرجع السابق، ص223

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص224

<sup>3</sup> ابن ابي الضياف: تحاف الزمان...، ج3، المصدر السابق، ص63

<sup>4</sup> نبيهة السلطاني عبدري: القوى العسكرية القارة...، المرجع السابق، ص226

<sup>5</sup> :A.Rousseau : les annales ...op cit,p252

لتدخلاته من خلال الرد على تلك الحملات العسكرية ثم شن هجوم على قسنطينة او ما عرف بموقعة وادي صراط عام 1807م<sup>1</sup>، وقد كانت هذه الموقعة ردا على الحملات العسكرية التي قادها باي قسنطينة والقبائل الحدودية على الجهات الغربية لتونس، وقد ذكرت المصادر ايضا مطالبة الجزائر تونس بدفع الجزية والتنازل عن جزيرة طبرقة الى جانب استمرار الغارات على الحدود التونسية واعمال النهب حيث تذكر المصادر نهب الجلود من قلعة سينان باشا<sup>2</sup>

وقد فسر البعض على ان تلك الحملات على المناطق التونسية والمتمثلة في الحصول على غنائم لمعالجة الأزمة المالية اوالاقتصادية التي كان يعيشها بايلك قسنطينة في فترة عبد الله باي سنة 1804م والذي عرف بغاراته الكثيرة على تونس وقيامه بالنهب والسلب<sup>3</sup>. والتي كانت سببا رئيسيا في هجوم حمودة باشا على قسنطينة سنة 1222هـ-1807م.

بدأت الحملة التونسية التي كان قوامها حوالي 50 الف رجل والمدعمة بالفرق المحلية بمحاصرة قسنطينة مدة شهر كامل<sup>4</sup>، لكن المساعدات التي اتت من الجزائر قد صدتها والمتمثلة في محلة بحرية قدمت من مدينة عنابة ومحلة برية قدمت من مدينة الجزائر مما أدى إلى تراجع المحلة التونسية، وانسحابها إلى الأراضي التونسية، ضف الى ذلك حشد ما يزيد عن خمسة آلاف فرد ومائتي خيمة، إضافة إلى العساكر القادمة من الجزائر وعنابة ووادي الزيتون وبلاد زمورة، وتضيف الوثائق التونسية الى اهم الاستعدادات العسكرية التونسية لمواجهة الحملة الجزائرية المضادة والمتمثلة جمع القوات والعتاد والخيم تحت قيادة يوسف خوجة صاحب الطابع، حيث جاء فيها: (وبناء عليه تم ترتيب خمسون خيمة من

<sup>1</sup> لارشيف الوطني التونسي، سلسلة 223، الملف 384

<sup>2</sup>: Ernest Mercier : **histoire de l'afrique septentrionale ...op cit ; p469.**

<sup>3</sup> جاء في مخطوط أخبار بلد قسنطينة، ورقة 7 ما يلي ( فلما أن تم أمره عبد الله المذكور في البلد عمر محلة وخرج قاصدا لبلد الشرق من ناحية تونس وأحاط فيهم بالأخذ والنهب فمن جملة ذلك اخذ لهم عرشا يقال له الفراشيش... )

<sup>4</sup> أنظر Ernest MERCIER : **Histoire de l'Afrique septentrionale...op cit** p469/

العسكر وخمسون من الزواوة وتم تجهيز سائر التريس وعربان شتى أخرجناهم بمعرفة مهردارنا يوسف خوجة<sup>1</sup>...

لقد اتفقت المصادر المكتوبة والوثائق حول وقائع هذه الحملة والتي تطابقت من حيث المعلومات على ان القوات التونسية استطاعت ايقاف تقدم القوات الجزائرية في البداية وحصول تونس على غنائم كثيرة اضافة الى اسر أكثر من خمسين رجلا والاستحواذ على مدفعين وتمّ جرح حوالي أربعمئة وخمسين شخصا، وهرب الباقون<sup>2</sup>، ولكن القتال قد عاد من جديد يوم الأربعاء 9 جمادى الأولى بعد يوم من الراحة وصمود القوات التونسية لالتي استطاعت تحقيق انتصار على المحال الجزائرية وفرار قادتها، وهو ما عبّرت عنه الوثيقة كما يلي: (وفر حاكمهم وضباطهم واستاسرنا ثمانمئة شخص وهلك حوالي ألفان وتم الاستيلاء على جميع الاحمال من مدافع وكورهم والأدوات الحربية والو طاقات وأربعمئة خيمة )

لقد ذكرت المصادر المحلية الجزائرية ايضا أن الحملة التونسية كانت بالتعاون مع الباي مصطفى انجليز والذي كان بايا سابقا وقد فر الى تونس وتحالف مع حمودة باشا وشارك في الحملة<sup>3</sup> وجاء في مخطوط أخبار بلد قسنطينة: (..والحاصل بعثت تلك الحملة في أسرع وقت وكان كبيرها الحاج مصطفى الانكليز المقدم ذكره... )<sup>4</sup>، وقد اشارت الى ذلك وثيقة متاخرة ترجع إلى بدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر ، مؤرخة في محرم 1271 وهي عبارة عن طلب لجوء إلى تونس بعد سقوط قسنطينة في قبضة الفرنسيين أرسله حسان بن علي ابن الحاج مصطفى انكليز باي إلى مُجّد باشا، باي تونس ذكر فيها أنّه من سكان قسنطينة وأنّ أباه وجدّه كانا قد قدّما دعما لتونس في عهد حمودة باشا سنة 1222 وهو تاريخ الحملة التونسية على قسنطينة<sup>5</sup>، و منها يمكن استنتاج تواطؤ هذا الباي مع قوات حمودة باشا لانه قد طرد سابقا بعد انتهاء فترة حكمه.

<sup>1</sup> الارشيف الوطني التونسي، سلسلة 223، الملف 384 موقعة وادي صراط على عهد حمودة باشا

<sup>2</sup> نفس المصدر .

<sup>3</sup> -مذكرات الشرف الزهار، المصدر السابق، ص96

<sup>4</sup> -مخطوط اخبار بلد قسنطينة، المصدر السابق، ورقة 7 .

<sup>5</sup> - الأرشيف الوطني التونسي مراسلات صادرة بين مؤلفين جزائريين موجهة الى باي تونس، الحافظة 223، الملف 384 .

ويمكن ان نضيف ان من ابرز العوامل التي اثرت في توتر الاوضاع بين بايلك الشرق الجزائري وتونس وظهور نزاعات مسلحة هو تاثير التدخل الاجنبي الاوربي ووقوف الى جانب حمودة باشا ويظهر ذلك من خلال دعم قدراته العسكرية،<sup>1</sup> وحصوله على هدايا واثاث خاصة من قبل فرنسا واستطاع ان يحافظ على علاقاته معه وحتى مع الولايات المتحدة الامريكية<sup>2</sup> وارتباط تونس باتفاقيات تجارية مع هذه القوى خاصة في مجال صيد المرجان في السواحل، حيث تضمنت العديد من الوثائق التونسية مواضيع تعلقت باتفاقيات عقدتها تونس خاصة مع سردينيا وفرنسا وانجلترا حول استغلال السواحل وصيد المرجان خاصة على الحدود البحرية بين تونس والجزائر<sup>3</sup>، وخاصة الاهتمام الانجليزي بتونس خاصة بعد نجاح حملة اللورد اكسموث على الجزائر سنة 1816 وحرصها على الحفاظ على مصالحها بتونس من خلال الاتفاقيات الثنائية<sup>4</sup>.

لم تكن الحدود البرية بين بايلك الشرق وتونس سببا فقط في ظهور هذه التطورات الهامة بل يمكن القول ان من ابرز العوامل كذلك الخلاف حول الصيد البحري وحول صيد المرجان وغيرها، وهو ما يمكن استنتاجه من بعض الوثائق التي تطرقت إلى النزاع بين مراكب الصيد التابعة للطرفين رغم اتفاقهما سابقا على المجال الخاص بصيد المرجان لكل منها،<sup>5</sup> ومن بينها رسالة من المدعو الحاج عمار بن الحاج الحاج احمد المركانتي بعنابة إلى قرصان باي تونس وهي دون تاريخ لكنّها ترجع إلى عهد الداوي حسين أي بعد سنة 1818م، تضمنت احتجاجا على قيام بعض مراكب الصيد التونسية باعتراض بعض الصيادين في سواحل الجزائر، حيث حذر صاحب الرسالة من هذه الأعمال وأكد على ضرورة عدم التعرض لأي من المراكب حفاظا على الصلح وتجنبنا للفتنة.

<sup>1</sup> - انظر ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان، المصدر السابق، ص38-39 .

<sup>2</sup> انظر Ernest MERCIER : **histoire de l'afrique septentrionale** op cit,p468

<sup>3</sup> - هذه الوثائق ضمن الحافظة رقم247، الملف634بعنوان علاقات الدولة التونسية بإمارة سردينيا الايطالية

<sup>4</sup> - الحافظة رقم 223، الملف384، العلاقات التونسية الجزائرية .

<sup>5</sup> - الحافظة رقم. 238 الملف رقم550 مراسلات حول صيد المرجان بالسواحل التونسية .

وهكذا استمرت هذه الخلافات والغارات المتبادلة عبر الحدود بين الأعراش التونسية والجزائرية في جهتي سوق أهراس وتبسة من الجانب الجزائري ومنطقة الكاف من الجانب التونسي التي كان يقصدها كثير من الجزائريين باعتبارها سوقا هامة.

وفي هذا السياق أشارت إحدى الوثائق التونسية المؤرخة في 1236هـ الموافق لسنة 1820م، إلى عودة النزاع والتوتر بسبب الخلافات بين رعايا البلدين على جانبي الحدود، واستمرار توغل بعض القبائل التونسية في المناطق الجزائرية المتاخمة للحدود مع تونس واستمر ذلك لفترات طويلة عبرت عن ذلك كثرة المراسلات حولها وقد قام الحاج أحمد، باي قسنطينة بتوجيه رسالة حسين باشا، باي تونس في 22 رمضان 1242هـ، سنة 1826م أحاطه من خلالها علما بأن بعض الأعراش التونسية الحدودية مثل عرش الزغالمة وشارن وأولاد بوغانم التونسية قد اعتدت على بعض الأعراش الجزائرية داخل حدودها وان عرش ورغة التي تجمعه حدود الحنانشة قد توغل بعض أفرادها داخل حدود الجزائر وقاموا بإثارة المشاكل والاعتداءات وسرقة المواشي،<sup>1</sup> كما بعث الحاج أحمد باي بإنذار إلى السيد صالح بن محمد بالضياف قائد الزغالمة نتيجة توغل عرشه داخل التراب الجزائري ورفضه للرحيل مما يستوجب معاقبته، ووجه رسالة أخرى إلى نفس القائد حول المشاكل التي تثيرها أعراش أولاد مجيبي علي داخل التراب الجزائري<sup>2</sup>، وكذلك العكس حيث استمرت عمليات عبور القبائل الحدودية من شرق الجزائر إلى تونس في عهد أحمد باي وتسببت في إثارة المشاكل بين الطرفين وهذا ما أشارت إليه وثيقة مؤرخة في 3 شعبان 1243هـ-الموافق ل16 فيفري 1828م، وهي رسالة موجهة من أحمد باي إلى الداوي حسين يعلمه بهروب رعايا من الجزائر إلى تونس والخلافات الناتجة عنها<sup>3</sup>

وما نستنتجه من خلال قراءة هذه المراسلات ان الخلافات الثنائية اثرت فيها الاعراش والقبائل الحدودية حيث كان من الصعب ايجاد حلول والتحكم فيها كونها لا تعترف اصلا ولا تحترم الحدود

<sup>1</sup> الحافظة رقم 223، الملف 384، مكتوب من الحاج أحمد باي إلى السيد حسين باشا بتونس في شأن نزاع وقع بين رعايا تونس ورعايا الجزائر .

<sup>2</sup> الحافظة رقم 223. الملف 384، مكتوب من الحاج أحمد باي لقائد الزغالمة، دون تاريخ .

<sup>3</sup> أرشيف المكتبة الوطنية بالحامة، المجموعة رقم 1642 .

الفاصلة بين البلدين رغم سعي الطرفين الى تحديدها منذ اتفاقية سنة 1628<sup>1</sup>، ورغم ذلك لا يمكن الحديث عن حدود دقيقة لان القبائل الحدودية كانت تسيطر على المنطقة<sup>2</sup> وهذا ما نستنتجه من مضمون الوثائق ومنها وثيقة هامة مؤرخة في منتصف شهر جمادى الثانية 1236هـ الموافقة لسنة 1820م - وهو تاريخ عقد الصلح الأخير مع الجزائر - وهي عبارة عن مجموعة من التقارير قدّمت عرضا مفصلا عن الحملات التي انطلقت من الحدود الشرقية الجزائرية الى داخل تونس سواء التي قام بها الباي او الاعراش والقبائل الحدودية منذ بدايات القرن التاسع عشر وتوغلها داخل التراب التونسي في شكل أغارات وحملات انتقامية ونهب وسلب نفذت من قبل بايات الشرق أنفسهم أو بعض الشيوخ من القبائل والاعراش الجزائرية المتاخمة للحدود التونسية<sup>3</sup> وتحمل هذه التقارير اختتاماً خاصة بقيادة ومشايخ الأعراس التونسية الغربية في منطقة الكاف وبعض العلماء والقضاة والمفتيين الذين اتفقوا على إرسال مجموعة من التقارير حول الغارات الآتية من الشرق الجزائري، حيث تضمنت هذه الوثيقة تفاصيل هامة حول الاعراش التونسية التي تعرضت لغارات من خلال ثمانية عشر تقريراً حولها، وقد تعدد الجهات التي انطلقت منها هذه الغارات التي بدأت منذ عهد عبد الله باي قسنطينة عام 1804 الذي تميزت فترة حكمه بكثرة الغارات على المناطق التونسية المحاذية للحدود مع الجزائر، ويمكن تقسيم هذه التقارير حول هذه الغارات حسب الجهات التي قامت بها :

الحملات التي قام بها باي قسنطينة عبد الله باي سنة 1804 على منطقة الكاف وعددها ثلاث حملات، وتذكر الوثيقة بأنّ الحملة قتلت مائة وسبعين شخصا واستولت على ألف وثمانمائة من الإبل وغيرها وحوالي 2000 محبوب ذهب و 2500 ريال دورو، و 5000 ريال سكة تونس، وحملة أخرى قام بها هذا الباي رفقة شيخ الحنانشة والحراكتة على عرش الفراشيش سنة 1804 قتل خلالها ثلاثة آلاف شخص حسب التقرير الوارد في الوثيقة، وتمّ الاستيلاء على 36 الف ريال سكة تونس، وتحديث الوثيقة أيضا عن الحملة التي قام بها على عرش جندوبة بغرب تونس وتذكر الوثيقة أنّه قتل مائة وخمس وثلاثين

<sup>1</sup> ابن ابي دينار، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، المصدر السابق، ص 184

<sup>2</sup> حول قضية الحدود انظر: L.Charles Feraud : **histoire des villes de la province de constantine**, la Calle ;1871,pp631-632

<sup>3</sup> الحافظة 223، الملف 384، حول اغارات الجزائريين على الاعراش الحدودية التونسية

شخصا واستولى على حوالي ألف ومائتي ناقة مع 12 ألف ريال سكة تونس، والحملة التي قام بها على عرش القواسم التونسي، وذكرت أنه قتل منهم عشرون شخصا واستولى على 10 آلاف ريال تونسي.

كما قام حسن أغا<sup>1</sup> بحملة عسكرية أخرى على عرش الزغالمة سنة 1807. وتذكر الوثيقة أن الحملة كانت تتشكل من الفرسان والمشاة ونتج عنها مقتل مائتين وخمسين شخصا من بينهم أطفال ونساء..

تذكر الوثيقة كذلك عدة حملات قام بها شيوخ وقادة الاعراش الشرقية الجزائرية المتاخمة للحدود التونسية على الاعراش التونسية الغربية ومنها الحملة التي قام بها عرش أولاد ذياب بالجزائر<sup>2</sup> على عرش أولاد بوغانم بتونس، والتي قتل خلالها اثنان وسبعون شخصا، منهم أطفال ونساء، والاستيلاء على ألف وخمسمائة رأس من الإبل، وغيرها واخذ 2500 محبوب ذهب و3000 ريال.

كما تشير الوثيقة نفسها إلى الحملة التي قام بها عرش الحنانشة على ورغة التي تجمعها حدود مع الحنانشة، ونتج عنها قتل حوالي ثلاثين شخصا بين الذكور والإناث وحتى العبيد منهم وقد تم الاستيلاء على حوالي 12000 ريال ومواد غذائية من قمح وشعير، كما قام عرش الحنانشة بحملة على عرش أولاد عرفة التونسي، قتل خلالها ثلاثين شخصا، واستولى على 10 آلاف ريال.

بالإضافة إلى الحملة التي قام بها عرش المحاتلة بحدود سوق أهراس على عرش التوابع بتونس، حيث تشير الوثيقة نفسها إلى مقتل حوالي ستة وعشرين شخصا بين ذكور وإناث، واستيلاءه على مائتي بندقية و11 ألف ريال من سكة تونس، وتضيف نفس الوثيقة تقريرا آخر حول الحملة التي قام بها شيخ أولاد علي بن يحيى بالجزائر على عرش أولاد يعقوب بتونس قتل خلالها حوالي ستة عشر شخصا واستولى على 12 ألف من الدراهم التونسية وغيرها، كما قام هذا العرش بحملة على عرش أولاد علي التونسي، وتذكر الوثيقة أنه قتل ثمانية أشخاص وتم الاستيلاء على ألفي رأس من الاغنام، واستولى على 12 ألف ريال وغيرها، ورغم هذه التقارير المفصلة حول هذه الغارات إلا أنها قد بالغت في الأرقام التي قدمتها والتي تخص أعداد القتلى والغنائم من الإبل والأبقار والماشية التي استحوذت عليها، وربما هذه المبالغة في إرسال

<sup>1</sup> هو قائد الحملة العسكرية التي اتت من الجزائر لدعم قوات عبد الله باي لفك الحصار التونسي على قسنطينة .

كل هذه التقارير كان هدفها تبرير موقف تونس من هذا النزاع وتحميل الجزائر مسؤولية هذه الأحداث أمام السلطة العثمانية التي توسطت للصلح بين الطرفين.

### مبادرات الصلح العثمانية لانتهاء الصراع:

لقد كانت الخلافة العثمانية تنظر الى الجزائر وتونس على اساس انهما ولايتين عثمانيتين وكانت تتبادل معهما الرسائل والفرمانات كباقي الولايات العثمانية ويمكن ان نقول ان هذه الولايات الغربية بما فيها طرابلس كانت سندا قويا للخلافة في الجهة الغربية للمتوسط، ومنذ بدايات القرن التاسع عشر سعت الخلافة الى انهاء الصراع وايجاد حل لمسألة الحدود بين بايلك الشرق وتونس في غترة عرفت تقهقر الاوضاع الداخلية وازدياد التحرشات الاوربية على المنطقة ولعل ذلك كان من اهم الاسباب التي ساهمت في تدخل الخلافة العثمانية لفض النزاع بينهما، وقد أشارت العديد من الوثائق الى مساعي الصلح العثمانية ومنها المبادرة التي قام بها السلطان العثماني محمود الثاني<sup>1</sup> سنة 1227هـ الموافق ل1812، بين تونس والجزائر وهي دعوة صريحة لعقد للصلح من خلال إصدار ما يعرف بالخط الهمايوني الذي بموجبه ألزم الطرفين بانهاء الخلاف، وقد تضمن الارشيف العثماني عدة وثائق تخص إصدار الخط الهمايوني تجاه الجزائر وتونس وطرابلس<sup>2</sup>.

ومن أسباب إصدار الخلافة العثمانية هذه الأوامر السلطانية إرسال تونس لرسالة في شكل شكوى للخلافة حول تواجد بعض المراكب الجزائرية المستقرة في سواحل تونس والتي زعمت أنها هاجمت جزيرة جربة، وقد كان الأمر السلطاني في شكل إنذار للمراكب الجزائرية لوقف عملياتها، وهددت الخلافة الطرف غير الملتزم بالشروط بمعاقبته من قبل السلطان العثماني<sup>3</sup>، ومن المرجح أن هذه الحادثة تعود إلى

<sup>1</sup> هو ابن السلطان عبد الحميد الاول،. استلم حكم الخلافة سنة 1808م، عرف بإصلاح الانكشارية، وتسليح الجيش على النمط الاوربي وقد توفي سنة 1839م.. انظر مُجد فريد بك المحامي تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق احسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت لبنان 1981، صص398-400.

<sup>2</sup> الارشيف الوطني باسطنبولالوثيقة رقم685. HAT33301

<sup>3</sup> : الحافظة رقم 223. الملف384. العلاقات التونسية الجزائرية، رسالة المدعو مُجد عربنود الباش داي تونس بازميز 7جمادى الاولى 1227هـ،

سنة 1810، فقد ذكر الزهار في مذكراته أنه خلال سنة 1225هـ الموافق ل 1810م قام الرئيس حميدو بأخذ مركب تونسي، ثم أرسل مراكب إلى جزيرة جربة لأخذها وبدأ يقوم بعمليات رمي نحو البر فهرب أهلها، وهربت المراكب التونسية<sup>1</sup>.

وقد ذكرت المصادر<sup>2</sup> استمرار هذه الاحداث والصدامات بين السفن الجزائرية والتونسية وكذلك استمرار مطالبة باي الشرق الجزائري بحمولة الزيت مع امتناع تونس عن دفعها وايضا الغارات من كلا الجانبين التي عطلت مساعي الصلح ومنها قيام قائد الجيش التونسي في الحدود يوسف صاحب الطابع سنة 1812م بمحاولة لعبور الحدود داخل الاراضي الجزائرية لكنه فشل ثم رد فعل الجزائر حيث قام عمر اغا بفرض حصار على الكاف بتونس لكنه فشل ايضا ولم يحقق اهدافه، ولعل الاحداث الداخلية في الجزائر والمتمثلة في استمرار الثورات أدت تفرق قواتها، وهذه الاحداث كلها وتمسك الطرفين بموقفهما ادى الى فشل مساعي الصلح في بدايتها، لكنها استمرت فيما بعد فقد بينت بعض الوثائق الاخرى رغبة الإيالتين في الصلح وهذا ما نستنتجه من مضمون رسالة وجهها حسين باشا بتونس إلى داي الجزائر حول طلب الجزائر الصلح مع تونس<sup>3</sup>، وهي لا تتضمن تاريخ معين ولكنها ربما تعود إلى الفترة التي أعقبت وفاة حمودة باشا الذي توفي سنة 1814م، ودليل ذلك ما جاء في الوثيقة: (وقد كان المرحوم سيدي حمودة باشا اخذ مركبا بها بضائع كثيرة ومال له بال من تجارة بلادكم وقت الفتنة ولكنه أبقي على الجمرك سنين عديدة)، لكن الطرف التونسي قام برفض شروط الصلح التي تمسكت بها الجزائر وكأنها في نظر تونس بمثابة الجزية فقد كانت تونس مجبرة على دفع كميات من الزيت إلى الجزائر كشرط أساسي للصلح وتضيف الرسالة أن مسألة الزيت قد تسببت في اندلاع الحروب بين الطرفين سابقا وبالتالي يكون الصلح بتنازل الجزائر عن شروطها السابقة حسب الوثيقة، ويتفق مضمون هذه الوثيقة مع ما جاء في جواب الباي التونسي على رسالة الداوي عمر باشا بتاريخ 5 رجب 1231 الموافق ل 1 جوان 1816 بقوله: "لقد كان

<sup>1</sup> : مذكرات احمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 106 .

<sup>2</sup> : حول هذه الأحداث انظر Ernest MERCIER ; **Histoire de l'Afrique**

**septentrionale**, pp479-481

<sup>3</sup> : الحافظة رقم 223، الملف 384 حول العلاقات التونسية الجزائرية بعنوان مضمون المكتوب الموجه من السيد حسين

باشا الى باشا الجزائر في شان طلب الصلح .

اجدادما في السابق يوجهون إليكم الهدايا، إنهم مجانين لا يفكرون أما نحن فلسنا على شاكلتهم وعليه سوف لن نرسل لكم شيئا ولو كان حلة قمح.<sup>1</sup>

وقد استمرت الخلافة في سعيها للصلح وهذا ما نستنتجه من مضمون الرسالة الصادرة بتاريخ 11 ذي الحجة سنة 1232هـ الموافق لسنة 1817 حول قبول دعوة الخلافة للصلح من قبل أهل الجزائر الذين قدموا من اجل ذلك إلى الاستانة<sup>2</sup>، ومنها مراسلة الفقيه حسن خوجة بتونس حول قدوم أهل الجزائر للصلح وقال انه قد احسن اليهم وان الكل كان يطلب الصلح ، لكن بالرغم من هذا المسعى إلا أن هذه الصلح الذي عقد بهذا التاريخ تم نقضه وعودة النزاع بين الايالتين من جديد.

ويحتفظ الارشيف التونسي أيضا بمراسلة اخرى ضمن الوثائق المتعلقة ببعثة قبطان باشا الى الاستانة، وترجع الى تاريخ 1232هـ الموافق لسنة 1817م، وهي عبارة عن مراسلة مطولة من مبعوث تونسي يشهد ويخبر الباي التونسي حسين باي حول مضمون اللقاء والحجج التي قدمها المبعوث عندما التقى بقبطان احمد باشا المورلي حيث عرض فيها تفاصيل اللقاء والمبررات التي قدمها وموقف السلطة العثمانية ومن اهم ما جاء فيها:

الخلاف الذي ذكره حول تمسك الجزائر بشروطها حول التزام تونس بدفع الهدايا للجزائر كل سنة وخاصة الزيت حيث جاء في قوله على لسان قبطان احمد: "نصالح بينهم وبين الجزيرية ولكن لم تعطوا العادة التي كانت يؤدوها لهم وحمولة الزيت..." وتمسك قبطان باشا برأيه وتعصبه على حد قول المبعوث التونسي بقوله: "قال لي هذه عادة لا يمكن تبطيلها... ويضيف: "اتخذني مثلا يعبر لنا هو يقول الشيء الذي علق في سقف بين لا بد من ابقائه هناك" ولهذا كان يفهم من كلامه حسب المبعوث التونسي انه شديد الميل للجزائر واكثر تعصبا تجاه تونس ويستند في ذلك انه يدافع عن الجزائر التي كانت تدفع كل ثلاثة سنوات هدايا للسلطان وتمده بقطع بحرية اذا ما طلب ذلك السلطان حسب قول قبطان احمد باشا، وكان المبعوث

<sup>1</sup> عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي، 1816-1871، ط1، الدار التونسية للنشر تونس 1972، ص 251 .

<sup>2</sup> المحافظة رقم 221، الملف 354 بعنوان مراسلات تتعلق ببعثة احمد قبطان المورالي إلى الاستانة في شان الصلح بين تونس والجزائر .

التونسي قد رد عليه بان تلك الهدايا الجزائرية كان هدفها تغطية التجاوزات التي تقوم بها ، ومن المقترحات التي طرحها قبطان احمد باشا حسب ما جاء في قول المبعوث التونسي انه قد اقترح حلا للصلح فبدل ان تقدم تونس الهدايا والزيت الى الجزائر تصبح تونس تقدمها للسلطان، ويبرر المبعوث قوله بانه كان متمسكا بشرط عدم اعطاء الزيت للجزائر لانه لا يملك ترخيصا بقوله: "لا عندي ترخيص في اعطاء الزيت لان الوجود فيه ديوان لم يرضو..." وبالمقابل كان المبعوث التونسي يريد كسب تأييد القبطان بقبوله تقديم الهدايا للسلطان بدل الجزائر بقوله: "...الى ترسانة السلطان نصره الله تعالى مرخص من الله تعالى...".

ومن جهة أخرى وحسب المبعوث التونسي ان السلطة العثمانية كانت ترى في تونس عاصية لاوامرها حيث لم تعمل بفرمان السلطان وهذا الفرمان حسب المبعوث التونسي عندما تأكد من قراءته كان قديما قبل تسعة سنوات يلزم تونس بدفع الهدايا للجزائر وكشروط للصلح والذي سيؤدي ذلك الى التخلص من كل التحصينات والثغور التي بنتها تونس للدفاع عنها بقوله: "واذا بلغنا الحرمة يجب علينا ان نهد الابراج الذي بنينا في عمالتنا افريقية وجميع ثغور الحرب ولا تفتح سنجاك الذي فرع من علامات الاسلام ويفوه الجزيرية بذلك الى جميع جنوس النصارى ويفتخر به ويقول تونس رعيتنا فيخلط بذلك اعتبار الوجود وتعلم ان السلطان نصره الله لا يرضى بخراب وجق الذي هو من اثغار الجهاد.....

اما مسألة الدعم الجزائري البحري للسلطان العثماني فقد كان جواب المبعوث التونسي انه في العديد من المرات قامت تونس ايضا بمثل هذا الدعم الى جانب الاحسانات التي كانت ترسلها تونس الى السلطان العثماني، ويفهم من هذا الكلام الوارد في هذه المراسلات أن الطرف التونسي عرف كيف يدافع عن موقفه ويقنع السلطة العثمانية نظرا لتمسكه بموقفه وكل المبررات التي كان يقدمها وهذا ما نستنتجه من مضمون وثائق أخرى ، ففي إحدى الوثائق الصادرة بتاريخ 18 جمادى الأولى 1232هـ، 1817م، لا تحمل عنوان<sup>1</sup> وهي مبتورة السطور الأولى حيث جاء فيها على لسان إحدى الشخصيات دعوة تونس للصلح مع الجزائر وهذا بالرغم من عدم استجابة الجزائر لدعوة السلطان العثماني حيث كان الرد الجزائري سلبيا ولم تقدم جوابا مقنعا للسلطان والأكثر من ذلك لم يحسن الطرف الجزائري الحديث حيث كان حوابه ان تونس

<sup>1</sup> الحافظة رقم 223 الملف 384 حول العلاقات التونسية الجزائرية. أيضا وثائق الأرشيف الوطني باسطنبول رقم

ملكاً للجزائر واعتبرت السلطة العثمانية هذا الموقف بأنه تمرد على سلطتها فقامت السلطة العثمانية بإسقاط الشروط الجزائرية على تونس.

وقد أشار بشيء من التفصيل لهذه الرواية احمد الشريف الزهار في مذكراته<sup>1</sup> حيث ذكر أنّ السلطان محمود خان قد بعث إلى تونس والجزائر بأن يرسل كل منهما مبعوثاً من الاوجاق بشأن الصلح، فذهب من تونس رجلاً عاقلاً وذهب من الجزائر رجل أقل الناس عقلاً على حد قوله: "(لو أن الأمير بعث برجل من المرسلان<sup>2</sup> لكان أحسن ولما وصلوا إلنا الحضرة العلية أمر وزيره الأعظم الكلام من الرجلين فسؤلاً عن أسباب العداوة بين أمراء الوجقين فاخبره التونسي وعرف كيف يتكلم واطهر له الحق...)، لكن المبعوث الجزائري لم يكن كذلك بقوله: (هذه تونس كنا أخذناها سابقاً وأصبح أهلها رعية لنا وكنا نأخذ منهم الغرامة كل سنة ثم أنهم عصونا فصرنا نأخذهم ولا نزال نأخذهم ونأخذ بلادهم أن التوانسة رعية لنا مثلما الكريك رعية لكم) هذا الموقف أدى إلى غضب الوزير وأكد أن تونس ليست مجبرة على تقديم العطاء للجزائر وفرض الصلح بين الطرفين سنة 1232هـ.

كما تضمنت وثيقة عثمانية كتبت بالعربية حول إصدار خط همايوني مؤرخة في 1232 جاء فيها "الذي مع تونس نخبو صلح مع تونس فأرسل إلى تونس على صلح كل حد في قطره هو ولا عوايد ولا غيره هكذا خبرو..."<sup>3</sup> ويتضح من خلال الوثيقة دعوة السلطان العثماني كل قطر إلى التزام حدوده وتوقف تونس عن دفع الجزية لباي قسنطينة، وتتفق هذه الرواية التي قدمها الزهار في مذكراته مع مضمون الوثيقة السابقة بأن الخلافة العثمانية قد فرضت صلحاً على الطرفين دون شروط، أي التزام الجزائر بالتوقف نهائياً عن مطالبة تونس بتقديم هدايا الزيت وكميات القمح إلى باي قسنطينة كل سنة والتي كانت مجبرة على دفعها سنوياً من قبل وكان ذلك آخر اتفاق بين الطرفين لانتهاء النزاع بغد عودته في فترة محمود باشا تونس الذي عزز قدراته العسكرية في حدوده الغربية<sup>4</sup>، لكن مسألة النزاع والغارات المتبادلة عبر الحدود

<sup>1</sup> مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار، ص 146-147 .

<sup>2</sup> أي دار المجانين .

<sup>3</sup> الأرشيف الوطني باسطنبول، HAT685-33301-A

<sup>4</sup> انظر Ernest MERIER : **histoire de l'adique septentrionale...** op cit p469

استمرت الى الفترات اللاحقة خلال فترة احمد باي قسنطينة، واستمر التدخل الاجنبي ايضا الى جانب تونس خاصة بعد سقوط العاصمة سنة 1830، وحتى بعد سقوط قسنطينة استمر الخلاف الحدودي لفترات طويلة.

### المطلب الثالث: ازدياد التحرشات الاوربية على سواحل الشرق الجزائري.

تميزت هذه الفترات الاخيرة من العهد العثماني باضطراب الاوضاع الداخلية والتي كان من مظاهرها الثورات وعنديات التخريب الواسعة الناتجة عن المجاعات التي مست السكان وقد رد هؤلاء باعمال عنف واهمو الشركات الاوربية بتخريب القمح الى اوربا وقد قام هؤلاء بتخريب حصن الباستيون كرد فعل وقام سكان عنابة بمحاصرة العديد من رجال الملاحة وبعض الصيادين في سواحل الشرق الجزائري في 23 ماي 1816، وقاموا باحراق مراكبهم وقتل بعضهم وحرقت المراكب التجارية والخاصة بالصيد، وقد اثرت هذه الاعمال في لجوء بريطانيا الى استخدام القوة خلال حملة اللورد اكسموث سنة 1816<sup>1</sup>

وقد كانت بريطانيا في صراع مصالح مع فرنسا وكانت ترغب في الحفاظ على امتيازاتها بالشرق الجزائري وكانت تسمح للتجار المالطيين بالتعامل مع سكان شرق الجزائر بهدف دعم قواعدها بمالطا، ونتيجة لتلك التحرشات امر باي قسنطينة بطرد الصيادين الانجليز من عنابة والعاملين بها وقاموا بمهاجمة السفن الاجنبية بالمنطقة، واسروا 177 اسير، وهذه الاسباب اتخذها انجلترا من اجل القيام بحملة اللورد اكسموث على سواحل الجزائر، وكان من نتائجه الانسحاب النجليزي من السواحل الشرقية<sup>2</sup>

وقد نشطت اكثر الدعاية الوردية واستغلال هذه الاحداث لصالحها وهذا ما نستنتجه من خلال رسالة خسرو باشا وزير خارجة الخلافة العثمانية من خلال وثيقة خط همايوني صادرة بتاريخ 1231هـ، الموافق ل1815م، الذي حذر الاسطول الجزائري من هذه المؤامرات الناتجة عن احداث عنابة واصابة القنصل الانجليزي وهروبه، واعنبرت الخلافة ذلك دعاية كبيرة غريبة وحسب رسالة خسرو باشا ان الخلافة قامت

<sup>1</sup> الارشيف الوطني الجزائري: وثيقة دفتر همايوني بتاريخ، 1231 هـ .

<sup>2</sup> محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية... المرجع السابق، ص 101

بفتح تحقيق حول هذه الاحداث واستنتجت ان المجلتر اكانت ترغب فبق امتداد عملياتها ايضا في تونس وطرابلس<sup>1</sup>

### المطلب الرابع: احداث الحصارين الاول والثاني على قسنطينة 1836-1837:

اولا: احداث عنابة: بعد ان سقطت العاصمة في يد الفرنسيين سنة 1830 شرع الجيش الفرنسي في التوسع في المناطق الاخرى، وقد كانت عنابة محل اهتمام كبير من قبل قادة الاحتلال وفي نظرهم لا يمكن احتلال قسنطينة دون احتلال مدينة عنابة ولذلك سارعوا لاحتلالها في بداية شهر اوت 1830م<sup>2</sup> ودليل ذلك حجم الوثائق التي تضمنها الارشيف الاستعماري من تقارير وخرائط انجزت من قبل ضباط الهندسة العسكرية، وقدرت المنطقة أحداثا هامة متسارعة ساهمت في تدهور الاوضاع وخاصة مع تواطؤ شخصيات كانت حاكمة من قبل وكانت في صراع مع الباي احمد اخر البايات، ومن ضمن هذه التطورات الهامة التي تحدثت عنها المصادر التاريخية المعاصرة هي توجه ابراهيم باي وهو باي سابق لقسنطينة الى عنابة بعدما علم بمطاردته من قبل احمد باي، وقد جهز احمد باي حملة بقيادة عمار بن زقوطة وقد طالب الاهالي من احمد باي التوقف عن السير لمنع القتال بين الطرفين في الوقت الذي كان الفرنسيون يسيطرون فيه على مدينة عنابة، لكن احمد باي عزم على السير ثم توجه بحملة اخرى بقيادة بن عيسى<sup>3</sup>، وهو خليفة احمد باي الذي لعب دورا هاما في الدفاع عن ادينة قسنطينة فيما بعد خلال الحصارين<sup>4</sup> واستطاعت قواته محاصرة مدينة عنابة، لكن يوسف باي الباي السابق لقسنطينة والذي عرف بتواطؤه مع الفرنسيين قد ذهب للمدينة ودخل القصبه دون عناء وقد تمكن منها مما ادى الى انسحاب القائد بن عيسى وبعد القيام بحملة اخرى من قبل احمد باي الى عنابة لكن يوسف باي استطاع ان يصدّها واجبرها على الانسحاب وقد طالب الاعيان احمد باي بعقد صلح مع الفرنسيين، وفي سنة 1251هـ - 1832م، قام احمد باي بتجهيز حملة والذهاب إلى منطقة الذرعان التي كانت تتمركز فيها القوات الفرنسية ووصل إلى عقبة

<sup>1</sup> الارشيف الوطني الجزائري، وثيقة دفتر همايوني بتاريخ 1231هـ.

العياشي رواجي: الادارة الاستعمارية وعلاقتها بالعائلات الكبرى في مقاطعة قسنطينة 1837-1871، رسالة دكتوراه

<sup>2</sup> علوم ي التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2014-2015

<sup>3</sup> محمد الصالح ابن العنزي: فريدة منيسة... المصدر السابق، ص 123-124

<sup>4</sup> H55 Etat de la province de, la situation politique faite par Ben Aissa

العشاري وهي منطقة مرتفعة بين قسنطينة وعنابة ثم تقدم إلى طريق قالمة نحو حمام المسخوطين، وقد قابل قوات يوسف باي الذي استطاع إجباره على الانسحاب أيضا إلى قلعة بوصبع<sup>1</sup>، وعن هذا الاحداث يذكر احمد باي في مذكراته ان ابن عيسى استطاع ان يحاصر عنابة واجبر ابراهيم باي على الانحباس في القصبية ثم قام بالفرار منها<sup>2</sup>، ويذكر كذلك ان الفرنسيين لم يفقدوا امل استرجاع المدينة فارسلوا باخرتين محملتين بالعساكر ونزلوا الشاطئ وانظم يوسف باي الذي رجع من تونس للفرنسيين وفي تلك الاحداث تلقى احمد باي جواب من السلطان العثماني محمود يشجعه على موقفه في مواجهة الفرنسيين<sup>3</sup>، ثم يذكر ايضا انه قد طلب اخلاء المدينة من السكان ولكن الفرنسيون قد استطاعوا احتلالها، وكان هدفه هو وضع العراقيل لمشاريعهم المقبلة وامر ابن عيسى بمحاصرتها ولكن الفرنسيين عينوا يوسف باي على راس فرسان البلد اما ابراهيم فقد لجأ الى الجبال وظل يحارب لسنتين<sup>4</sup>.

ومن التطورات الهامة ايضا خلال هذه الاحداث هو موقف الخلافة العثمانية وقد بين الحاج احمد باي ذلك الموقف على انه تميز بالحذر حيث اوصى السلطان بالصبر فقط دون تقديم الدعم، وفسر ذلك على ان باي تونس قد بعث رسائل للسلطان تظهره بمظهر التمرد "...وانه قد حاول الخروج عن طاعة الداى عندما ضرب العملة باسمه كم لو كان سلطان القسطنطينية..."<sup>5</sup>، ويضيف كذلك انه بالرغم من مساعي حمدان خوجة الذي ارسله الحاكم-دورفيكو- الا انه قد فشل عندما طلب من الباى الاستسلام، وطلب الاطلاع على شروط الصلح الفرنسية وكان رده انه لا بد من استشارة القادة ورفض الشروط الاولى ليقدم ليعرض حمدان خوجة الشروط الثانية ومنها تنصيب فرنسا لحاميات على قصبية عنابة وقصبية قسنطينة واحتلال ميناء عنابة، وقوبلت كلها بالرفض<sup>6</sup>، وقد بين ايضا في مذكراته كل الظروف التي احاطت به ومنها

<sup>1</sup> .: مُجَّد الصالح ابن العنزي: فريدة منيسة... المصدر السابق، ص 128-131

<sup>2</sup>: مذكرات الحاج احد باي، المصدر السابق، ص 26.

<sup>3</sup>: نفس المصدر، ص 29-30.

<sup>4</sup>: نفسه

<sup>5</sup>: نفس المصدر، ص 32

<sup>6</sup>: نفس المصدر، ص 34-35

ومنها تأثير مرض الكوليرا وعودة نشاط يوسف باي في عنابة وغزواته وتخريجه للسكان كما خلص احمد باي الى تعطيل القوات الفرنسية ليقوم بتحسين اسوار قسنطينة<sup>1</sup>

**ثانيا: الحملة الاولى على قسنطينة 1836:** لقد كان هدف فرنسا توسيع عملية الاحتلال في الشرق الجزائري وكانت ترى في ذلك ضرورة ملحة وقد دل على ذلك التقارير العسكرية التي بينت ذلك ومنها التقرير الصادر في 19 مارس 1836، من وزير الحرب الى المارشال كلوزيل والذي أكد على ضرورة غزو قسنطينة والالحاح على ذلك بهدف توسيع عملية احتلال الجزائر الى حانب التوسع في المناطق الاخرى مثل بجاية ومستغانم<sup>2</sup>، كما دلت وثيقة اخرى على تعاون يوسف باي مع القوات الفرنسية خلال الحملة الاولى التي وصلت قسنطينة وفرضت الحصار الاول عليها سنة 1836، وكان يوسف باي قد دعم كثيرا الفرنسيين خلال حملتهم وكانت فرنسا تعتمد عليه من اجل انجاح حصارها فقد ذكرت الوثيقة ابلاغ قائد المدفعية بعنابة حول دعم يوسف باي الذي استطاع ان يجمع 1000 مقاتل الى جانبه والذي قدم جميع التسهيلات لتحرك القوات الفرنسية خلال الحصار الاول<sup>3</sup>

اما بالنسبة للمناطق التي تمركزت فيها القوات الفرنسية فقد جاء في احدى الوثائق ان قيادة القوات الفرنسية بعنابة والتي قامت بالحملة الاولى كانت تحت قيادة **ديبورمون** وقد اتخذت موقع في ضواحي المدينة بجانب بحيرة قرب زاوية سيدي نعمان، حيث انشأ معسكر الغزو الى جانب قوات الاصبائية تحت قيادة النقيب -**دولومب**- الذي كان يقود سرية عسكرية من 50 فارس اصبائيا وقد استطاع السيطرة على المنطقة الجغرافية الفاصلة بين الهضبة والجلبل في الدرعان حسب الوثيقة، وبعد تامين خط الاتصال والامداد تم اخبار قيادة الاركان العليا ان قوات احمد باي قد اقتربت من تلك المنطقة بهدف الهجوم على القوات

<sup>1</sup>: نفس المصدر، ص 48

<sup>2</sup>AMG 1H194 , **Rapport 19mars 1836 a M Marchal Clauzil**

<sup>3</sup>AMG 1H194, **Rapport 21 mars 1836 de Commandement d'état major a M le Marchal, et AMG 1H39 L'infanterie Youssef, et 1H41 dossier 3, Duverger, établit ses prévision par l'expédition de Constantine et Youssef**

الفرنسية كما تم اخبار المعسكر الذي كان في المنطقة والذي كان يحمل اسم معسكر **كلوزيل**، كما بينت الوثيقة ايضا المساعدات التي قدمها يوسف باي الى جانب القوات الفرنسية حيث اضافت ان قواته استطاعت ان تكتشف أماكن تجمع المقاومين، ومنها مكان تجمع قوات من المقاومة ضمن قبائل قريبة من زردازة، وقد استطاع اسر العديد من رجال المقاومة واقتادهم الى عنابة<sup>1</sup>

بعد انسحاب قوات احمد باي الى قسنطينة عزم يوسف باي الى السير بحملة من عنابة الى قسنطينة وكان مدعما بقوات فرنسية، وكان يوسف باي قد ساعد القوات الفرنسية بكل المعلومات حول الطريق المؤدي لقسنطينة وحول احمد باي وعلاقته بالقبائل المحيطة به<sup>2</sup>، ونظرا لهذه المساعدات التي قدمها للجيش الفرنسي فقد تم اقتراحه فيما بعد لكي يكون قائدا على الاصابحية في عنابة<sup>3</sup>

وعندما اقتربت القوات من المدينة دارت الحرب ثلاثة أيام واندلعت مقاومة كبيرة في أعالي المدينة حتى تراجع الفرنسيون، ثم أعادوا الهجوم مرة أخرى جهة الرحبة وهزموا أيضا مما أدى إلى تراجع القوات الفرنسية وعودة يوسف باي الى عنابة.

**ثالثا: الحملة الثانية على قسنطينة 1837:** بعد تجهيز الحملة الفرنسية للذهاب الى قالمة والسير الى قسنطينة وفي هذا الوقت خرجت قوات فرنسية من عنابة مجهزة بحملة كبيرة على رأسها الدوق **دومور والمارشال داريمون** ونزلوا بواد مجاز عمار من اجل توسيع الطريق المؤدي الى قسنطينة، وفي هذه الظروف عرض الفرنسيون الصلح مع احمد باي.

وقد كانت فرنسا خلال الحصار الثاني عازمة على نجاح احتلالها لقسنطينة وقد بينت ذلك مجموع الاستعدادات الكبيرة والدعائية لذلك فقد جاء في احدى الوثائق المنقولة من جريدة ورقة اخبار الجزائر

---

<sup>1</sup>Ibidem

<sup>2</sup>AMG 1H145, dossier 2, ; **expédition de constantine**

<sup>3</sup>AMG 1H194 ; **note pur M le directeur général des personnels et des opérations militaires**

بتاريخ 9 اكتوبر حول الاوامر التي اعطتها القيادة العليا الفرنسية للجنود في اول اكتوبر 1837، والتي دعت للتجند والالتفاف حول الجيش الفرنسي وتعويض خسائر الحملة الفرنسية الأولى على قسنطينة<sup>1</sup>.

كما بينت الوثائق الاستعدادات الفرنسية الكبيرة وطريقة سير الحملة من عنابة الى قسنطينة فقد جاء في احدى الوثائق التي تبين طلب تعزيز القوى المتمركزة في عنابة وغيرها لتجنب الصعوبات السابقة من خلال إرسال البواخر الى ميناء عنابة بهدف دعم الفوج العسكري الأول وإرساء ثلاثة سفن كبيرة تحمل اكبر عدد من المقاتلين لتعزيز قدرات الجيش<sup>2</sup>

كما كانت عنابة تستقبل قوات من الجنود والعتاد وخاصة المدفعية والهندسة العسكرية<sup>3</sup> وبالرغم ذلك إلا أن الاستعدادات الفرنسية للحملة الثانية قبل بدايتها في اكتوبر قد عرفت العديد من الصعوبات ومنها انتشار الامراض وسط الجنود وقد بين ذلك حجم المراسلات الصادرة في هذا الشأن ومنها المراسلة الصادرة حول تحويل العديد من المرضى من الجنود الفرنسيين من ميناء عنابة إلى ميناء طولون عن طريق السفن بسبب اصابتهم بأمراض مختلفة منها الحمى والاسهال والارهاق وكانت هذه المراسلة قد تلت عدة مراسلات اخرى امتدت من شهر اوت الى سبتمبر بداية الحملة<sup>4</sup>.

---

**<sup>1</sup>AMG 1H146 : Ordre du 1 octobre 1837 par le comte Damremont ,Le moniteur algerien 9 octobre 1837**

**<sup>2</sup>AMG 1H146 : le général chef de la 9eme brigade a Montpellier chef des lignes télégraphiques, le 2 octobre 1837**

**<sup>3</sup>AMG 1H46 ;Etat des personnes et matériels de l'artillerie et de génie arrive a bone**

**<sup>4</sup>AMG 1H146 ;le général gouverneur des consessions d'Afrique d'après le rapport de médecin Linaroui le 31 out 11 septembre 1837**

وقد حاء في تقرير آخر يبين خطورة انتشار مرض الطاعون في قسنطينة والذي كان مصدره من تونس وطرابلس وقد ذكر التقرير انه سيهدد ستون الفا من الفرنسيين المجندين في الجيش الملكي<sup>1</sup>.

ضف إلى ذلك الأعباء المالية التي تطلبها الحملة الفرنسية فقد جاء في إحدى التقارير ان هذه الحملة ستكلف فرنسا مبالغ مالية تقدر ب1500000 فرنك فرنسي للشهر الواحد<sup>2</sup>.

أما عن انطلاق الحملة في بداية اكتوبر فقد جاء في الجريدة المذكورة سابقا في مقال بعنوان بعنوان: - **مقاطعة قسنطينة، جديد عنابة** - ان عملية تحرك الجيش الفرنسي ومغادرته لمعسكر مجاز عمار بقالم كانت في ظروف جيدة حسب تعبيرها، وتحدثت عن تحركات الجيش الذي وصل الى منطقة رأس العقبة على الساعة العاشرة صباحا وهو وقت كان متأخرا بسبب الامطار الغزيرة التي لم تتوقف الا بعد مرور اربعة ساعات من التساقط، وبالتالي قد صعبت من عملية سير وعبور العربات القتالية بسبب التربة المغمورة بالمياه، وخاصة تأخر سير عربات المدفعية الكبيرة وقسم من الجيش المرتحل قد وصل مساء الى اعلى القمة وقد قام الحاكم العام بأخذ موقعه في الجانب الاخر مع فرقة القائد **دينمور**، وفي اليوم الموالي بعد توقف الامطار واستقرار الجو التحقت قوات فرقة الجنرال **تريزيل** وقام الحاكم العام الى جانب الفرقتين بالتجمع قرب منطقة سيدي تتمم، واستطاعت الفرقتين الوصول الى رأس العقبة من اجل السير في اليوم الموالي الى راس سيدي تتمم، أما الحاكم العام الى جانب الفرقتين الاخرتين فقد استطاع الصعود الى حوض واد زناقي الى غاية منبع الواد ولم يبقى فقط الا سبعة محطات للوصول الى قسنطينة، وازاف التقرير الصحفي ان اختيار الفترة الزمنية في بداية شهر اكتوبر لأنه شهر ملائم بين فصلين فصل حار في الصيف يؤثر سلبا على حركة الجنود وأيضا قبل فصل التساقط الغزير حيث يؤثر سلبا على حركة مرور المدفعية الثقيلة، وبالتالي فهو اختيار مناسب بغض النظر على بعض الصعوبات المناخية من تساقط والتي اعتبرت حالة عابرة فقط<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup>AMG 1H194 ; **administration des lignes**, Alphense Foi, dépêche télégraphique Toulon le 12 mai 1837

<sup>2</sup>AMG 1H44, dossier 3, **situation a Guelma et Constantine**

<sup>3</sup> AMG 1H146 : **nouvel de la province**, le moniteur algérien 9 octobre 1837

وقد وضحت احدى الخرائط المنجزة معالم ضواحي قالمة التي تمركز فيها معسكر قالمة والذي كان مقره في الجهة الجنوبية من وادي سييوس<sup>1</sup>.

اما عن تجهيزات الجيش فقد ذكرت الوثيقة كذلك انه كان مجهزا بمختلف العتاد تجنباً لوقوع الصعوبات المحتملة خاصة المناخية التي قد تعيق السير خاصة وانه لم يبق الكثير للوصول الى اصوار قسنطينة، وتذكر الوثيقة ان احمد باي قد غادر في أول اكتوبر موضعه بعد هجومات مجاز عمار، الذي نزل فيه سابقاً، وكذلك أشارت الى تراجع القبائل لأنها فقدت العديد من رجالها ولم تبق تقاوم إلا في ثلاث مناطق فقط قرب قسنطينة، والتي كانت في انتظار قدوم القوات الفرنسية<sup>2</sup>

هذا حسب هذه الجريدة لكن التقارير الاخرى التي جمعت معلومات حول قوات احمد باي ووسائل دفاعاته في مدينة قسنطينة قد بينت أن تأثيره على أنصاره قد أصبح في تزايد مستمر<sup>3</sup>

وحول التقديرات الخاصة بتعداد قواته للدفاع عن المدينة فقد قدرتها ب 32000 مقاوم من العرب والقبائل وهذا حسب التقرير الفرنسي<sup>4</sup>

واما عن الاستعدادات الاخرى للحملة فقد بينت احدى الوثائق تقسيم الفرق العسكرية على النحو الاتي من خلال الجدول<sup>5</sup>:

---

<sup>1</sup> الخريطة انجزت من قبل نقيب قيادة الاركان -فورجريل- في 18 اكتوبر 1837

<sup>2</sup> AMG 1H146, ;nouvel de la province, le moniteur algérien

**9octobre1837**

<sup>3</sup>AMG 1H46 , dossier 3 , renseignements sur les forces d'Ahmed bey.

<sup>4</sup> AMG 1H51 ;renseignement sur les forces d'Ahmad Bey.

<sup>5</sup>AMG 1H146 ; tableau de nombre de troupes militaire et officiers et sections d'infanteries et d'artérie par lechef Nicolas , le 5 octobre 1837.

## جدول اهم القوات المخصصة لحصار قسنطينة

منها:

الفوج 47 للخطوط والامداد

اللفيف الاجنبي

الخيالة

الفوج 26 للامداد

الفوج 17 خفيف للامداد

الفوج 2 خفيف للامداد

الكتيبة الثالثة الافريقية

الزواف

القناصة الافريقية

قاطرات التجهيز

الهندسة

المدفعية

خدمات المستشفيات

الدعم العسكري

الاسعافات

كما بينت وثيقة اخرى اهم الفرق التي قادت الحملة الثانية وهي كالآتي:

الفرقة الاولى: كان قائدها الدوق دينمور

الفرقة الثانية: كان قائدها الجنرال تريبزيل التي قامت باجتياز رأس العقبة في ذلك اليوم(أي أول أكتوبر) أما باقي القوة العسكرية فكانت تنتظر اوامر التحرك<sup>1</sup>

كما بينت الوثائق ان الحملة وعميات الغزو كانت قد انطلقت من مجاز عمار حيث كان يعسكر الجيش الفرنسي وذكرت ان عدد القوات كان 20 الف مقاتل<sup>2</sup>

وما نلاحظه من خلال هذه الوثائق التي تضمنت العديد من التقارير العسكرية انها ركزت على دور الهندسة العسكرية وهذا يدل على حجم الاستعدادات الهامة بهدف نجاح الحملة الثانية على قسطنطينة فقد جاء في احدى الوثائق حول الحالة المادية للقوة العسكرية التي تمركزت في معسكر سطح المنصورة بعد الوصول اليه انه تم تجهيز 40 الف كيس رملي يستخدم كمتاريس للجنود و تجهيز 2000 كلع من المتفجرات<sup>3</sup>، وهذه الاعمال هي من تخصص الهندسة العسكرية، وتبين الوثائق ايضا كيفية تقدم القوات الفرنسية عند وصولها الى قسطنطينة في بداية شهر اكتوبر حيث جاء في تقرير حول القوات المتمركزة في المنصورة ان الجيش قد استطاع تشكيل ثغرات أرضية في المدخل الأيسر لسطح المنصورة، أما بالنسبة للمدخل الآخر للمدينة الذي اتخذته قوات الاحتلال فكان عن طريق كدية عاتي، كما بين التقرير الفترة الزمنية التي استغرقها التحضير فيذكر التقرير ان العمل قد بدا الثامنة صباحا من اجل انشاء جدار اكياس الرمل كمتاريس للجنود وقد تم وضع 1600 كيس رملي بغرض الحماية وتم تجهيز مخزون البطارية الخاصة بالمدفعية والذي يشرف عليه جنديين اثنين، وهذه العملية تسهل مهام قائد المدفعية للقيام بالقصف، كما

---

<sup>1</sup>AMG 1H146 : **Rapport de Damrimone a M le ministre de la guerre a paris le 8 octobre 1837.**

<sup>2</sup>AMG 1H46 : **Rapport le 8 octobre 1837**

<sup>3</sup>1MG 1H46 : **Etat matériel de corps de Genie militaire au camp de Sath Al Mansoura, par le chef du bataient de genie, Villarrer**

بينت تموضع جيش المشاة خلف البطارية، ويضيف التقرير أن رجال احمد باي قاموا بإطلاق عيارات نارية فقط دون غيرها وهذا حسب التقرير<sup>1</sup>

اما عن دور احمد باي ودعوة القبائل للجهاد فقد ذكرت الوثائق دعوة الباي للقبائل بغرض الدفاع عن المدينة ومنها قبائل ستورة، وقد جاء في احدى الوثائق: "إن الفرنسيين قد احتلوا عنابة منذ خمس سنوات وهذا الخائن يوسف الذي يظن تفسخ بأنه مسلم كان طوال الوقت يقود ضواحي مدينة عنابة، ويقوم بسفك دماء إخوانه ويساعد الفرنسيين دون أي اهتمام أو إحساس، إن هذا العدو الفرنسي قد وصل إلى سطح المنصورة العام الماضي لتحطيم مدينتنا الجميلة، واستطعت ان اطرده وإفشال حملته، وخلال هذه الأيام أراد الفرنسيون عقد صلح معنا لكن شروط الصلح هذه غير مرضية وقاسية جدا ولا يمكن ان يقبلها المسلم، انهم يريدون ان يضعوا حامية من 3 الى 4 الاف جندي في القصبه وبناء برج في سطح المنصورة، وكدية عاتي واخذ 500 بنت من بنات المسلمين تحت تصرفهم، وان قبلتم بذلك سأخذ فرسي وعائلي واتجه الى الصحراء واذا كنتم مسلمين فدافعوا عن مدينتكم..."<sup>2</sup>

وتشير وثيقة اخرى الى المعلومات حول تقدم قوات احمد باي بقسنطينة والتي اشارت بان احمد باي لم يبق له إلا مجموعات صغيرة من المقاومين التي اجتمعت حوله ومعه خليفته، وان الجيش الفرنسي قد تقدم وحقق انتصارات منذ 6 اكتوبر 1837م، وكان من اهداف الجيش الفرنسي اكتشاف باقي المدينة ووضع بطاريات المدافع وإطلاق النار وتحقيق الاحتلال النهائي لها<sup>3</sup>

ورغم نجاح الحملة الفرنسية الثانية سنة 1837م، إلا أن القوات الفرنسية عانت من صعوبات وتلقت ضربات من قبل المقاومة وقد تضمنت الوثائق الأرشيفية العديد من التقارير الخاصة بخسائر الجيش الفرنسي خلال الحملة وحصار قسنطينة الثاني ومنها تقرير خاص بعدد القتلى و الجرحى في صفوف قوات الهندسة

---

<sup>1</sup> AMG 1H46 :**Rapport de capitaine de génie Careu le 6 octobre 1837.**

<sup>2</sup>AMG 1H194 :**Nouvel de la province le moniteur algérien  
9octobre1837**

<sup>3</sup>AMG 1H194 :**Rapport de Chef d'état major de l'armée d'Afrique  
Terryaune le 11octobre 1837.**

العسكرية الخاصة بالفوج الأول والثاني والثالث في 14 أكتوبر 1837، وقد ذكر التقرير ان العدد كان كالآتي:

الضباط : عدد القتلى 01 وعدد الجرحى 03، أما صف الضباط: عدد القتلى 05 وعدد الجرحى 48 جندي<sup>1</sup>

إضافة إلى جداول أخرى حول الخسائر في صفوف الفوج الثالث للهندسة الكتيبة الأولى السرية السادسة<sup>2</sup> حيث بين الجدول اسم المصاب وجهة الإصابة ونوعها في صفوف الجنود الفرنسيين، كما أشارت جداول أخرى إلى خسائر العتاد ومنها التقرير الخاص بفقدان الجنود لخيولهم أثناء المعارك في سطح المنصورة ومن ضمنها خسائر الفوج الثالث للمطاردين الافريقي<sup>3</sup>، وهذه الجداول الموضحة والعديد من التقارير الاخرى كانت تعكس حجم الخسائر التي تعرضت لها القوات خلال الحصار الثاني على قسنطينة، هذا إضافة إلى تأثير الأمراض التي أصابت الجنود بسبب انتشار الكوليرا حيث أشارت إحدى التقارير إلى حجم الإصابات التي تلقى أصحابها العلاج في مستشفى عنابة وقدرت العدد بـ 150 إصابة منذ بداية الحملة الفرنسية<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup>AMG 1H236 :**Relever des situation du camp de génie faisant connaitre le** nombre de tues et blessés dans l'assauts du 13 octobre 1837 par le colonel chef d'état major du génie

<sup>2</sup>AMG 1H236 :**Etat nominatif des hommes tues ou blesses pendant le siège le** 15 octobre 1837

<sup>3</sup>AMG 1H236 :**Expédition de Constantine, 3eme régiment du chasseurs** d'afrique, Etat nominatif des officies qui ont perdu des chevaux le colonel de régiment le 15 octobre 1837 ;

<sup>4</sup>AMG 1H194 :**hôpital de bone, mouvement des cholériques traites a** l'hôpital de bone depuis le 3 - 11 octobre 1837, certifier par l'officier, bone le 12 octobre 1837

رابعاً: موقف أعيان مدينة قسنطينة من الحملة الثانية: بعد سقوط قسنطينة في يد الاحتلال لم يكن للأعيان إلا الاعتراف بسلطة الاحتلال الحديدية وقد جاء في رسالة من أهل قسنطينة إلى الحاكم العام ما يلي: "إلى ولد ملك الملوك... إن أهل بلد قسنطينة يشكرونك ويشنون عليك الثناء الجميل... ويسلمون عليك سلاماً تاماً من لسان شيخ البلد والقضاة والمفاتيح والخاص والعام ويشتكون إليك... فأثم الآن محسوبون عليك وداخلون تحت طاعة الرأي..."<sup>1</sup>

وقد استطاعت القوات الفرنسية أن تحتل مدينة قسنطينة خلال الحصار الثاني لها وسيطرت على أبرز الأماكن التي كانت مقراً للباي واستمرت في اكتشاف ما تبقى من المدينة بعد امضاء معاهدة الاستسلام التي حسب ادعائها أنها التزمت فيها بالحفاظ على جميع ممتلكات المسلمين وفرضت شروطها<sup>2</sup> مع الالتزام أيضاً بحرية السكان في ممارسة تجارتهم وبقاء محلاتهم مفتوحة ومساجدهم ولا يتعرض أحد للمسلمين كذلك، وهذا ما استحسنه أعيان المدينة بعد سقوطها من خلال ما جاء في رسالة على لسان شيخ البلد بتاريخ 1253 هـ<sup>3</sup>.

لكن الإجراءات التي تبعت الاحتلال وتصرفات جيش الاحتلال كانت عكس ذلك فقد شرع الجنود في نهب الممتلكات الخاصة بالسكان وتبعتها أعمال قمع ومصادرات واسعة، وهذا ما دلت عليه العرائض والشكاوى التي كان يرسلها شيخ البلد وبقية أهالي قسنطينة إلى الحاكم العام وقد جاء منها: "...غير أنه لم يعد مكتوبكم شيء من جهة عسكريكم لأنه لم يكف عن النهب من المساجد وغيرها فالمرغوب منكم أن تأمروا كبارهم يكفونهم عن ذلك لأن في ذلك السداد وعمارة..."<sup>4</sup>

خامساً: موقف العائلات والأسر الكبرى: لقد اختلفت مواقف العائلات والأسر الكبرى التي كانت تربطها علاقات خاصة مع السلطة وخاصة في عهد أحمد باي الذي اختلف في تعاملاته، فقد حافظ على علاقات جيدة مع بعضها وانتهج سياسة عدائية مع البعض الآخر، أو ما يعرف بسياسة فرق تسد، وهذه

<sup>1</sup> رسالة من أهل قسنطينة إلى الحاكم العام 1837 ; AMG 1H146

<sup>2</sup>: حول وثيقة الاستسلام كاملة انظر: AMG 1H55 :Etat de la province

<sup>3</sup> AMG 1H146, op cit

<sup>4</sup> AMG 1H146.

العوامل هي التي جعلت من هذه العائلات تتخذ مواقف متباينة خلال الاحداث الاخيرة بعنابة الى سقوط قسنطينة، ويمكن ان نميز بين موقفين موقف المؤيد للحاج احمد باي وموقف المعارض والمتعاون مع الاحتلال.

**-موقف المؤيد:** ان تعطيل احتلال فرنسا لعنابة من 1830 الى 1832 يدل على مقاومة القبائل والعائلات الكبرى المحيطة بالمدينة للمشروع الفرنسي، وعند فشل الحصار الاول على قسنطينة سنة 1836، شرع الحاج احمد باي في الاتصال بشيوخ القبائل وكتب العديد من الرسائل يطلب الصمود والدعم ويذكر الجهات التي وقفت معه بالاسماء وعبر عنهم بالاشخاص الذين لبوا النداء ومنهم: مسعود بن المبارك شيخ ريغة، الرزقي شيخ الحنانشة، الشيخ رجب شيخ الحراكتة، العربي بوضياف شيخ الاوراس، محمد بن بوعزيز شيخ بلزمة، شيخ اولاد بوعون، احمد المقراني، محمد بن عبد السلام المقراني، ولد بن عبد الله المقراني، شيخ اولاد الحداد بن محمد مسعود بن الحفصي المقراني قائد ساحل سكيكدة، بوعزيز بن قانة شيخ العرب، محمد بن الحاج قائد التلاغمة، بوعكاز شيخ فرجيو، بن عز الدين شيخ الزواغة، محمد بن بوعزيز قائد اولاد عبد النور<sup>1</sup>، كما ذكر ايضا انضمام قبائل الساحل بجيجل والقل تحت قيادة مولاي الشقفة ومعه عشرة الاف رجل<sup>2</sup>، ومن خلال هذه الاسماء يظهر موقف العائلات التي وقفت الى جانبه وهي عائلة الرزقي بالحنانشة، وعائلة المقراني بفرعيها، وعائلة بن قانة التي مثلها شيخ العرب بوعزيز بن قانة، وعائلة بوعكاز بن عاشور وعائلة اولاد عز الدين.

وكل عائلة من العائلات المذكورة قد لعبت دور فعائلة بوعكاز دعمت احمد باي بفرسان احمد بوعكاز حين وقفوا الى جانب فرسان شيخ العرب بوعزيز بن قانة عند الدفاع عن قسنطينة خلال الحصار الاول 1836، وقاتلوا خلال الحملة الثانية ايضا، وبقيت بوعكاز وفية له، اما عائلة اولاد عز الدين فقد وقفت الى جانب احمد باي خلال الحملة الاولى وقد اتصل احمد باي ببيورنان بن عز الدين وطلب منه

<sup>1</sup>: مذكرات احمد باي، ص 69

<sup>2</sup>: نفس المصدر، ص 71.

حماية اهله وسائر ممتلكاته التي ارسل له، وخلال الحملة الثانية ايضا وقفت الى جانبه وبعد سقوط قسنطينة في 1837م عادت الاسرة الى مقرها بفرجيوة رافضة التعاون من الاحتلال<sup>1</sup>.

اما عائلة بن قانة فقد وقفت الاسرة الى جانب احمد باي نظرا للعلاقة الجيدة معه، وعند سقوط العاصمة سنة 1830، اتخذ شيخ بن قانة موقفا خاصا وخاطب اعيان قسنطينة يوصيهم بالوقوف الى جانب احمد باي ويقول لهم انه ليس تركيا كباقي الحكام وامه عربية واستمراره بايا عللا قسنطينة سيخلص السكان من هيمنة الانكشارية، ولهذا لا بد من دعمه<sup>2</sup>، وفيما بعد فقد شاركت الاسرة في الدفاع عن المدينة خلال الحصارين بكل شيوخها وتخذقوا الى جانبه على الضفة اليمنى لوادي الرمال، وايضا شارك شيخ العرب بوعزيز بن قانة في ترتيب الخطة الدفاعية التي اعدّها احمد باي وتشجيعه على التوجه الى الصحراء<sup>3</sup>،

بالنسبة لعائلة المقراني فقد تباينت مواقفها فقد تعاون فرع اولاد القندوز مع احمد باي، وسار احمد بن محمد المقراني من فروع اولاد الحاج الى المدينة للدغاع عنها خلال الحصارين، اما عائلة الرزقي فقد وقف الى جانب احمد باي رغم سعي المصادر الفرنسية الى الترويج عكس ذلك، ودليل ذلك ان احمد باي كان يذكره ضمن القادة الذين كان يتصل بهم<sup>4</sup>.

**-موقف المعارض:** لقد اتخذت العائلات الجنوبية هذا الموقف ممثلة في عائلة بوعكاز الذواودة وعائلة بن جلاب بتوقرت، ويمكن تفسير ذلك بالعداء التاريخي بين البايات والعائلات في الجنوب وقبائلها التي كانت عرضة لحمولات عسكرية خاصة في عهد صالح باي ثم احمد باي الذي كان يعادي فرحات بن السعيد كما راينا سابقا في الحديث عن تطور المشيخة.

لقد كثف فرحات بن السعيد بمن اتصالاته بقيادة الاحتلال بعد الحصار الاول وخاصة مع الحاكم دامريمون، وتبدوا من خلال رسائله الشناء عليه والرغبة في التقرب منه، وتشجيعه على احتلال المدينة، ويذكر انه حشد جيوشا قوامها الف فارس وعدد من السكان لدعم الحملة الفرنسية، وحسب البعض ان هذه

<sup>1</sup>: العياشي رواجي: الادارة الاستعمارية وعلاقتها مع العائلات الكبرى... المرجع السابق، ص 58.

<sup>2</sup>: Abd Eljalil TEMIMI: **le beylik de constantine...** oo cit, p55.

<sup>3</sup>: نفس المصدر، ص 59.

<sup>4</sup>: نفس المرجع، ص 61-62.

الرسائل ساهمت مساهمة معتبرة في رفع معنويات قادة الاحتلال والتأثير على قوات احمد باي ولهذا يكون فرحات بن السعيد شيخ بوعكاز الذواودة قد ساهم في دعم الفرنسيين، وانه كان يقترب منهم فقط عندما كان متيقنا بان قادة الاحتلال سوف يحتلون المدينة حيث عسكر بقواته بقبيلة اولاد عبد النور القريبة من المدينة، وفي 27 اكتوبر 1837 دخل الشيخ فرحات بن السعيد قسنطينة وكان مصحوبا بقوة عسكرية برفقة والده احمد بن شنوف والعديد من اعيان العائلة<sup>1</sup>.

اما بالنسبة لموقف بني جلاب كان موقف الاسرة متعاوننا مع الفرنسيين، وربما نكون الحملات التاديبية المتكررة التي عرفتها المنطقة قد اثرت سلبا على العلاقات مع السلطة والتي بدأت منذ جملة صالح رايس سنة 1552 وحملة صالح باي سنة 1788، وحملة احمد المملوك سنة 1818، واستمراره في دفع الضرائب خلال عهد احمد باي عن طريق القوة كما ان خلافهم مع شيخ توقرت وشيخ الطريقة التيجانية بتماسين وانتماء بني جلاب الى الطريقة الطيبية والصراع بينهما حتى وصل الامر الى الاستعانة بالفرنسيين التي عملت على تغذية هذا الصراع فيما بعد<sup>2</sup>، وقبل سقوط قسنطينة ظل هؤلاء يرسلون الحاكم العام الجنرال دروي ديرلون وقد شجع الشيخ علي بن محمد بن جلاب في رسائله على احتلال قسنطينة، ويلح كثيرا على ذلك وقدم ضمانات للوقوف الى جانب القوات الفرنسية، وكلف ابنه بمهمة في عناية لتدرس الوضع مع الفرنسيين، وقدم معلومات هامة حول القبائل<sup>3</sup>.

وهذه المواقف التي وقفت الى جانب مشاريع الاحتلال الفرنسي كانت بسبب الصراع مع السلطة، ولتحقيق اغراض معينة خاصة وان الكل كان ينتظر ميزان القوى لصالح العدو الفرنسي.

وفي نهاية هذا العرض نستنتج ان التطورات الاخيرة السياسية كانت ذات انعكاسات خطيرة على استقرار الحكم وعلى استقلال اقاليم البايك، كما ان العلاقة بين السلطة في بايلك الشرق وبين الحكم المركزي قد اصبحت مظهرا للصراع والانتقام وتصفية حساباتضفق الى ذلك اختلال العلاقة بين سلطة البايات وبين القبائل والاسر والعائلات الكبرى وظهور الصراع حول المشيخة الذي اثر في ضعف قوة القبائل التي كانت

<sup>1</sup>: نفس المرجع، ص ص 67-68

<sup>2</sup>: رضوان شافو: العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والامارات الصحراوية في الجزائر، مجلة القرطاس، ع2، 2015، ص 150-153

<sup>3</sup>: العياشي رواجي: الادارة الاستعمارية وعلاقتها بالعائلات الكبرى... المرجع السابق، ص 70-71

في فترات طويلة سندا قويا للباي حتى اصبحت منافسا حقيقيا وعامل مؤثر في العلاقات حتى مع الخارج على غرار تأثير القبائل الحدودية في العلاقات مع تونس خلال بدايات القرن التاسع عشر، والذي تسارعت خلاله الاحداث خاصة مع سقوط الجزائر في يد الفرنسيين وسعي الفرنسيين لاحتلال قسنطينة والذي انتهى بسقوطها في 13 اكتوبر 1837، نظرا لاستغلال العدو الفرنسي جميع الظروف الداخلية والخارجية وخاصة الصراع بين الباي والعديد من الشخصيات الحاكمة سابقا او شيوخ القبائل ورؤساءها.

## الفصل الثاني:

## التطورات الاقتصادية 1800-1837

المبحث الاول: تطور الزراعة

المبحث الثاني: تطور الصناعة

المبحث الثالث: تطور التجارة

المبحث الاول: تطور الزراعة :

المطلب الاول:تطور ملكية الارض من 1800 الى 1837م: لقد كانت الارض محورا هاما في النشاط

الاقتصادي وهي أساسه وقد لعبت الملكية دورا كبيرا في النشاط الزراعي والفلاحي وكانت من ابرز القضايا

التي عالجتها الدراسات الحديثة في تاريخ الجزائر العثماني وحتى خلال العهد الاستعماري فيما بعد ولهذا كان لا بد من التعرف على تطور ملكية الارض التي تحكمت فيها عدة عوامل في بايلك الشرق الجزائري قبل دراسة تطور الانتاج الزراعي والفلاحي.

### - العوامل التي آثرت على ملكية الأرض في بايلك الشرق الجزائري:

لقد اعتمد النشاط الاقتصادي الزراعي على نمط الاستهلاك الذاتي لسد حاجيات الاسرة والفرد، ولهذا خضعت ملكية الارض لمجموعة عوامل تمثلت في امتداد وتنوع اقاليم وتركيبية الشرق الجزائري والتي جعلت من الملكية نقطة هامة اعتمدت عليها السياسة الزراعية، وقد كان لهذه التركيبة اثر في تحديد نوعية الملكيات الزراعية، فمنطقة الجنوب القسنطيني مثلا او الشمال او شرقه غلب عليها الطابع الجبلي حيث قلة الكثافة السكانية وانتشار الملكية الخاصة، وملكيات العزل التي تم إقطاعها لعائلات كبرى<sup>1</sup>، كما تميزت المنطقة بالطابع السهلي في الداخل واحواض واسعة في سهول ميلة، وقسنطينة التي تمتاز بالخصوبة، هذه الأراضي التي توسعت فيها ملكيات البايك واقطاعات البايات المعروفة بأراضي المخزن المنتجة للحبوب التي تم تأجيرها لقبائل العزل المتعاونة مع السلطة<sup>2</sup>، ويعد ذلك امتياز مادي تحصلت عليه هذه القبائل نتيجة خدماتها المقدمة للسلطة كما رأينا من قبل في التطورات السياسية.

هذا التنوع وفر المساحات الرعوية التابعة لملكية القبائل "العرش، المخزن"، لقبائل الشمال القسنطيني التي تميزت باتساع ملكية العرش فقد مارست الرعي على نطاق واسع، ومثال ذلك قبيلة أولاد كباب وبني مروان وأولاد بوصول بالشمال القسنطيني والتي تعد من أبرز قبائل المخزن في الفترة المتأخرة من العهد العثماني،

<sup>1</sup>: حياة بودوية: الملكية والمجتمع في منطقة فرجوة خلال القرن 19م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2011-2012، ص 17.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني: دراسات تاريخية في الملكية والوقف والحماية (الفترة الحديثة)، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص 15.

تم إقطاعها لأراضي تابعة للبايلك من نوع العزل، كما كانت بعض القبائل في الجنوب تأجر مساحات من أراضيها لقبائل الزييان المرتحلة<sup>1</sup>.

كان للتطورات الاخيرة في الشرق الجزائري وخاصة السياسية أثر في توزيع ملكيات البايلك، والسياسة الضريبية وطريقة استخلاصها اثرت على تطور ملكية الأرض وطرق الإستغلال، فالحملات العسكرية كانت تتسبب في حرق المحاصيل الزراعية وهلاك قطعان الماشية، مما اضطر بمجموعات قبلية هامة إلى تغيير نشاطها داخل أراضيها من ممارسة الزراعة إلى الرعي، وإقامة زراعات معاشية ضمن مساحات ضيقة، مما أدى إلى تراجع الاقتصاد الريفي<sup>2</sup>، وقد آثرت أعمال المحلة ايضا سلبا على النشاط الزراعي واجبر الفلاح على تقديم ما لديه من ثروة ارضاءا للحاميات العسكرية خاصة اذا مرت هذه الحاميات بأراضي القبائل فتصبح الغرامات مضاعفة<sup>3</sup>، وهذه الاجراءات ستكون لها مخلفات وخيمة على اقتصاد ومستوى معيشة سكان الريف.

### -تطور ملكية الارض:

#### 1-الملكية المشاعة: هذا النوع من ملكية الأراضي غالبا ما كان يستغل من طرف أفراد

القبيلة الواحدة ومقابل ذلك يكون لكل فرد نصيب حسب حاجته اما حق التصرف فكان يوكل الى سكان القبيلة او الدوار عن طريق زعيم القبيلة او شيخ الدوار أيضا، وكانت تعرف بأراضي العرش ودليل ذلك خضوعها لطريقة الاستغلال حسب حاجة افراد القبيلة سواء من حيث مقدرتها او من جهة

<sup>1</sup> حياة بونوية : الملكية واجتمع بمنطقة فرجيو...، ص18

<sup>2</sup> فلة القشاعي: النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1871-1837، جامعة الجزائر، 1992، ص 184.

<sup>3</sup> بيان اعراش بيد البايلك AMG,1H194

امكانياتها<sup>1</sup>، والملكية المشاعة او ما يعرف كذلك باراضي العرش ساعدت على النشاط الزراعي التقليدي والرعي مع دورات لإراحة الأرض، كما ان العوامل التضاريسية والمناخية وتركيبية المجتمع القبلية ساهمت في انتشار هذه الملكية<sup>2</sup>، ولهذا يمكن ملاحظة التناسق بين الانتاج الفلاحي والبنية الاجتماعية للريف القسنطيني حيث ان المنطقة الوسطية والسهلية الداخلية ساد فيها النشاط الزراعي والرعي ويكون النشاطين مكملين لبعضهما، أما في الجهات الجبلية في الساحل والأوراس، حيث كان الإستغلال الزراعي وفق نمط آخر فيكون كثيفا، تناوبيا، حرث مهياً، زراعات شجرية، بستنة وتربية الماشية بسبب ضيق الاراضي، وفي الجهات الشبه صحراوية حيث توجد مساحات شاسعة مخصصة للرعي وتربية الماشية، و قلة السكان، وهذا التوازن كان في ظل نظام شامل اشتركت فيه جميع العناصر المكونة لنمط الزراعة، من شروط بيئية، ونظام زراعي رعي، والنظام العقاري والغايي، تركيبية الإنسان، التقنيات والأرض<sup>3</sup>.

### أراضي البايلك :

هي تلك الأراضي التي كان يصادها الباي أو يشتريها من القبائل، ويتنازل عنها لصالح كبار الموظفين والمرابطين، وقبائل المخزن التي ترضى بتقديم الجنود والولاء للباي، وتدفع العشور والحكور، بعد دفع الإتاوات المفروضة عينا، إن تنازل الباي لصالح كبار موظفيه الذين يوكلون أمر زراعتها إلى الفلاحين من

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني: الملكية والحماية في الجزائر اثناء العهد العثماني ط2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر

2013، ص84

<sup>2</sup> André Noushi :**Enquette sur le niveau de vie des populations regales constantinoises de la coquette jusqu'on1919**, presse universitaires, Paris P U F1961 ,p73

<sup>3</sup> - Ibid, p 73.

أجل الانتفاع ادى الى ظهور ملكية خاصة للأرض<sup>1</sup>، يطلق على هذا النوع من أملاك البايلك "العزل"، تعود ملكيتها للدولة مباشرة، ويحق للحكام التصرف فيها، وأغلبها تم إلحاقه بسجلات البايلك، وقد قدرت املاك البايلك من 114 عزل<sup>2</sup>.

وقد كان الحاج احمد باي 1826-1837 من ابرز البايات الذين قاموا باستصلاح الكثير من هذه الاراضي بعد صالح باي 1771م 1792م، والباي بوحنك 1792-1795م سابقا.

هذا النوع من الأراضي اصبح خاضعا للإستغلال المباشر من طرف الحكام ؛ الذين يقومون بتسخير الفلاحين المستأجرين وفق نظام "الخماسة"، وعندما يتعذر الإستغلال المباشر تعطى أراضي الدولة لكبار الموظفين وذي النفوذ والمكانة الإجتماعية المرموقة مقابل خدماتهم وكسب تأييدهم، مثل المرابطين ورؤساء المشايخ الكبرى والقبائل القوية، فكانت هذه الأراضي التي تحولت إلى إقطاعات في الشرق الجزائري تعرف بأراضي الجوابدية، واصبحت تحتل مساحة واسعة بالجهات القريبة من مدينة قسنطينة وبأطراف بايلك الشرق بفرجوية، ومجانة والحراكتة<sup>3</sup>، ويمكن ان يستفيد منها السكان القاطنين في الاراضي المستاجرة لمدة طويلة ولكن تكون اقل اهمية من باقي الاراضي، وقد خضعت فيما بعد لتعديدا قانون سيناتيس كونسيلت في 11 جوان 1863 واصبحت ملك للدولة<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عبد الطيف ابن اشهنو: تكون التخلف في الجزائر "محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين عامي 1830-1962"، تر: نجبة من الأساتذة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص27.

<sup>2</sup> - André Nouschi : **Enquete sur le niveau de vie...** p8.

<sup>3</sup> حياة بونوية: الملكية والمجتمع بفرجوية، ص24

<sup>4</sup> انظر

AMG, 1H1 simple discours sur l'algerie, Rapport a la magiste l'empereur sur les travaux entrepris en algerie an escucution de Senatus Consult 22avril1863

أراضي عزل جبري: هذا النوع من الأراضي التابعة لأملاك البايلك والتي يتم تأجيرها للفلاحين والمزارعين مقابل ضريبة تدعى "الجبري أو الحكور" المقدرة بـ12 صاع من الشعير و 12 صاع من القمح على الجابدة الواحدة، وتسمى الأراضي التي يطلق عليها إسم أراضي الجوابدية<sup>1</sup>.

إضافة إلى أنواع أخرى من العزل مثل عزل الجبل لأنها أراضي جبلية تقيم عليها قبائل مستعصية على السلطة مما أدى إلى تسليمها لعائلات قوية متنفذة وكذلك لينتفع بها رجال الدين مقابل ضريبة مالية<sup>2</sup>، وكان هذا النوع أكثر انتشارا في أراضي قبيلة زواغة، حيث تتواجد إقطاعات الاسر المتنفذة وخاصة اسرة بن عز الدين، واسرة بن عاشور في فرجيو<sup>3</sup>.

**أراضي العزل :** هي الاراضي التي تخلى عنها أصحابها ولم تجد من يرثها وشملت ملكيات كبيرة سهلية وخصبة وكانت مخصصة لزراعة الحبوب، وعادة كان يمتلكها الموظفون السامون والعساكر والاعيان وقد انتشرت في اراضي قسنطينة وسكيكدة وسطيف وقدرت بحوالي112351هكتار، وقد اسندت هذه الأراضي الى الاسر المتنفذة مثل عائلة بن بوزيد وبوعكاز ومقران وغيرها<sup>4</sup>، وقد كان الحاج احمد باي 1826-1837م قد ساهم في امتلاك هذه الاسر لهذا النوع من الاراضي وهذه السياسة استطاع من خلالها كسب ولاء الاسر الكبرى في بايلك الشرق الجزائري<sup>5</sup>، ويعد ذلك من اهم وسائل احمد باي لكسب القبائل القوية والحصول على دعمها العسكري.

وقد تمتح كذلك هذه الأراضي لبعض المرابطين خاصة في المناطق الجبلية، كما سيطرت عائلة الفقون القسنطينية على مساحات واسعة ومنحت للأسر الدينية والمرابطين الكثير من اراضي العزل لارتباطها بسلطة البايلك، ومثال ذلك تمتع المرابط سيدي بلقاسم بوحجر والشيخ الزواوي والمرابط بغريش في نواحي

<sup>1</sup> فلة القشاعي: النظام الضريبي...، المرجع السابق، ص19.

<sup>2</sup> انظر Noushi André, **Enquête**, op cit,p80

<sup>3</sup> حياغة بونويرة، الملكية والمجتمع، ص20.

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني: ورفات جزائرية، ص ص135-136.

<sup>5</sup> نفس المرجع، ص137.

القل بحق التصرف في العزل<sup>1</sup>، كما كانت اسرة بن زديرة لها مهام مراقبة السفوح الشمالية للاوراس وعائلة بن دايجة كانت لها مهام مراقبة اراضي قبائل اولاد سلطان بعدما سخرت لها السلطة اراضي العزل لتقوية نفوذ البايلك في المناطق التي تحيط بمركز السلطة بحيث تم اقتطاع حوالي 14064 هكتار لقبائل الرمول وقد ضمت اراضي بلزمة حوالي 12982 هكتار<sup>2</sup>.

ومن ضمن التطورات الحاصلة في عهد احمد باي انه قام باصلاحات كان من ضمنها اعفاء بعض المستفيدين من هذه الاراضي من دفع الضرائب وهذا بهدف جعل هذه الاراضي تحت التمليك، وهذه الاراضي الخاصة بالعزل كانت معظمها حول حوض سييوس واحواض قالمة وسطيف وواد زناتي كما يوضحه الجدول الاتي الخاص بتوزيع اراضي العزل على القبائل<sup>3</sup>.

المساحة	مناطق العزل	المساحة	مناطق العزل
37980هـ	السواحلية اولاد عطية	21558هـ	عامر الشراقة
3903هـ	السقنية جنوب قسنطينة	14430هـ	اعزال عنابة
11383هـ	اولاد جبارة	55270	اعزال قسنطينة
43188هـ	اعزال واد زناتي	18626هـ	اولاد عبد النور
		9168هـ	الزواغة

<sup>1</sup> عبد الرزاق قشوان: الواقع الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الجزائري، 1804-1871، اطروحة دكتوراه في

التاريخ الحديث، ص 64.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 65.

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 66.

وحسب احصاء وارني wernie، الذي اجري سنة 1841 والذي يعد محاولة لتقدير هذه الاراضي في اواخر العهد العثماني وكان من ابرز التقديرات في بداية الاحتلال فقد قدرها بحوالي: 35112 هكتار في الشرق الجزائري لتصبح فيما بعد اراض الدومين بعد قانون سيناتيس كونسيلت<sup>1</sup>، ومن ضمن أعمال احمد باي أيضا انه قام بمصادرة اراضي أولاد عبد النور بجيجل بهدف توسيع مساحة الاراضي الزراعية<sup>2</sup>، وبهذا الشكل تم تشكيل اقطاعات جديدة في يد قبائل المخزن.

- **الأراضي الخاصة** : اراضي الملكية الخاصة هي الأراضي التي كان يستغلها أصحابها مباشرة وقد كان هذا النوع منتشرًا في المناطق الجبلية مثل منطقة الاوراس وكان السكان الحضر يملكون اراضي بضواحي المدن وكانوا يستغلونها بواسطة الخماسين، وقد قدرت بحوالي 14810 هكتار معظمها حول وادي الرمال وقد كانت ملكا لاسرة الفقون وكوجك علي والبشتارزي من العائلات القسنطينية، وكانت هذه الاراضي مخصصة لانتاج الحبوب والخضر وقابلة للبيع والشراء<sup>3</sup>، وقد انتشرت في المناطق الجبلية، حيث تتميز الملكية بعدم الاستقرار وصغر المساحة نظرا لخضوعها لأحكام الوراثة والبيع والشراء والهبة، كان يستغلها أصحابها مباشرة<sup>4</sup>، ويتواجد هذا النوع من الملكيات في منطقة الشرق الجزائري في بعض المناطق الجبلية وهي الأراضي التي تمتلكها عائلات تعيش عليها وتستغلها لصالحها الخاص<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 52.

<sup>2</sup> E.Vayssettes ; **histoire de constantine** ;p155

<sup>3</sup> عبد الرزاق قشوان، **الواقع الاقتصادي والاجتماعي**، المرجع السابق، ص 69

<sup>4</sup> M.Abdelghani **La paysannerie algérienne face à la colonisation**, S.N.E.D, Alger, 1973, p20.

<sup>5</sup> فلة القشاعي المرجع السابق، ص ص 106-107.

و تخضع هذه الأراضي لضريبي العشور والزكاة تؤخذ الاولى على المحصول والثانية على المواشي، هي في العادة تحدد حسب الجابادات والزويجات، إذ بلغ مجموع ما يؤخذ عنها كضريبة 20762 قسيمة حبوب<sup>1</sup>

- **أراضي الوقف** : هي أراضي أوقفت على الأعمال الخيرية والمؤسسات الدينية.، وضعت تحت اشراف ناظر الاوقاف، وقد قدرت مساحتها ب946هكتار معظمها كان حول وادي الرمال في قسنطينة وضواحي ميلة وقرب المجاري المائية والواحات والنخيل في المناطق الصحراوية ومن مميزاتا انها لا تدفع الضرائب<sup>2</sup>، وتقع في مناطق ضيقة قرب المجاري المائية في الاوراس ومنطقة القبائل وانتاجها ضعيف مخصص للكفاف والانفاق على اعمال خيرية<sup>3</sup>

ويكن تفسير ذلك بان الوقف وسيلة فعالة للمحافظة على الثروات والاملاك والاراضي الموقوفة لكونها لا تباع ولا تشتري ولا يمكن حيازتها بتصرف او مصادرة، لذلك لم يعد في استطاعة ذوي السلطة مد أيديهم الى الأملاك المحبسة حيث كانت تستولي على الأملاك التي لا ورثة لها خاصة عندما يتعذر على الفلاحين دفع الضرائب والغرامات الضرورية<sup>4</sup>، ومن خلال احكام الوقف الأهلي تقرر لصاحب الوقف أن ينتفع هو وعائلته بالوقف حسب الوصية التي سجلها في وثيقة الوقف فلا يصرف الوقف على الغاية التي وقف من أجلها، وهذا ما مكن الاسرة الجزائرية من المحافظة على تماسكها، وعدم إنقسام الأملاك أو بيعها أو رهنها من طرف الورثة<sup>5</sup>، وقد لعبت المرأة دوراً هاماً من خلال ما حبسته من أملاك وذلك في رعاية الأبناء

<sup>1</sup>.A ,Nouschi enquête Op, Cit, p90.

<sup>2</sup>عبد الرزاق قشوان:الواقف الاقتصادي والاجتماعي، المرجع السابق، ص71.

<sup>3</sup> حنيفي هلايلي:اوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ط1، دار الهدى، الجزائر2008، ص154

<sup>4</sup> مُجد الطيب:الجزائر عشية الغزو الفرنسي، ط1، مطبعة ابن النديم، الجزائر2009، ص125.

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الوقف والجبابة في الفترة الحديثة، ط1، دار الغرب الاسلامي2001،

والأيتام أو تحسين المستوى المعيشي<sup>1</sup>، ويلاحظ من خلال وثائق الوقف سواء في سجلات البايك أو بيت المال ووثائق المحاكم الشرعية التي تضم أسماء النساء اللواتي أوقفن أملاكهن لأغراض عديدة وهذا يدل على مكانة المرأة التي كانت تحظى بها في المجتمع<sup>2</sup>، وهذا يدل من جهة أخرى على ان المرأة كانت لها ملكيات خاصة باسمها سواء كانت أراضي او عقارات .

### -أراضي الموات

يطلق عليها ايضا اسم أراضي البور الغير صالحة للزراعة ولا ينتفع بها وهي أراضي لا يوجد فيها ماء وليست ملكا لاحد ولا تصلح حتى كمرعى كما انها بعيدة عن التجمعات العمرانية ويكون احيائها بالزراعة والبناء وجلب الماء أي انه إذا قام احدهم باصلاح الأرض واستغلالها فإنها تصبح ملكه اوتابعة لاملاكه<sup>3</sup> وبهذه الطريقة كانت الاراضي مقسمة في ارياف الشرق الجزائري واحواز المدن الكبرى مما ساعدت على تنظيم المحاصيل الزراعية بشكل كبير خاصة زراعة الحبوب.

### المطلب الثاني:- الانتاج الفلاحي:

لقد عرف الشرق الجزائري تطورات اقتصادية مست ايضا نمط الانتاج تبعا للظروف وحسب الامكانيات وهذا النمط هو نمط بدائي شبه اقطاعي حيث تنتشر الملكية الجماعية للطبقة الارستقراطية في الارياف<sup>4</sup>، وقد كان الاعتماد على تقسيم المناطق الزراعية ففي المنطقة الوسطية والسهلية الداخلية كان يسود النشاط

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 16.

<sup>2</sup> حنيفي هلايلي، اوراق في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 200.

<sup>3</sup> عتو بولبراوات: المدبنة والريف في الجزائر في اواخر العهد العثماني، اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة

وهران 2007-2008، ص 305

<sup>4</sup>Gallissot.RENE. ; **Feodalite et mode de production feudal de la**

**France au Maghreb pre-colonial**, in C.E.R.M ,Paris 1771;p121

الزراعي والرعي ويكون كل نشاط داعما للأخر، اما في الاراضي الجبلية والأوراس، كان يسود النشاط الزراعي التناوبي بين الاشجار والحقول وتربية الماشية بسبب ضيق المساحات الزراعية، اما في الاراضي الشبه صحراوية تسود حرفة الرعي وتربية الماشية، حيث قلة السكان، وهذا بفعل العوامل الطبيعية والسكان وشكل الملكية<sup>1</sup>، وفي بدايات القرن التاسع برزت معطيات وعوامل اخرى ساهمت في هذا النمط مثل تأثير الامراض والابوثة والمجاعات وهي ظواهر عرفها الشرق الجزائري خاصة منذ بدايات القرن التاسع عشر التي اثرت سلبا على الاقتصاد وعلى النشاط السكاني المرتبط بالزراعة .  
ولهذا لا يمكننا تحديد نمط انتاج دقيق في الشرق الجزائري لتعدد اشكال الملكية في الارياف، اضافة الى ملكيات الاوقاف الاسلامية وهي نموذج خاص .

### -تطور الانتاج الزراعي:

#### زراعة الحبوب:

لقد كانت زراعة الحبوب لها أهمية قصوى في الشرق الجزائري وخاصة القمح باعتباره اهم مورد غذائي حتى أن معظم الامثال الشعبية والالغاز في الشرق الجزائري قد تغنت به وهذا يدل على قيمته العالية وحاجة السكان اليه واعتباره النشاط الاقتصادي الغالب فقد قيل مثلا:

علي اخضر من الخبز في مائة رق من قيام البرانس اداوه للسوق يتباع وزنوه مع الذهب الخالص

علي يولد في الارض وايفرح في السما ويغلي في السعر

علي رجله قصب وراسو زعب وكرشو ذهب.....الخ

<sup>1</sup>- André Nouschi *Enquêtes sur le niveau de vie ...op cit* ,p91

وقد اهتم البايات بزيادة وتطوير الانتاج وتحسينه وذلك من خلال الاصلاح الزراعي بداية من تلك الاصلاحات الهامة التي قام بها البايات من اجل استصلاح الاراضي الزراعية واحتكار البايات لانتاج وتسويق مادة القمح ويمكن القول ان الاصلاحات في هذا المجال قد بدأت منذ نهاية القرن الثامن عشر منذ عهد صالح باي وقد انعكست على الفترات اللاحقة الى غاية الاحتلال الفرنسي فقد كان الباي يتدخل ويراقب المتعاملين بسوق القمح، كما كان يتدخل مباشرة في تعيين الأراضي التي يزرع فيها القمح، وينتقي البذور التي يجب شراءها أو حفظها"، وقد تضمن العديد من المراسلات حرصه على مراقبة المنتج واحتكار تصديره ومنها المراسلة الصادرة بتاريخ أوائل محرم 1224هـ ديسمبر 1781 من قبل صالح باي الى قبطان القالة بخصوص المشورة مع قبطان عنابة حول اسعار الزرع وانه لا يبيع الا بقيمة 22ريال ورفض المساومة ويقصد نجاه فرنسا، ويضيف بقوله: '...والعام القادم ان شاء الله حتى حبة قمح لا نخليكم تكتالونها لتعرفوا شطارتكم اين توصلكم...'<sup>1</sup>

كما أدخل صالح باي نوعا جديدا من المحاصيل الزراعية لأول مرة، لكي يجعل من الشرق المنطقة الأولى في انتاج الحبوب، فقد جلب منتج الأرز الذي زرع في البساتين الشاسعة التي تكثرت ضفتي شمال المدينة في الحي المسمى بالحامة،<sup>2</sup> مستعينا بذلك على نظام ري دائم قائم على تشغيل عدد من النوريات ( النواعير ) لدفع الماء إلى مشاتل الأرض<sup>3</sup>، وهذه الاصلاحات قد انعكست في الفترات اللاحقة على النشاط الزراعي وقد تركزت زراعة الحبوب في السهول الداخلية والعليا في الريف القسنطيني التي تمثل أجود مناطق إنتاج الحبوب<sup>4</sup> خاصة سهول: عنابة، سطيف، بجاية، نواحي وادي الزناتي وقالمة؛ أي بصفة عامة من مجانة حتى

<sup>1</sup> المراسلة، رقم 12، المجموعة، 1641.

<sup>2</sup> صالح عباد: الجزائر في نهاية العهد العثمانيين المرجع السابق، ص 178.

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني، ، ورفقات جزائرية. المرجع السابق، ص 249.

<sup>4</sup> - Venture De Paradis **Alger au 18 ème siècle**, édité par Mr. Fagnan.

Typographie Adolphe Jourdan, Imprimeur-libraire, éditeur, Alger, 1898, p 278.

الحدود التونسية<sup>1</sup>، و هذا الإتساع بالنسبة للأراضي المخصصة للحبوب لا يعكس اهتمامات البايك، بقدر ما يعكس أهمية الحبوب في غذاء السكان وقد لا يعني الانفراد بهذا التخصص الزراعي فقد كانت تزرع الحبوب ايضا بشكل مكثف وباستغلال أقصى للمناطق الخصبة لقلة المساحة وهذا النشاط ايضا عند القبائل الشبه صحراوية التي تزرع الحبوب لتأمين معيشتها ولسهولة تبادل المادة<sup>2</sup>.

لقد مثلت زراعة الحبوب نشاطا أساسيا في الشرق الجزائري، نظرا لامكانياته وتنوع اقاليمه من اراضي خصبة امتدت من حدود البايك الغربية الى الحدود الشرقية تقريبا وكانت هذه المنطقة الوسطى حيث السهول العليا اكثر خصوبة واحتوائها على ينابيع مائية وادوية وتعد منطقة الحضنة في جزئها الجنوبي منطقة هامة وغنية باوديتها الشمالية ولهذا كانت مخصصة لزراعة الحبوب<sup>3</sup>، وتتميز هذه المنطقة بتعدد قبائلها التي تمارس الزراعة الى جانب الرعي وهي من تقاليد المتوارثة منذ القدم<sup>4</sup> ومن قبائلها اولاد مهدي اولاد دراج، اولاد سحنون، اولاد بوطالب وأولاد سلطان وأولاد علي وبني صابر<sup>5</sup>، وبالالتجاه الى الجهة الشرقية تزداد المجاري الماشية في احواش وسهول ميلة ووادي فرجية وزواغة وحيث الاراضي المنخفضة الخصبة التي تروى بواد بوغلاق وروافده<sup>6</sup> واغلب المجاري المائية في بايك الشرق تصب البحر المتوسط والاخرى في الاراضي الخصبة<sup>7</sup> حيث المجاري المائية مثل وادي الرمال ثم وواد الشارف ومجردة ثم السهول الشاسعة في منطقة تيفاش<sup>8</sup>، ويمثل القمح بالنظر إلى أهميته الغذائية أهم الحبوب المنتجة وعرفت بعض المناطق ببناء مطامير

<sup>1</sup>-André Nouschi, op, Cit, p67.

<sup>2</sup> جمال الدين سعيدان، الاحوال المعيشية والصحية، المرجع السابق، 30

<sup>3</sup> Jean Depois, **Le Hodna**, p p6-7

<sup>4</sup>Ibid,p11

<sup>5</sup> انظر خريطة الحضنة وضواحيها خلال العهد العثماني، نفس المرجع، ص11

<sup>6</sup>انظر ANOM,F80/1672,**Expédition de constantine**, Description physique

<sup>7</sup>Ibidem

<sup>8</sup> هذه المناطق كانت لها دراسات مفصلة ضمن الارشيف الفرنسي بعنوان: ملاحظات حول اقليم قسنطينة، انظر

AMG ;H228 ; Observation sur la province de Constantine

خاصة بالتخزين فقد كانت بالاوراس مطامير كبيرة تخصص للقمح وقد بنيت في اماكن عالية يخزن فيها المحصول لقرية بكاملها<sup>1</sup>

عرف انتاج الحبوب تذبذا خلال نهاية العهد العثماني، من 1800 الى 1815 كان الانتاج و فيرا باستثناء سنوات 1803-1804 وهي سنوات المجاعة بسبب نقص الانتاج، ثم تراجع الانتاج ما بين 1816 الى 1837 حيث قدر الانتاج عامة بحوالي 7,5 مليون قنطار<sup>2</sup>.

ويمكن تفسير ذلك الى عوامل عدة كان اهمها موجة الامراض والابوئة التي انتشرت عبر الشرق الجزائري خاصة منذ 1817 وتقل النظام الضريبي الذي اثر سلبا على حياة الفلاحين، وحملات الانتقام والغارات ضد القبائل ومصادرة اراضيها مما جعل الفلاح يهاجر ارضه ويترك ملكيته<sup>3</sup>

وخاصة هذه الاحداث التي تزامنت مع اعمال القمع والثورات ضد السلطة وعدم استقرار الحكم وازمة المجاعات والطاعون والضرائب التي كانت تفرض على مزارعين القمح<sup>4</sup>

جدول اهم القبائل المنتجة للحبوب في الشرق الجزائري<sup>5</sup>. (بتصرف).

القبيلة	عدد الجابدات
غمريان	800
السقنية	800

<sup>1</sup> يوسف صرهودة: الاقتصاد والمجتمع في ايالة الجزائر، ص 86

<sup>2</sup>: ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدل، الجزائر في التاريخ، ص 58

<sup>3</sup>Berbrugger.A, **Epoque de l'établissement turc** ,in RA,v12 ;1868 ;p232

<sup>4</sup> عن هذه اللاحداث انظر

H . De. GRAMOND, **L'Algérie sous la domination turc**,p373-382

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث، ص 337

600	اولاد عبد النور
500	عامر الشراقة
400	التلاغمة
300	سدراة الشراقة
300	المعالمة
300	جميلة
200	سلاوة
120	اولاد كباب

**الزراعات الشجرية المثمرة:** ان ملائمة المناخ والطبيعة جعلت من هذه المنتوجات اكثر انتشارا خاصة

في مناطق القبائل الشرقية للحوض الغربي للواد الكبير بجيجل الى وادي الزهور حيث انتشرت هذه المنتوجات التي تعيش عليها العائلات وتاجر بها في الاسواق التلية بقسنطينة وميلة وسكيكدة وتضم انواع متنوعة<sup>1</sup> ارتبطت الزراعات الشجرية بالمناطق الجبلية وأراضي الفحوص القريبة من المدن مثل: فحوص قسنطينة، عنابة، ميلة، المسيلة، بجاية، جيجل وسطيف، فانتشرت في المناطق الجبلية وأراضي الفحوص زراعة أشجار الزيتون والتين إلخ، كما تميزت مناطق الواحات الصحراوية بزراعة أشجار النخيل الذي اشتهرت به مناطق الزيبان لتوفير موارد العيش والتبادل<sup>2</sup>.

**زراعة الحضر:** تميزت بها السهول الساحلية: نواحي بجاية، جيجل، القل، سكيكدة، عنابة، وفحوص الحامة التي كانت تنتج في احواض وبساتين حيث الاراضي الخصبة والاراضي التي تم استصلاحها ولعل

<sup>1</sup> انظر..... AOM,F80/441,Note sur la kabylie

<sup>2</sup>-Peyssonnel et Desfontaines **voyage dans les régences du tunisie et d'Alger**, Publier Dureau , T.1, Librairie de Cide, Paris, 1838, pp.308-312.

أهم مشروع زراعي منذ نهاية القرن الثامن عشر هو المشروع الذي قام به حقه صالح باي والذي اعتمد على استغلال السهول الخصبة القريبة في الجنوب القسنطيني في عين مليلة حيث اقتطع لفرسان المخزن المعروفين بالزمول الأراضي الواسعة لإستغلالها لحسابهم الخاص، كما منح قبيلة السقنية بالأراضي الخصبة بنواحي عين كرشة، قصد إستغلالها زراعيًا وجعل جزء منها منطقة لتجهين خيول البايك.<sup>1</sup> كما عرفت قبائل اولاد ذياب بالقالة بتموقعا على الساحل وسيطرتها على الطريق بين بونة والقالة في الجهة الشمالية وانفتاحها على مناطق واسعة ثم توسعاتها الجنوبية حيث الهضاب المروية بالآودية وهذا ما جعلها منطقة هامة لانتاج الخضر وزراعات الحقول و انتاج التبغ.<sup>2</sup>

#### - الرعي:

عرف النشاط الاقتصادي في الشرق الجزائري تكاملا بين النشاط الزراعي والرعي، وتبرز إحصائيات المساحات التي خصصت للرعي ضمن نطاق القبائل باختلاف جهتها أهمية هذا النشاط:

- قبيلة لها اراضي سهلية في منطقة مجانة خصصت 140800 هكتار للرعي من أصل مساحة 205000 هكتار.

- قبيلة شبه جبلية في الحنانشة خصصت 141000 هكتار، قبيلة شبه صحراوية في الحراكتة خصصت 4000000 هكتار، أي تقريبا معظم المساحات للرعي، وبذلك تمثل تربية الماشية نشاطا أساسيا للسكان الريفيين<sup>3</sup>، كما عرفت قبائل اولاد ذياب بالقالة بحرفة الرعي مستغلة الاراضي الواسعة<sup>4</sup>

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، دراسات وإبحاث، المرجع نفسه، ص 68.

<sup>2</sup>L.Charles Feraud ; **Histoire des villes de la province de Constantine-la Calle**-Trais couleurs, Alger, p40

<sup>3</sup> -جمال الدين سعيدان: الاحوال المعيشية والصحية...، ص 28،

<sup>4</sup>FERAUD,CH, **histoire des villes de Constantine** ,op cit,p40

كانت اجزاء كبيرة من الاراضي الشمالية المغطاة بالغابات قد ازيل منها الكثير في اوائل القرن 19 بسبب الحياة الرعوية والاستهلاك المفرط للغابات<sup>1</sup>، ويرجع التوسع نحو النشاط الرعوي الى الظروف السائدة والتي عرفتها الزراعة اضافة الى تاثير الكوارث الطبيعية في نفس الفترة وبالتالي اللجوء الى النشاط الرعوي فاصبحت الهضاب الشرقية تفتقر للغابات اضافة الى عامل تاثير الشركات الانجليزية التي استغلت الثروة الغابية في محيط عنابة والقالا ومرتفعات بني صالح وسيبوس مقابل دفع 17 الف فرنك حتى سنة 1817م<sup>2</sup> وكذلك اهتمام الشركات الاجنبية بالثروة الغابية التي كانت ترى فيها ثروة حقيقية وقد اثر في ضياع مساحات كبيرة من الغابات كما سنرى في المبحث القادم الخاص بالتطور الصناعي.

ويمكن ان نضيف ايضا ان هناك قسم كبير من السكان البدو الذين يعيشون في مناطق واسعة في الهضاب العليا والتي تفتقر لخصوبة التربة ويقطنها العرب الرحالة الذين يمارسون حرفة الرعي<sup>3</sup>، اضافة الى ان تجمعات القبائل التي شكلت مجتمعا مصغرا يتراوح عدد افراد القبيلة فيها بين 400 و4000 فرد لكل ملكيتا رضة<sup>4</sup> وحاجيات البدو تفسر تكوين الدوار وهيكلته والسعي لتأمين حياة الاشخاص وحماية ممتلكاتهم وقطعاتهم من الماشية فتفرض عليهم التجمع او الترحال جماعيا<sup>5</sup>

كان رعي الغنم والجمل في الجهات الشبه صحراوية والسهول العليا، اما البقر في الأجزاء الساحلية، وبذلك حقق تكاملا بين النشاط الزراعي والرعوي في الريف القسنطيني في دورة متداخلة يبرز فيها ارتباط كل نشاط بالأخر، وكان الاهتمام بها كبيرا وهي ذات مردود عالي اذا ما قورنت بالزراعة ودليل ذلك سعرها المنخفض فقد كان سعر البقرة يساوي اثلاث او اربعة ريالات كما ذكر مؤلف كتاب اخبار بلد

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في اواخر العهد العثماني، الجزائر 1985، ص 31

<sup>2</sup> نفسه

<sup>3</sup> Le General DUMAS, Mœurs et coutumes de l'Algérie, Kabylie

Sahara Tel-, librairie L'hdar, Paris 1853, p04

<sup>4</sup> ibid, p09

<sup>5</sup> Ibid

قسنطينة، مقارنة بسعر صاع القمح الذي كان يساوي 10.5 ريال سنة 1804<sup>1</sup>، حتى ان الخطايا والدية في بعض المناطق كانت تدفع من رؤوس الابقار.

وقد ساهم أيضا نظام العزابة في نمو حرفة الرعي والذي اعتمد على اقتطاع ارض رعوية توزع عليها المواشي وترعاها القبائل المقيمة بما مع اعفاء ضريبي باستثناء العشور<sup>2</sup>، كما ساهمت عملية مصادرة الاراضي نتيجة للثورات في زيادة رؤوس الماشية التابعة للبايلك كما اشرنا سابقا، ومن العوامل التي ساهمت في ازدياد هذه الثروة سعي البايات لجمع ثروة من الماشية والابقاروالخيول وغيرها وكانوا حريصين عليها وهذا ما دلت عليه العديد من المراسلات، ومنها المراسلة الصادرة بتاريخ اواخر شعبان 1237هـ التي تضمنت طلب من الحاج احمد باي قسنطينة 1826-1837م الى حسين باشا بتونس يعلمه بانه يطلب بيع حوالي 450 جملا و100 ثور والى كرش الى تونس وانه كان يلح على ارسال ما تبقى من ثمن<sup>3</sup>.

كما تضمنت مراسلة اخرى من الحاج احمد باي الى قائد الزعامة حول قضية سرقة عدد من الجمال والبعال ملكا له من قبل عرش السرادرية وانه يريد ان البطش بهم حسب المراسلة<sup>4</sup>، اضافة الى مراسلة اخرى من الحاج احمد باي لاحد الشيوخ ويدعى بني زرق يعلمه بانه قد ضاعت له مجموعة من الابل وانها مطبوعة في جانبها الأيمن بطابع خاص به وانه قد أرسل جيشه للبحث عنها وانه يعرف اوصافها<sup>5</sup>، وتدلل هذه المراسلات على مدى حجم الثروة الحيوانية التي يملكها الحاج احمد باي، ويمكننا ان نستنتج العدد الكبير من الثروة الحيوانية من خلال عدد وقيمة ما كان يدفعه بايلك الشرق الى العاصمة ضمن الدنوش السنوية، حيث كان يدفع حوالي 3000 خروف اي ما قيمته 6000 ريال بوجه، وحوالي 600 بقرة اي ما قيمته 6000 ريال ايضا<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> مؤلف مجهول، اخبار بلد قسنطينة، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة رقم 2717. ايضا، العنترى، مجامع قسنطينة، ص34

<sup>2</sup> يوسف صرهودة، الاقتصاد والمجتمع في ايلة الجزائر، ص86.

<sup>3</sup> فهرس الارشيف الوطني التونسي

<sup>4</sup> المراسلة دوت تاريخ، فهرس الارشيف الوطني التونسي

<sup>5</sup> المراسلة دون تاريخ، فهرس الارشيف الوطني التونسي.

<sup>6</sup> تقرير من مدير الدومين والمداخيل العامة الرنسي جيراردي، انظر

ما يمكن استنتاجه ايضا هو ان العدد الكبير للماشية والثروة الحيوانية في بايلك الشرق الجزائري لم يكن عبر كامل الفئات المالكة فهذه الثروة كما بينت الارقام كانت لصالح الحكام ولم تكن في يد السكان الريفيين الذين تعرضت مواشيهم وحيواناته للمصادرة من قبل السلطة او التغيريم وكذلك تاثير الظروف الصعبة وهذا يعد من ابرز التطورات الخاصة في المجال الفلاحي.

#### جدول لتقدير أعداد الثروة الحيوانية في الشرق الجزائري<sup>1</sup>

العدد	النوع
2310000	الاعنام
311767	الماعز
346000	الابقار
90636	الخيول
76723	البغال
269086	الابل

AMG,H227.....

<sup>1</sup> عبد الرزاق قشوان: الواقع الاقتصادي والاجتماعي...، ص83

3404212	المجموع
---------	---------

من خلال الجدول يبرز العدد الكبير للثروة الحيوانية خاصة الاغنام والابقار نظرا لاهمية هذه الثروة في الاقتصاد الريفي ....

ويبرز من خلال احصاء حول الهدايا المقدمة الى الداى في اطار الدنوش الحجم الهائل للثروة الحيوانية في بايلك الشرق الجزائري في اواخر العهد العثماني فقد كان باي قسنطينة يدفع للجزائر حوالي 3000 خروف بقيمة 6000 بوجو و600 بقرة بقيمة 6000 ريال بوجو.

### - الضرائب الفلاحية

لقد كانت الضرائب جزء هام من السياسة الاقتصادية التي اعتمدها البايك لضمان ايرادات مالية واكتست اهمية بالغة خاصة منذ بدايات القرن التاسع عشر نظرا لتراجع مداخيل القرصنة وضعف الاقتصاد، وقد كان الباي يرسل اعوانه التابعين لقبائل المخزن والتي بدورها تشكل محلات فصلية لاستخلاص الضرائب ويقول لويس رين ان عدد المحلات قدرت بحوالي 126 تتوضع على 3400000 هكتار، اما عدد القبائل التي خضعت للسلطة حوالي 104 في مساحة 4415000 هكتار، ولهذا كانت تقربت القبائل الفقيرة تتقرب من السلطة من خلال تقديم خدمات للحصول على الثروة اما السلطة بدورها فهي تراقب حوالي 781500 ه<sup>1</sup>. ولهذا يكمننا ان نستنتج ان المداخيل الضريبية في الريف كانت اكثر ضمانا وذات اشكال متنوعة ومن بينها:

- العشور: ضريبة تدفع على الملكيات الخاصة، ويمثل نظريا 1/10 من الإنتاج، وكان يدفع عينيا فبالنسبة للحيوانات كان يدفع جمل واحد على كل 25 راس، والاغنام كان يدفع خروف واحد على كل 120 راس وخروفين على كل 200 خروف<sup>2</sup>

<sup>1</sup>-Ahmed HENNI; Etat ;surplus et societe en algerie

avant1830;ENL;Alger,1986/p95

<sup>2</sup>A.NOUSHI ;Enquête sur le niveau de vie ...op cit ;p48

كما كانت تدفع على الحبوب حسب الجابدة اي صاع من القمح وصاع من الشعير وحمولة من التبن على الجابدة الواحدة، وكانت الضريبة حوالي 33000 زوجية منها 13000 اعزال ومقدار العشور لمساحة 400000 هكتار هو 40 الف فرنك ذهبي<sup>1</sup>، وفي عهد احمد باي قام باصلاحات ضريبية اعتمدت على تثبيت العشور والابقاء عليها<sup>2</sup>

الحكور: ضريبة الجبري: وهي ضريبة جزافية موحدة ثابتة لا تخضع للتقدير والتقييم من طرف القايد بل تخضع لضريبة الأرض المحسوبة بالجابدة، حيث تقدر بين ستة وسبع هكتارات إذا كانت الأرض جبلية او صعبة، وتتراوح من 10 إلى 12 هكتار بالنسبة إلى الأرض الحقيقية والسهلية.<sup>3</sup>

وبناء على ذلك تم تقسيم البايلك إلى منطقتين حسب هذه الضرائب:

القسم الاول بين قسنطينة وواد الحمام، والقسم الثاني بين قسنطينة وحدود تونس، وكان على رأس كل واحد منهم قائد جبري، وبعض المخازنية الذين يصاحبونه في جولاته وقد ظل هذا النظام معمول به من نهاية القرن الصامن عشر إلى غاية عهد احمد باي ( 1826-1837) وعمل على التعديل فيه فقط.<sup>4</sup> وبالنظر إلى شكل التداخل في النظام الجبائي في الريف القسنطيني فإن ضريبة الحكور فرضت خاصة على قبائل الرعية التي كانت تقيم على أراضي البايلك، حيث كان تحصيلها بشكل شاسع في وبذلك إختلف دفع ضريبة الحكور من عزل لآخر ومن قبيلة لأخرى، كما خفضت على بعض القبائل المتعاونة مع البايلك إلى الثلثين، فلا تدفع سوى 3/2 من الضريبة للبايلك كما هو الحال بالنسبة لزماله القايد ومزارقية الأغا،

<sup>1</sup> يوسف صرهودة، الاقتصاد والمجتمع، ص77

<sup>2</sup> Abd Djalil TEMIMI, Le beylik de constantine et...Op, Cit, p62.

<sup>3</sup> العربي إسمهان: الحياة الاقتصادية في بايلك قسنطينة... المرجع السابق، ص317.

<sup>4</sup> فلة القشامي : النظام الضريبي....، المرجع السابق، ص87.

وألغيت نهائياً على بعض قبائل المخزن، كقبائل الزمول التي أعفيت من مثل هذه الضريبة على الأراضي التي منحت لها لاستغلالها مقابل خدمات عسكرية كلفت بآدائها<sup>1</sup>.

الغرامة: كانت تدفعها القبائل البعيدة عن السلطة مثل القبائل الرحل والحنانشة وأولاد سيدي يحي بن طالب والنمامشة وقبائل بسكيكدة و فرجيوة، البابور، الأوراس، أولاد مقران، والتي كانت تدفع الغرامة مكان العشور بشكل التحصيل العيني وفق ما تنتجه القبيلة، وهي موزعة عليها حسب الخيام وحسب نوع الإنتاج، مع ملائمة إقتصاد القبائل<sup>2</sup>.

اللزمة: هي نوع من الضرائب فرضت على القبائل الريفية في مناطق محدودة مثل المناطق الصحراوية أو الجهات الجبلية البعيدة عن السلطة في ناحية القبائل، البابور، فرجيوة وميلة، التي كانت تدفع 122055 ريال بوجو، أو 98101,80 فرنك حسب إحصاء أواخر العهد العثماني<sup>3</sup>.

ومن القبائل التي كانت تدفع الضرائب قبيلة السقنية في الجنوب القسنطينية التي كانت تدفع حوالي 2.74 فرنك، وقبيلة السلاوة كانت تدفع حوالي 0.74 فرنك وقبيلة التلاغمة كانت تدفع حوالي 2.25 فرنك، وقبيلة اولاد كباب بميلة كانت تدفع 1.82 فرنك<sup>4</sup>

ان معظم هذه الضرائب والغرامات كانت تدفع نقدا وهي موحدة على القبائل، اما الضرائب غير الرسمية فهي ضرائب تقليدية معروفة من قبل وتمثل في حق البرنوس وحق البشارة والهدايا المختلفة ويمكن تشبيهها ببعض التقاليد التي كانت مفروضة خلال العصور الوسطى باوربا في ظل الاقطاعية<sup>5</sup>

مداخيل البايلك: لقد تعددت مداخيل البايلك واعتمدت خاصة على المنتوجات الفلاحية ولم تكن منتظمة ومن بينها الغرامات على اليهود الاصليين القاطنين بالبايلك والمقدرة بحوالي 9000 فرنك،

<sup>1</sup> - جمال الدين سعيدان: الاحوال المعيشية...، ص 34،

<sup>2</sup> نفسه

<sup>3</sup> فلة القشاعي: النظام الضريبي...، المرجع السابق، ص 65.

<sup>4</sup> - A.M.G.H.227, Op.Cit.

<sup>5</sup> A, NOUSHI, Enquete ....op cit ;p48

وغرامات حول منتوجات مختلفة حوالي 6778 فرنك وغرامات حول عقارات وبنائات خاصة بالبايلك حوالي 50000 فرنك ومجموعها الكلي حوالي 5076705 فرنك<sup>1</sup>

ويمكن اضافة بعض المداخيل الخاصة بمداخيل ثروة المشايخ نظرا لكون هذه الفئة قد لعبت دور كبير في مجال جباية الضرائب والبحث عن الثروة فقد قدرت ثروة شيخ الحنانشة عشية الاحتلال الفرنسي اي سنة 1830 بحوالي 27000 فرنك، اما ريميزات فقد قدرها بحوالي 5000 فرنك<sup>2</sup>

### المطلب الثالث: تطور حركة الاسعار وعلاقتها بالمنتوج الزراعي والفلاحي:

عرفت الفترة الاخيرة من الحكم العثماني في بايلك الشرق الجزائري تراجعاً كبيراً في الانتاج الغذائي ويقابله ارتفاع الاسعار، حيث عرفت بدايات القرن 19م ازمات كبيرة وتأثير الوباء مما احدث تراجعاً كبيراً في الانتاج وارتفاع الاسعار حيث قدر سعر الصاع من القمح ب15 ريال بوجه ونتيجة لذلك تراجع مزارعو منطقة عنابة عن الانتاج ولم يقوموا بالحصاد حيث تنازلوا على نصف الانتاج خوفاً من الوباء<sup>3</sup> من العوامل ايضاً التطورات الحاصلة بعد الغزو الفرنسي حيث ازداد نشاط الشركات الفرنسية والتي اثر دورها سلبياً في استغلال واحتكار ثروات السكان، ففي تقرير صدر في 22 جانفي 1831م تابع لوزارة الحربية يتضمن السعي لاستغلال عشرة اماكن ساحلية على الحدود التونسية وعن استغلال اماكن انتاج الحبوب وحتى المنتوجات غير الغذائية مثل الجلد والحزير والمرجان ومدى القدرة على ضمان توفير المواد الاولية<sup>4</sup>، وبعد احتلال عنابة سنة 1832 شرع الاوربيون في اقامة مستثمرات فلاحية حول المدن فانعكس ذلك سلبياً على ارياف المنطقة، ضف الى ذلك الحملات قام بها أحمد باي بعد احتلال عنابة التي مثلت احتلالها ضغط كبير على الباي<sup>5</sup>. ومن العوامل ايضاً هجرة سكان الجبال لقراهم وترك الغابات

<sup>1</sup>Voir, PELLISSIER ;E, **Annales algeriennes**, T3, Paris 1839 ;p453

<sup>2</sup> AMG.H226, **Rapport Rousseau, Revenus de la province de constantine**

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 55

<sup>4</sup>. AMG op cit

<sup>5</sup> جمال الدين سعيدان: الاحوال المعيشية... المرجع السابق، ص 45

التي كانوا يستغلونها في الرعي وتأثير الضرائب المفروضة عليهم ومثال ذلك وضعية القبائل الشمالية الحدودية بالقالة التي تركت قراها فاستغل التونسيون سقوط الجزائر سنة 1830 والتوسع الفرنسي شرقا واعمال الفوضى التي لحقت بالشرق الجزائري من اجل سيطرتهم على العديد من القبائل الحدودية المحيطة بالقالة<sup>1</sup>. بعد 1835 مع إنتشار وباء الكوليرا الذي جلبه الفرنسيون والذي اثر سلبا على الزراعة وادي إلى زيادة معدلات الوفيات، ومنذ الحملة الأولى على قسنطينة سنة 1836 كانت بداية التراجع الحقيقي للإنتاج الريفي، في حين مثلت الحملة الثانية ونجاح الاستيلاء الفرنسي على قسنطينة في سنة 1837م وظهور مرحلة جديدة من عدم الاستقرار الذي تسبب فيه الاحتلال بحملات الغزو والنهب على مجموعة القبائل<sup>2</sup>، وكرد فعل على الاحتلال قام أحمد باي باتالاف احتياطات القمح خلال الحملة الفرنسية على قسنطينة، فآثر ذلك في ازدياد وتعقيد الازمة.

الجدول التالي يبين مدى إرتفاع الأسعار ومعدلات التضخم فيما بين 1830-1838<sup>3</sup>.

المواد	الأسعار في سنة 1830 بالفرنك	الأسعار في سنة 1837 بالفرنك	الأسعار في سنة 1838 بالفرنك	معدلات التضخم %
القمح	7	25	35 إلى 40	357
الشعير	3.5	11		314
ثور	17.5	65	/	371
جزء الصوف	0.65	3	/	361
جلد ثور	1	7	/	706
جلد خروف	1	3.5	/	350

<sup>1</sup>L.Charles FERAUD :**Histoire des villes de Constantine**,op cit;p 38

<sup>2</sup>- Ernest MERCIER :**Histoire de Constantine**,...,Op, Cit, pp.441-442.

<sup>3</sup>جمال الدين سعيدان: الاحوال المعيشية، المرجع السابق، 72

				بالصوف
262	/	2	0.57	قلة الدهان
262	/	3.8	1.45	قلة العسل
1600	/	100	6.25	التمر حمولة
/	/	400-300	150	البغال
/	/	80-50	15	حمار
/	/	100-70	46	بقرة حلوب
/	/	12-10	2.5	ماعز

**-حركة أسعار المواد الغذائية:** لقد كان من ابرز التطورات في المرحلة الأخيرة تدهور وتراجع المستوى الاقتصادي والاجتماعي والتناقض بين وفرة المنتج من جهة وبين انخفاض القدرة الشرائية من جهة اخرى وتذبذب الاسعار خاصة في المواد الغذائية نظرا لتأثرها مباشرة بالأحداث الداخلية وحتى الخارجية أو الإصلاحات الاقتصادية التي طبقتها البايات لكن لا يمكن تتبع حركة الاسعار بدقة نظرا لعد تعرض معظم المصادر لها باستثناء التلة التي ذكرت ذلك في شكل اشارات او ملاحظات عابرة.

#### أولا : أسعار المنتجات الزراعية:

1- زيت الزيتون: كان استهلاكه في المرتبة الثانية بعد الحبوب و كان ينتج خاصة في منطقة القبائل واستهلاكه أكثر في تلك المناطق وعرفت اسعاره تطورا نظرا لتأثره بظروف مختلفة.

لقد عرف الشرق الجزائري ارتفاعا لسعر الزيت في فترات غلاء الحبوب المرتبطة بالجفاف مثل

سنوات 1762-1764-1777-1779-1806-1807-1816-1817 و منذ 1813-

1816 تبلغ الأسعار مستوى أعلى فعابا فوق 10ريال دراهم صغار، و هذا الارتفاع كان عالمي و لم

يخص الجزائر فقط و تزامنا أيضا مع سنوات القحط 1806-1807م و التي تميزت بتراجع الإنتاج الزراعي، و الذي بلغ أوجه خلال 1816-1817.<sup>1</sup>

جدول تطور اسعار زيت الزيتون.<sup>2</sup>

السعر	السنوات
من 5,98 انتقل إلى 8,00 ريال دراهم صغار	1778-1779
من 6,00 انتقل إلى 15,00 و 16,00 ريال دراهم صغار	1804-1807
من 11,50 انتقل إلى 24,00 ريال دراهم صغار	1816-1817

يبين الجدول علاقة تطور الاسعار مع تأثير الأزمات التي عرفتها الجزائر خاصة في بدايات

القرن 19م.

لكن الملاحظ هو انخفاض سعر الزيت ما بين 1827 و 1830م.

سنة 1804 كانت قيمة الزيت تساوي 6,07 ريال دراهم صغار، في الفصل الأول و 6,75 في الفصل الثاني، و في سنة 1807م أصبحت 13,50 ريال دراهم صغار في الفصل الاول و 15 في الفصل الثاني و 16,25 في الفصل الثالث و قد استمرت ندرة الزيت في 1808.<sup>3</sup>

ثانيا: حركة أسعار الحبوب:

<sup>1</sup> لمنور مروش: دراسات، المرجع السابق، ص 120

<sup>2</sup> نفسه

<sup>3</sup> نفسه، ص 122.

إن إنعدام وحدة اقتصادية و مشاكل نقل البضائع على المسافات الطويلة و تأثير العزلة، اضافة إلى وجود حكام محليين في تلك المناطق لهم فقط اهتماماتهم الضيقة، قد نتج عنه تباين الأوضاع الداخلية و اختلاف ردود الفعل في فترة الكوارث الطبيعية مثل فترة الجفاف، فقد اعتاد السكان على تخزين الحبوب في السنوات الخصبية، لكن الأرباح الطائلة الناتجة عن تصدير الحبوب خاصة لدى الحكام و الفئات المهيمنة دفعت إلى السعي لتحقيق الربح السريع .

هذه السياسات التصديرية في فترة الرخاء خلال القرن 18م أثرت سلبا في فترات الأزمات الغذائية في بدايات القرن 19م<sup>1</sup> خاصة سنة 1803م التي عرفت تدهورا رغم تطور الإنتاج إلا أن المستفيد منه كان الحكام و موظفهم و شيوخ القبائل و ملاك الأراضي فكان طموحها هو إستيراد الكماليات من أوروبا.<sup>2</sup> في عنابة مثلا كان متوسط سعر قفيز القمح في حدود 14 قرش عنابي للقفير، و بما أن القفير هو حوالي 10,50 صاع جزائري و القرش العنابي يساوي 3,67 ريال دراهم صغار، و هذا الغلاء بسبب التنافس بين تجار الحبوب و التصدير وفر عملية فضية إضافية في المدينة.<sup>3</sup>

يذكر العنتري أن صاع القمح بلغ 10,00 ريالات في قسنطينة سنة 1804م و هي فترة المجاعة، و كان قبل ذلك لا يتجاوز ريالا واحدا أو ريالا و نصف.<sup>4</sup>

تعد فترة 1803-1807م فترة أزمة حقيقية، ان النسبة بين أسعار القمح و أسعار الشعير تغيرت كثيرا، و بلغت حدها الأدنى في أوج الأزمة سنة 1805م حيث اقترن سعر الشعير مع سعر القمح في مارس 1805م: 35 ريال دراهم صغار و صاع الشعير: 25 ريال دراهم صغار.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> لمنور مروش: دراسات...، المرجع السابق، ص151.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> نفسه .

<sup>4</sup> :مُجد الصالح ابن العنتري: مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص34-35.

<sup>5</sup> لمنور مروش: دراسات، المرجع السابق، ص155.

سنة 1804-1805م كان البوجو: 3ريال دراهم صغار و الدور الجزائري 5ريال دراهم صغار، و بعد 1830صارت قيمة الدورو الاسباني حوالي 3بوجو كندهور قيمة العملة المحلية، أما كثرة الدراهم عند السكان في أوائل القرن 19م فكانت حقيقة لكنها لم تكن عبر كافة الفئات،<sup>1</sup> فقد كان صاع القمح قبل الأزمة يكلف العامل 5 أو 6 أيام عمل و في 1805-1806م بلغ صاع القمح قيمة أجرة 60أو 70يوم عمل<sup>2</sup>.

وكل ذلك انعكس سلبا على حياة العامل البسيط، وزاد زيادة الاقبال على الشعير و الذي ارتفع سعره كذلك سنة 1804م مع ازدياد سعر القمح، واشتداد الاهوال التي حالت بين الفلاحين وفلاحة الارض فنتج عن الازمة قلة الحبوب وارتفاع الاسعار<sup>3</sup>، و تفاقم المجاعة التي دامت سنة كاملة و سميت مسغبة عام 15 أي 15 ريالا للصابع من القمح بدل ريال أو ريالين و نصف، حيث قال العنتري "...حتى بيع الصاع الواحد من البر ب15ريال من سكة ذلك الوقت وبيع الصاع من الشعير ب6ريالات..."<sup>4</sup>

سنوات 1808-1814م: تراجع سعر القمح حسب الجهات من 35 ريال دراهم صغار في مارس 1805م إلى 06ريال دراهم صغار سنة 1808م و منذ 1814م رجعت الأزمة و بسبب الجراد ارتفع السعر بعدما أمر الداى بمنع بيع القمح بأكثر من 2 دولار للصابع، فنقص العرض<sup>5</sup>، وقد أشار العنتري الى تراجع أسعار القمح خلال ملاحظاته والتي تتعلق بالعرض والطلب<sup>6</sup>.

كان الشرق الجزائري هو المتضرر كثيرا نظرا لطول مدة الجفاف وخاصة لدى سكان الارياف وقد ذكر العنتري عندما وصف الازمة ان السكان قاموا بهجرات جماعية بقوله: "فكانوا يغادرون منازلهم وقراهم زحفا لقسنطينة واصابت الجائحة في جهات كثيرة واعراشها مثل الحراكنة والنمامشة واولاد يحيى بن

<sup>1</sup> نفسه، ص156.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> محمد الصالح ابن العنتري: مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص13..

<sup>4</sup> نفسه.

<sup>5</sup> لمنور مروش: دراسات، المرجع السابق، ص163.

<sup>6</sup> محمد الصالح ابن العنتري: مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص13

طالب والخراب وغيرها ولم ينجو منها الا ناحية السواحل والصرافات فان زرعها لم يقع فيه ضرر كبير  
...،<sup>1</sup>.

أسعار مناطق بايلك قسنطينة ثلاث انواع:

1- سعر الرحبة او السعر المحلي في سوق الحبوب بعناية فقد كانت الشركات الفرنسية،  
مقابل الإتاوات التي تدفعها للجزائريين و المسؤولين المحليين، فكان لها الحق في شراء 500 قفيز من القمح  
بالسعر المحلي ( قفيز عنابة يقدر ب 7,20 و 8,00 هكتو لتر).

2- في القالة: حيث المقر التجاري للشركة الفرنسية، كان شراء الحبوب بالتفاوض مع  
الوسطاء المحليين و كانت ميزورة القالة تعادل أو تقل قليلا من حمل مرسيليا، 160 لتر أو 2,66 صاع  
الجزائر.

3- المنافسة بين المستوردين للحصول على سعر أفضل ( قفيز البايك 640 لتر).

- إن الإشراف على التصدير كان مصدرا هاما للعملة و كان بيد البايات حيث جعلهم  
قادرين على كسب ثقة الدايات للحفاظ على المنصب.<sup>2</sup>

### ثالثا: أسعار بعض المواد الغذائية:

من ضمن المواد الغذائية الرئيسية الخبز وكان أكثر المواد استهلاكا وكان ذا اهمية بالغة خاصة ان له قيمة  
حقيقة كغذاء للانكشارية في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني وخضع توزيعه لمجموعة من الشروط، و الى  
رقابة شديدة وكانت تفرض عقوبة شديدة لكل من يغش في الميزان، وزاد من اهميته اقتترانه بالجيش الذين  
كفل لهم القانون الحصول على قيمة معينة من الخبز يوميا<sup>3</sup>، ومنذ نهاية القرن 18م عرف سعره ارتفاعا

<sup>1</sup> نفس المصدر، ص 27.

<sup>2</sup> لمنور مروش: دراسات، نفس المرجع، ص 170.

<sup>3</sup> محمد بوشناني: صناعة الخبز ومقوماته في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة المواقف للبحوث والدراسات،

ع 10 ديسمبر 2015، ص 41

بسبب تراجع انتاج الحبوب والجفاف والقحط، وفي كثير من الاحيان تكون الكمية المقدمة للجنود غير كافية فينتشر بينهم التذمر مما يهدد بالثورة فيسارع القادة الى المطالبة بزيادة الكمية<sup>1</sup>، والجدول الاتي يوضح تطور الأسعار<sup>2</sup>:

السنة	السعر
1820	11 درهما للخبزة
1825-1820	20 درهما للخبزة
1828-1827	20 درهما للخبزة

أما اللحوم فقد وردت اسعارها في سجلات البايلك بين سنتي 1826-1827م حيث تتراوح ما بين 1,30 و 2,25 ريال دراهم صغار، أما قنطار لحم البقر سنة 1808م كان يساوي 40ريال دراهم صغار سنة 1808م للقنطار الواحد من اللحم و لحم الضأن 44,44ريال دراهم صغار للقنطار.<sup>3</sup>

وقد اشار العنزي الى ان الاسعار كانت رخيصة ما عدا القمح ويفسر ذلك بنقص امتلاك العملة لدى السكان وقد وصف بعض الاسعار قائلا "...واما باقي الغل من ماكولات ومشروبات كلها رخيصة السعر الا انالدرهم قليلة بايدي الناس وعزيزة الى الغاية ليس كفترتنا هذا-يقصد الفترة الفرنسية-لان اليقرة الغاية في ذلك الزمان تباع بأربعة ريالات او خمسة، والكبش الغاية يباع بخمسة أثمان والكيلو منه بتونسية اعني صوردين وقديحة الزبدة التي ترزن زوج كيلو او أزيد بربع ريال...والرطل من التمر بريالين ونصف وقس سائر المأكولات<sup>4</sup>..."

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص55.

<sup>2</sup> لمنور مروش: دراسات، ص200.

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص204.

<sup>4</sup> : مُجَدِّد الصالح ابن العنزي، مجاعات قسنطينة، ص34.

وكانت الابقار والماشية يصعب بيعها بسبب انخفاض ثمنها وقد جاء في رسالة الباي مُحَمَّد منماني الى الداي حسين بتاريخ 7 ربيع الثاني 1241هـ الموافق ل16 نوفمبر 1825 حول تدهور الوضع الفلاحي بقسنطينة حتى ان البقرة الواحدة صار يصعب بيعها بثلاثة ريالات<sup>1</sup>.

ضف الى ذلك باقي المنتجات الكمالية وهي منتجات مستوردة كان في مقدمتها البن و السكر، وكان والبن استهلاكه كبير في الجزائر و حسب الرحالة و القناصل الأجانب أن تناول القهوة كان الترف الوحيد الذي تتمتع به الجماهير الغفيرة في الجزائر<sup>2</sup>.

### المبحث الثاني: تطور الصناعة:

إن التطورات التي مست المجال الصناعي في هذه الفترة كان ترتبط أساسا بمدى استغلال الثروات المتوفرة واعادة تصنيعها من قبل الاسر والعائلات في الارياف او النشاط الحرفي خاصة في المدن والتجمعات السكانية الكبرى كما انه لا يمكننا الحديث عن التطور الصناعي الحديث الذي تميز في تلك الفترة بانقلاب صناعي في اوربا والعالم ومن مميزاته سرعة الانتاج وكثافته، وبالتالي كان الانتاج الصناعي في بايلك الشرق بسيطا موجه تارة للاستهلاك المحلي الاسري او ما يعرف باقتصاد الكفاف او لدعم حاجات السلطة من موارد ومصنوعات تعتبرها اساسية مثل الصناعة المرتبطة بالبحرية وهذا التطور تاجر بمعطيات داخلية وخارجية ايضا.

### المطلب الاول: الموارد الصناعية

<sup>1</sup> كارشيف المكتبة الوطنية بالحامة، المجموعة 1642.

<sup>2</sup> لمنور مروش: دراسات، نفس المرجع، ص 207

لقد ذكرت الموارد الاولية في المصادر التاريخية والجغرافية وهذا يدل على وفرتها في الشرق الجزائري وخاصة الثروة الخشبية الغابية واستغلالها وفق ما يعرف بغابات الكراسته ببجاية وجيجل والقالة وازدادت اهميتها لحاجة الصناعة الحربية العسكرية، وقد تحدث **دي غرامون** في كتابه عن اهميتها بالنسبة للحكام في الجزائر بقوله: 'فقد كان من الضروري انشاء مصلحة حربية فقرروا انشاء مشروع بناء يشرف على استغلال الغابات باسم الكراسته وقد عين عليها احد شيوخ اسرة المقراني واستغل الحكام المهندسون وصانعي المدفعية من السويد والنرويج والدانمارك وهولندا لتمويل هذه الصناعات"<sup>1</sup>

استغلال الكراسته والتي تعني بالتركبة الخشب الخام وكانت الاخشاب تنقل من بني ميمون وبني عمروس وهي قبائل غابية قرب ميناء بجاية ثم اكتشف مصدر آخر لشجر البلوط المسمى تاشتا في بني فوغال بجيجل في النصف الثاني للقرن 18م، فازدادت اهمية المنطقة نظرا لتوفر هذا المورد الهام<sup>2</sup> وهذه المناطق الجبلية ايضا كانت تحتوي على موارد اخرى هامة مثل الفضة والزئبق وهذا ما اشارت اليه التقارير الفرنسية عشية الاحتلال<sup>3</sup>

اضافة الى ثروة الحديد بالمرتفعات في قبائل بني قايد داخل الحوض الايمن للواد الكبير بجيجل<sup>4</sup> وتضيف المصادر ان منطقة القبائل توفرت على خامات الحديد وكان لسكانها تجربة في استخراج الحديد ومناجم الرصاص وملح البارود<sup>1</sup> بالاضافة الى باقي الموارد النباتية والحيوانية المنتشرة عبر كامل انحاء الشرق الجزائري.

---

<sup>1</sup> GRAMOND .H D :**Histoire de l'Algérie sous la domination turc**,p237

<sup>2</sup> L.Charles FERAUD :**Exploitations des forets**,p40-41

<sup>3</sup> ANOM,F80/1672 **Expedition de constantine,Description physique 1837 .**

<sup>4</sup> ANOM,F80/441,Note **Note sur la kabylie**

**Djmilah,Milah,Philippville,Calle,Djigeller et le Babours**,par le capitaine de genie SADALE octobre 1848

## المطلب الثاني: اهم الصناعات والحرف:

**صناعة البارود والبنادق:** لقد كانت هذه الصناعات من اهم الصناعات الحديثة والحرفية وكانت ذات جودة عالية قبل حدوث تطورات اثرت عليها سلبا، ومن مميزات صناعة البنادق انها كانت ذات طراز عثماني من حيث الشكل ومن حيث الزخرفة وهذا ما نجده في المتاحف الوطنية التي تحتفظ بهذا النوع من الصناعات ومنها حتى الذهبية والفضية وهي ذات قيمة عالية، وقد اشتهرت عدة مناطق في الشرق الجزائري بهذه الصناعات التي اعتمدت على مورد البرونز والفضة مثل منطقة القبائل وجرجرة، كما اختصت هذه المناطق بصناعة البنادق داخل القرى وكانت البنادق مرصعة بالفضة وذات جودة عالية<sup>2</sup>، ويذكر **شلو صر** ان بنادق منطقة القبائل كان طولها بين 6 الى 7 اقدام ولها ماسورة مثمثة وليست مربعة ومزينة بأحجار وجواهر صغيرة ولا يرغب صناعتها في تبديلها بالبنادق الاوربية لانهم لا يتقون في بقاءها لمدة طويلة<sup>3</sup>

أما صناعة البارود فقد كانت أكثر انتشارا رغم قلة هذا المورد الذي كان يجلب معظمه من خارج الجزائر كما تواجدت منه كميات في المناطق القريبة من قسنطينة وداخل المغارات حيث يتواجد ملح البارود وكان يخلط بالكبريت والفحم<sup>4</sup>، واشتهرت بصناعة البارود مناطق عديدة منها منطقة زاوارة ببلاد القبائل<sup>5</sup> وقد ذكر **شلو صر** ان سكانها كانوا يصنعونه بأنفسهم واطاف بانه بارود سميك وليس به حبيبات متساوية ولكنه قليل القوة لانهم يجهلون طريقة تنقية ملح البارود من اجزائه الترابية<sup>6</sup>، وقد كانت هناك مناطق اخرى تصنعه في الصحراء الجنوبية الشرقية بتوقرت ووادي سوف، لكن التطورات الاخيرة في بدايات القرن التاسع عشر انعكست سلبا على هذه الصناعة وخاصة مع ارتفاع اسعاره فاصبح البارود يوزع بكميات قليلة على

<sup>1</sup>: حمدان خوجة، المرارة، ص 29

<sup>2</sup> نفسه

<sup>3</sup> فنديلين شلو صر، قسنطينة ايام احمد باي، المصدر السابق، ص 96-97

<sup>4</sup> ايت سوكي: القوي الدينية بمنطقة القبائل، ص 36.

<sup>5</sup> نفسه

<sup>6</sup> فنديلين شلو صر: قسنطينة ايام احمد باي، المصدر السابق، ص 97.

الجنود خلال عهد احمد باي بحيث كان الجندي يتلقى ذخيرته من البارود مباشرة قبل بداية المعارك وتعطى له ذخيرة بمقدار 10 خراطيش فقط نظرا لقلته<sup>1</sup>

كما أن هذا المورد كان يتطلب إنفاق أموال من اجل استيراده من قبل البايات في فترة تراجع الاقتصاد والمداخيل، كما ان النشاط الاقتصادي وحركة بعض سكان المناطق الحدودية الشرقية قد اثر سلبا على ندرته بسبب تهريبه الى تونس وهذا ما نستنتجه من خلال بعض التقارير والمراسلات بين حكام تونس وقسنطينة حول المشاكل الحدودية الناتجة عن عبور القبائل بين الجزائر وتونس<sup>2</sup>.

كما ان نشاط الشركات الاجنبية قد اثر سلبا في ندرة البارود نتيجة عملية الاحتكار والمتاجرة به سرا عن طريق ممثلي هذه الشركات مع الشيوخ والقياد حيث جاء في احدي الوثائق على لسان احد ممثلي الشركات قائلا: "... جاء لزيارة أحد من قياد منطقة من المناطق التابعة للباي فقدمت له كوبا من البن أو القهوة و في نفس الوقت أتى أحد أعوان القايد لمدينة بونة بطلب 3 أو 4 أكياس من البارود لشرائها، و تقديمها إلى القايد الذي كان معي فجوبت عليه بالقول " لا نبيع" و لا أرى أحد في المحل يتاجر بذلك و لتلبية رغبته فعلا، أعطيته 3 أكياس من البارود مع خرطوشتين كانت هدية لي...".<sup>3</sup>

صناعة الحلبي: لقد كانت هذه الصناعات أكثر انتشارا اعتمدت أساسا على معدن النحاس والفضة، وخاصة حرفة الصياغة التي انتشرت خاصة في المدن مثل قسنطينة وبجاية وقد تجاوزت هذه الحرف العشرون حرفة<sup>4</sup>، وصناعة الحلبي بانواعها خاصة النوع الخاص بالزينة، وقد كان من اهم عوامل انتشار هذا النوع هو ارتباطه بالمكانة الاجتماعية للمرأة حيث كان مظهرا لابرار للثروة التي تملكها المرأة<sup>5</sup>، والحلي ذات

<sup>1</sup>: نفس المصدر، ص88

<sup>2</sup>: الارشيف الوطني التونسي، الحافظة223، السلسلة384.مراسلات بين حكام تونسيين وجزائرين

<sup>3</sup> صرهودة يوسفى:الاقتصاد والمجتمع... المرجع السابق، ص357.نقلا عن أرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا1762-1763.

<sup>4</sup>: سميحة ديفل، صناعة الحلبي بقسنطينة خلال العهد العثماني، مجلة المواقف ع10جامعة قسنطينة،ديسمبر2016،ص178

<sup>5</sup> نفسه.

ذات أهمية بالغة بالنسبة لها الى جانب المجوهرات<sup>1</sup> هذه الثروة تعد رأس مال تدخرها المرأة سواء عن طرق الرهن او البيع وتحول الى نقود عند الضرورة.

وقد كانت من ابرز ثروات واملاك النساء المنقولة في الشرق الجزائري خلال العهد العثماني خاصة المجوهرات والخلاخل وقد انتقلت إليها سواء عن طريق التركة او الهبة<sup>2</sup>، وايضا البعد الاقتصادي باعتبارها حرفة مربحة ومنها الصياغة اي صياغة الذهب او سبكه وتفريغ المعدن في القالب وتخصع لامين الحرفة الذي يحتفظ بقالب المعدن واختام النقود لكي لا تقلد ولا تزور، ويضمن نوع المعدن المستخدم، وفي قسنطينة كان هنالك حوالي مائتي ناقش على الجواهر خلال العهد العثماني، وتمارس هذه الحرفة داخل المدن وسط التجمعات السكانية لانها غير ملوثة ويطلق على الشارع اسم الحرفة<sup>3</sup>، كما انتشرت الحرفة في بعض المناطق الصحراوية مثل وادي سوف حيث كان السوافة يصنعون السوار والخلاخل والخواتم وصناعة الفضة<sup>4</sup> ومن التطورات التي طرأت على هذه الحرفة في أواخر العهد العثماني انها تعرضت لسيطرة اليهود عليها سواء من حيث صناعتها أو تجارتها فقد كانوا يبيعون ويشتررون الذهب نظرا لقيمتها العالية وتعرضت الحرفة للتزييف من قبل حرفييهم فقد كانت مساهمة اليهود القادمين من ليفون عالية في هذا القطاع الحرفي<sup>5</sup> كما مارس هؤلاء تزييف النقود الذهبية أيضا، ومارسوا أيضا هذه الحرف في المناطق الصحراوية وكانت لهم أماكن خاصة بهم في اسواق وادي سوف وقد كانوا يحصلون على الذهب الخام من بلاد السودان<sup>6</sup>، ولهذا ولهذا كان تأثيرهم سلبا على ممارسة باقي السكان ومداخيلهم الحرفية.

<sup>1</sup> Venture De Paradis, **Alger au 18eme siècle...** p37

<sup>2</sup> يوسف صرهودة: النساء والملكية في مدينة قسنطينة اواخر العهد العثماني، مجلة العلوم الانسانية، ع40 ديسمبر 2013، ص403.

<sup>3</sup> سميحة ديفل: صناعة الحلبي بقسنطينة...، المرجع السابق، ص170-180

<sup>4</sup> عثمان زغب: الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918-1947، وتأثيراتها... ص91

<sup>5</sup> عائشة غطاش، الحرف والحرفيون، ص289

<sup>6</sup> سعيدوني، نصر الدين، الجزائر في التاريخ، ص41

**الصناعات الحديدية:** ارتبطت هذه الحرف بتحويل معدن الحديد واختصت به مناطق عديدة خاصة بجاية حيث كان الحرفيون يصنعون الصحون من الحديد المستخرج من الجبال المحيطة بالمدن والواقعة الى الشرق منها في بلاد القبائل<sup>1</sup>، وقد كان للسكان تجربة في صناعة الصلب لصنع أسلحتهم وسكاكين الحدادة<sup>2</sup> حتى أن العديد من العائلات اختصت بهذه الحرفة وقد توارثتها العائلات آب عن جد.

كما اختصت بعض المناطق بصناعة السيوف الحديدية وسميت بسيوف الفليسة نسبة الى قبيلة فليسة، فليسة البحر بالقبائل الكبرى وان سكاها يصنعون سيوف جيدة طولها ما بين 41 الى 110سم وهي سيوف الخيالة تميزت بزخرفتها العالية<sup>3</sup>، كما تميزت منطقة وادي سوف أيضا بصناعة السيوف الحديدية، وفي نهاية العهد العثماني أصبح العديد من الحرفيين في الصناعات الحديدية بمنطقة القبائل يمارسون تقليد وتزوير العملات حيث اصبحت تصنع من قطع نحاسية صغيرة واصبح لهم قدرة فائقة على تقليد جميع انواع النقود مثل النقود الجزائرية والقروش الاسبانية<sup>4</sup>.

وهذه التطورات السلبية على هذه الصناعة انعكست سلبا على النظام المالي نتيجة التزوير وعلى التجارة كما آثرت حتى على الاصلاحات في مجال العملة كما سنرى في المبحث الخاص بتطور التجارة.

**الصناعة الجلدية:** كانت هذه الصناعة كثر انتشارا واعتمدت أساسا على مورد الجلود الحيوانية لتوفرها بكثرة في كل المناطق<sup>5</sup>، وقد تفرعت الى 10 حرف لوحدها وهي جماعة الدباغين والشبارليين والبرادعية والبابوجية والتماغون والرقاقون والبلاغجية والخرازون والحزازون<sup>6</sup>، وانشرت في قسنطينة خاصة كما انتشرت

<sup>1</sup> وليام سنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، المصدر السابق، ص161

<sup>2</sup> وليام شالر، ص115.

<sup>3</sup> حدي بن حليلة، نماذج من سيوف فليسة المحفوظة بالمتحف العمومي زبانة بوهران، مجلة التدوين، ع2018، 11، ص311

<sup>4</sup> نفس المصدر، ص97

<sup>5</sup> نفس المصدر، ص94

<sup>6</sup> L.Charles FERAUD : **corporations des métiers a Constantine avant la conquête**, in RA v16a1872.

في مناطق اخرى في الجنوب حيث كانت تسوق الاحذية والبابوش في اسواق الزيبان ووادي ريغ<sup>1</sup> وايضا عند قبائل وادي سوف البدو ومنها الربيع والغرجان<sup>2</sup>

لكن من ابرز التطورات التي تعرضت لها هذه الصناعات في اواخر العهد العثماني هو قلة المردود وارتفاع تكاليفها فقد اصبحت السلطة لا تدفع للحرفيين مقابل شراء الاحذية مثلا سوى نصف درهم لكل زوج احذية مخصصة للجنود المشاركين في الحملات العسكرية وبالمقابل يدفع الحرفي مقابل الحصول على المادة الاولى من جلد البقر حوالي ثلاثة ارباع ريال درهم للقطعة الواحدة وفي مدينة قسنطينة كان صانعو الأحذية ينالون فقط ثلاثة فرنكات لزويجة الأحذية أما ثمن جلد الخروف المدبوغ المستعمل لصناعتها لا يقل عن ثلاثة فرنكات<sup>3</sup>، ضف الى ذلك المنافسة الخارجية خاصة التونسية والتي اثرت سلبا.

**الصناعة النسيجية:** كانت من ابرز الصناعات الأساسية التي اعتمدت على ثروة الصوف التي تتوفر بكثرة ونظرا لتوفر قطعان الماشية سواء داخل المدن او الارياف وخاصة في القرى الريفية في ميله حيث التجمعات السكانية<sup>4</sup> ومما ساعد على انتشار الصناعات النسيجية توفر موارد أخرى ارتبطت بالانتاج الفلاحي وتواجد وتواجد مادة الحرير بكثرة ودودة القز التي وفرت نوعا خاصا ودليل ذلك ما جاء في إحدى التقارير الفرنسية المحفوظة في الارشيف التونسي والتي ترجع الى بدايات الاحتلال حول تواجد هذا النوع من الديدان المنتجة للحرير والذي اعتره صاحب التقرير موردا هاما سيساهم في نمو الاقتصاد الفرنسي فيما بعد<sup>5</sup>

وقد ارتبط نشاط حربي آخر تقوم به العائلات داخل البيوت والاكواخ لسد حاجياتها الاساسية من خلال استغلال المادة الاولى التي يتم جمعها من الأرض او من الفلاحة او من الجلود الحيوانية واصوافها وخاصة المرتبطة بالنسيج والصناعة الجلدية لتوفر الماعز والجمال واستغلال وبرها، لصناعة أغطية الخيام التي تصنع

<sup>1</sup> Jean Depois :**Le hodna**,p297

<sup>2</sup> ibidem

<sup>3</sup> اسنهان لغريبي، الحياة الاقتصادية، المرجع السابق، ص63

<sup>4</sup> وليام سينسر، الجزائر في عهد رياس البحر ص94

<sup>5</sup> الارشيف الوطني التونسي، الحافظة 223، السلسلة 384، الملف العلاقات التونسية الجزائرية.

من وبر وجلود عبارة عن خليط بين وبر الجمال وجلد الماعز وكذلك صناعة الحبال المخصصة لتثبيت الخيام وهو عمل يقتصر على الرجال إضافة الى صناعة السلال والمحافظ التي توضع على ظهر الجمال والأحصنة وتوضع فيها الحبوب والتمر إضافة الى صناعة المحافظ الصغيرة والزراي والاعطية وخاصة المصنوعة من الوبر وزراي القماش التي تسمى الحولي والاعطية المخططة بالوان مختلفة التي تسمى الحنبل او الجايك والبرنوس وغطاء الاحصنة الذي يسمى الجلال وهذه المصنوعات الجلدية والنسيجية كان بعضها مخصص للتجارة خاصة في منطقة الحضنة في دوار اولاد عابدي قبالة اولاد سيدي مرزوق واولاد سيدي براهيم وسيدي بلقاسم وسيدي عبد القادر<sup>1</sup>، وايضا قبائل وادي سوف البدو ومنها الربيع والغرجان<sup>2</sup>.

وقد كانت منطقة وادي سوف اشهر المناطق انتاجا وصناعة للزراي وكانت هذه الحرفة تساهم في رفع المستوى المعيشي للاسر ويعتقد ان دخول هذه الحرفة الى تلك المنطقة كان في اواخر القرن 18م، من قبل شخص يدعى بن غريب وكان اصله تونسيا واستقر بقمار وواصل ممارسة فنه واصبحت اسرته تتوارث الحرفة وكانت تصنع الزراي من الصوف وشعر الماعز وخيوط القطن كما مارست القبائل البدوية هذه الحرفة وخاصة الربيع والفرجان وكانت تمول باقي المناطق<sup>3</sup> وهذا يبين التخصص الحرفي عند قبائل المنطقة وكذا توارث الحرفة.

تمت الملابس الصوفية فقد كان اهمها البرنوس وهي حرفة انتشرت ايضا بمنطقة وادي سوف وتميزت ايضا بتوارثها من قبل الاسر والعائلات مثل اسرة اولاد احمد بالواد التي سيطرت على انتاج البرنوس<sup>4</sup>

ومن التطورات الهامة التي مست هذا النشاط هو تراجع قيمة مداخيلها وقد كانت قبائل جرجرة اكثر المشترين للوبر من الحضنة وبالمقابل كانوا يبيعون منتجاتهم ومنها رؤوس الابقار والعجول نظرا لعجزهم عن

---

<sup>1</sup> Jean Depois, **Le Hodna**, p295

<sup>2</sup> عثمان زغب، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة وادي سوف، ص 89

<sup>3</sup> عثمان زغب، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف، ص 83-84.

<sup>4</sup> نفس المرجع، ص 88

تغذيتها في اراضيهم<sup>1</sup>، مما ساهم في تراجع الانتاج بتلك المناطق، كما استطاع اليهود التوغل في هذه الحرفة واصبحت لهم محلات عديدة في المدن الكبرى خاصة في قسنطينة حيث تجاوزت المائة محل، ونشطوا خاصة في صناعة الحرير<sup>2</sup>، ضف الى ذلك المنافسة الخارجية خاصة من تونس التي اختصت بصناعة الطربوش والشاشية واعتبرت هذه الصناعات من ارقى الحرف التونسية واجودها<sup>3</sup> مما ادى الى تقلص صناعتها في الشرق الجزائري نتيجة الاقبال على البضائع التونسية وأصبحت هي المصدر للدولة العثمانية.

**الصناعات الغذائية:** ارتبطت هذه الصناعة أساسا بالمنتجات الغذائية والفلاحية التي كانت الاسر الفلاحية تنتجها وخاصة مادة القمح التي تم تخصيص وبناء مطامر كبرى لتخزينها وقت الحاجة واعتبر ذلك من اهم التطورات التي مست هذا المجال الصناعي المرتبط بالزراعة خاصة في عهد احمد باي الذي قام ببناء هذه المطامر في مناطق الجنوب القسنطيني وقد استخدم هذا المخزون خلال ازمات الغذاء<sup>4</sup> والحصار الفرنسي على قسنطينة سنة 1836 و1837.

كما فسح هذا المجال بانتشار بعض الانشطة المكملة التي تقوم بها العائلات داخل البيوت من انتاج حليب وزبادي والطحين التقليدي بهدف سد حاجيات الاسر وليس للتجارة<sup>4</sup>

اما صناعة الخبز فقد كانت هذه الحرفة من اهم الحرف خلال العهد العثماني وكان الخبز من اهم الموارد وعنصرا أساسيا في حياة الجنود خاصة حيث لهم نصيب يومي من هذه المادة وكان يخضع لرقابة السلطة فيما يخص كميات التوزيع وحتى جودته وهذا ما نستنتجه من احدى الوثائق وهي رسالة من الحاج احمد باي الى الداوي حسين بتاريخ اوائل ذي القعدة 1243هـ الموافق لـ 18-22 جوان 1828 حول مراقبة جودة خبز الجنود بنوبة عنابة وحول مواد التمويل التي تعطى للجنود<sup>5</sup>

<sup>1</sup> Hanoteau et Loteurnous, **La Kabylie et les coutumes Kabyles**, 2<sup>e</sup> edition 1893, p481

<sup>2</sup> تجوى طوبال، ص 259.

<sup>3</sup> ANOM, F80/1697, **Industrie-Art et métiers en tunis**

<sup>4</sup> Jean Depois, **Le Hodna** ; p295

<sup>5</sup> أرشيف المكتبة الوطنية بالحامة، المجموعة 3190

وكان نقص الخبز الموفر للجنود من ضمن اسباب حدوث الاضطرابات في وسط ثكنات الانكشارية نظرا لاهميته في حياة الجنود خاصة عندما تقلص الكميات الموزعة عليهم<sup>1</sup>،

ومما يدل على انتشار هذه الحرفة هو تواجد المخازن بكثرة خاصة في المدن لتوفير مادة الخبز للسكان وللجنود وقد كانت عقارات المخازن من اهم العقارات والملكيات التي تظهر في عقود البيع او الشراء داخل المدن.

**الانشطة الصناعية المكملة:** لم يكن الاعتماد فقط على المنتوجات الحرفية بل ساد ايضا نمط خاص يرتبط اساسا بالتنقل والهجرات الموسمية او الدائمة والذي اختصت به العائلات الفقيرة بهدف سد حاجياتها الاساسية المحدودة او ما يعرف باقتصاد الكفاف

اعتمد هذا النشاط على جمع المنتوجات الطبيعية والفلاحية مثل جمع مادة الحلفاء في مناطق الحضنة اي الجهات الغربية للبايلك في الجبال والهضاب الجنوبية لاقليم الحضنة ووسط دوار اولاد سيدي ابراهيم ودوار سيدي هجرس<sup>2</sup>

وقد كان الحرفيون المنقلون يبيعون منتجاتهم دون وسيط، والذي كان يستقبل المنتج مثل الملح هو الذي يبيعه واكبر الزبائن من جرجرة والتل وبالمقابل البضائع الاتية من جرجرة وغيرها يتم تسويقها عن طريق البائعين الوسطاء<sup>3</sup>

ومن الانشطة التي كانت سائدة الاعمال التي تقوم بها بعض الفئات التي تسمى البرانية اي الوافدون من الخارج الى المدن الكبرى للعمل في اعمال مختلفة وهذه الانشطة اثارت اهتمام اعمال الرحالة والقناصل

---

<sup>1</sup> انظر محمد بوشناي، صناعة الخبز ومقوماته في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830، مجلة المواقف، ع31، 10 ديسمبر 2015.

<sup>2</sup> JEAN Depois, **Le Hodna**,...op cit ;p292

<sup>3</sup> Ibid ;p298

الاجانب وذكرت في سجلات البايلك ودفتر التشريفات التي ترجمها البير ديفو، وهذه الفئات كانت من عدة مناطق وتشتغل في حرف مختلفة كالمخابز والمطاعم وغيرها<sup>1</sup>.

ومن ضمن النشاطات التجارية حرفة الشياذ والتي تشتهر بها مناطق مثل الحضنة وواد سوف وميزاب حيث كان يتجول البائعون في المشاتي بمنتجاتهم التلية من جواهر ومرايا ومساحيق وياخذون نقودا او شعيرا مقابل بيعها، اما في الحضنة الشرقية المعزولة يتواجد الشياذون الذين يشترون بضائعهم من بريكة وسوق برهوم للتبادل مقابل الوبر والبيض<sup>2</sup> اضافة الى حرفة الدالين الذين يجوبون الاسواق وقد كانت من تخصص النساء<sup>3</sup>

**الصناعة الخشبية:** لقد كانت الصناعات الخشبية من اهم الصناعات نظرا لتوفر الثروة من جهة ونظرا لارتباطها بصناعة السفن خاصة الحربية التابعة للبحرية من جهة اخرى ومدى اهميتها بالنسبة للسلطة التي جعلتها ترتبط بها مباشرة ودليل ذلك كثرة المراسلات المتعلقة بمتطلبات مادة الخشب ومنها ما جاء في رسالة من الحاج عمار بن طازة المركاني بعناية الى ابراهيم وكيل الخرج في اوائل رمضان 1241هـ، الموافق لـ 8-17 افريل 1826، حول ارسال مائة وعشرين خشبة من عنابة الى الجزائر<sup>4</sup> ورسالة اخرى من احمد خوجة بن فرحات مرابط الكراسته في بجاية الى ابراهيم وكيل الخرج في اوائل ذي القعدة حول ارسال الاخشاب الى الجزائر، ورسالة اخرى من نفس الشخصية الى ابراهيم وكيل الخرج في اواخر محرم حول وصول رسالة وكيل الخرج الى مرابط الكراسته<sup>5</sup>

---

<sup>1</sup> في تقرير للجريدة الرسمية 1899 ان حرفيين من منطقة بني يدر بيججل هاجروا الى قسنطينة للاشتغال في المخابز منذ العهد العثماني.

<sup>2</sup> Jean Depois, Le **Hodna**,...op cit ;p298

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني، ، قانون اسواق الجزائر، ص 39.

<sup>4</sup> ارشيف المكتبة الوطنية بالحامة، المجموعة رقم 1903

<sup>5</sup> ارشيف المكتبة الوطنية بالحامة، المجموعة 1903

كما كانت متطلبات الحطب تزداد لاغراض مختلفة وقد دل على ذلك رسالة من اغا نوبة بسكرة الى الحاج احمد باي الشرق في 14 ذي الحجة 1243هـ، الموافق ل26 جوان 1828 حول طلب تنفيذ قوانين تزويد النوبة بالحطب اللازم لاعداد الطعام اليومي<sup>1</sup>

ومما ساهم في تطور هذا النشاط كثافة الغابات في الشرق الجزائري فقد كانت ضواحي جيجل اكثر كثافة غابية، وهي تستطيع تغطية كل حاجيات الاخشاب لبابلك قسنطينة من اجل الصناعات البحرية، وتمويل كافة متطلباتها، وخاصة غابات بني فوغال بجيجل التي كانت الممول الرئيسي للداي من مادة الحطب، كما كانت قبائل الشرق الجيجلي الواقعة على الحوض الايمن للواد الكبير تمتلك اجود انواع الاخشاب المخصصة للصناعة الخشبية والحطب وهي ذات نوعية ممتازة وكانت ضمن املاك العرش حسب التقارير الفرنسية عشية الاحتلال<sup>2</sup>

اضافة الى اسرة المقراني التي حصلت خلال العهد العثماني على امتياز استغلال غابات الكراسته كما ذكرنا سابقا، كما يمكن القول ان من بين التطورات الحاصلة هو توارث هذه الوظائف الى غاية 1830 في اسرة فرحات في قبيلة بني ميهوب وفي اسرة حبيلس وبوعكاز وقبيلة فوغال بجيجل<sup>3</sup>، اضافة الى غابات فرجيوه التي كانت ضمن امتيازات اسرة بوعكاز لفترات طويلة من الزمن وحتى في بداية الاحتلال حيث استطاع الشيخ بوعكاز بوعاشور الحصول على امتياز استغلالها سنة 1841 بعد اخضاع المنطقة<sup>4</sup>.

وقد كان جمع الاخشاب من ضمن الانشطة المكملة التي مارستها العائلات الفقيرة خاصة في غرب البابلك وفي الاراضي والغابات التي تملكها عائلات اولاد سلطان ولخضر الحلفاوي باقليم الحضنة حيث كان للملاك الخواص حق الانتفاع باقتطاع الثروة الخشبية ورغم ذلك الا ان الغابات في هذه المناطق كانت

---

<sup>1</sup> ارشيف المكتبة الوطنية بالحامة المجموعة 1903

<sup>2</sup> ANOM ;F80 /441, **Note sur la kabylie Djmilah, ...op cit**

<sup>3</sup> FERAUD CH, **Exploitation** des forets ,p41

<sup>4</sup> ANOM ;F80 /441, **Note sur la kabylie Djmilah ...op cit**

لا تلي سوى حاجيات بسيطة للعائلات القليلة التي كانت تقطنها الشاوية في الحضنة الشرقية حيث تمتد المرتفعات،<sup>1</sup>

ومن التطورات البارزة في نهاية العهد العثاني تآثر نشاط استخراج وتحويل الثروة الخشبية بأعمال التلف في غابات جيجل وبجاية وقد تم شحن أخشابها إلى ترسانة السفن بالجزائر بأمر من شيوخ القبائل المتعاونين مع الحكام مقابل امتيازات عديدة تحصلوا عليها، وقد كان هذا التعاون بين عائلة المقراني وسلطة البايات بالمدن الساحلية وفق نظام الكراسنة<sup>2</sup>

كما أن تراجع قطع الأسطول الجزائري وتراجع صناعة السفن الحربية انعكس سلبا على مصلحة الكراسنة وكمية الأخشاب المستخرجة من بجاية وجيجل<sup>3</sup>

وكذلك ازدياد الطلب اليومي على الأخشاب وأهميته بالنسبة لحياة الجنود ولوزامهم فقد كانت النوبات العسكرية لها نصيب من الحطب للتدفئة ولأغراضها الأخرى وفي بعض الأحيان تقع خلافات حول نصيب الجنود وهذا ما نستنتجه من إحدى الوثائق وهي رسالة من الحاج أحمد باي إلى الداوي حسين بتاريخ 19 محرم 1244 هـ الموافق لـ 31 جويلية 1829، حول خلاف وقع لقائد نوبة عناية المدعو عشمي باشا حول مسألة الحطب المخصص للنوبة<sup>4</sup>

كما أثر نشاط الشركات الأجنبية الفرنسية والإنجليزية في تقليص مساحتها وذلك بقطع أشجار الكروش والزاب مقابل مبالغ مالية مع حكومة الجزائر فقد استطاع الإنجليز الحصول على امتياز قطع الأشجار الجيدة سنة 1817، مقابل أتاوة سنوية قدرت بـ 200 ألف فرنك<sup>5</sup>

---

<sup>1</sup> JEAN Depois, **Le Hodna**,...op cit ,p293

<sup>2</sup> سعيدوني، نصر الدين، الجزائر في التاريخ، ص ص 59-60

<sup>3</sup> اسمهان لعربي، الحياة الاقتصادية، ص 224

<sup>4</sup> أرشيف المكتبة الوطنية بالحامة، المجموعة 1642

<sup>5</sup> سعيدوني نصر الدين، الجزائر في التاريخ، ص 60

وهذا ما أدى الى تقلص مساحة الغابات وانعكس أكثر بعدما سقطت قسنطينة حيث بدأ الاهتمام الفرنسي الكبير بالثروة وقد جاء في تقرير حول القالة: "،،،، هذه البلاد يجب احتلالها من اجل استغلال حطب الغابات، ... كانت البلاد غنية بالغابات والنوعية الجيدة للخشب..."<sup>1</sup>.

**صناعة الملح:** لقد كانت صناعة الملح أكثر الصناعات انتشارا، وخاصة عملية جمع الملح التي كانت أيضا من الأنشطة المكتملة التي تقوم بها العائلات والاسر الفقيرة وعلى الاقل بالنسبة للدواوير الصغيرة مثل ملح جبل ملاح الاوطاية وملح جبل متليلي وملح السبخة وكانت العائلات الفقيرة لاقليم الصحاري واولاد سحنون لها حق الاستغلال وحق البحث عن الملح في جبل متليلي الذي يحتوي في طبقاته التي تعود الى العصر الميوسين، وكان الملح يحمل على الجمال للبيع بين فترة نوفمبر الى جانفي، حيث يتم جمعه على النخيل في واحات الزيبان، وكان يتم نقله الى المناطق التلية مرورا بالقبائل الصغرى ويصل الى خنشلة وقد كان ملح السبخة هو الأكثر استغلالا وتنتفع به الاسر الفقيرة الى غاية الفترة الاستعمارية حيث صدر قانون 22 أكتوبر 1890 الذي ينص على فرض رسوم على الاستغلال.

كانت الاسر والعائلات الفقيرة في اولاد سحنون بدوار متكاول والزاوي باقليم الحضنة تستقبل الملح وتقوم بالحفاظ عليه عند تخزينه ونقله وقد استفاد المرابطون أيضا من امتياز استغلال الملح في دوار الجرف وكان التسويق نحو المسيلة وبرج بوعريريج ونحو القبائل بجرجة وقد اصبحت مداخيله موردا هاما للقبائل والعائلات الفقيرة التي لا تملك سوى جمل او جملين<sup>2</sup>

كما عرفت مناطق اخرى في انتاجه خاصة جنوب البايك بالصحراء، ورغم توفر هذه المادة الا انها كانت تتعرض لعدة مشاكل خاصة بالتخزين وكيفية الحفاظ عليها، فقد يتعرض المخزون الى الاتلاف في فترات ما وهذا ما نستنتجه من وثيقة ارشيفية عبارة عن رسالة من الحاج عمار بن طازة المركاتي بعناية الى ابراهيم وكيل الخرج في اوائل رمضان 1241هـ الموافق لـ 8-17 افريل 1826، حول التحقيق في مخزن الملح

<sup>1</sup> ANOM,F80/1673 ;Rapport sur la Calle ;Bone 15janvier1839

<sup>2</sup> Jean Depois,Le Hodna,..op cit,p294

الذي ضاع في عنابة وكان ذلك الملح قد ارسل من الجزائر من اجل المحلة، والاتصال بوكيل الجزائر بتونس لشراء حمولة مركب او مركبين من الملح وارسالها الى الجزائر<sup>1</sup>

لقد ساد ايضا نمط العمل الجماعي ضمن ما يسمى بنظام التوزيع من تهيئة الخيام والمنازل وأعمال البناء التي اشتهرت بها العديد من المناطق مثل سكان الاوراس والقبائل والميزابيين وأصبحت مع مرور الوقت تقليد وتراث، و هذا النمط التقليدي المعروف باسم التوزيع التي لها أبعاد اجتماعية وأخلاقية رفيعة المستوى لا تقتصر على فترة معينة بل دورية حسب الظروف العامة، ونظرا لاهميتها فقد أخذت أبعادا أكثر تحضرا ومنها تشجيع التنافس بين الافراد لدى العائلات الشاوية او الامازيغية، وقد حظيت هذه الانشطة باهتمام العديد من المؤلفين الاجانب في دراستهم للحياة الاقتصادية والاجتماعية في الشرق الجزائري ولعل من اهمهم دراسة هانوتو ولوتورنو حول عادات وتقاليد المجتمع القبائلي<sup>2</sup>

من المميزات الخاصة بالنشاط الحرفي في اواخر العهد العثماني في المدن وخاصة في مدينة قسنطينة هو التقسيم المهني للحرف وهذا ما اشار اليه مخطوط مجهول المؤلف حول التنظيمات والتقسيمات الحرفية في قسنطينة قبل الاحتلال واعتمده شارل فيرو من اجل تحديد ابرز التنظيمات الحرفية انذاك<sup>3</sup>، فقد كان يغلب على الصناعة الطابع الحرفي اليدوي وكانت تتميز بالدقة والاتقان وفي قسنطينة وحدها كانت التنظيمات الحرفية التي ذكرها المخطوط عشرون حرفة وعلى راس كل حرفة منها امين يشرف عليها ويراقبها وهو المسؤول المباثر عنها .

هذا التنظيم الحرفي كان محكما يخضع لرقابة الامين العام ونظام ضريبي صارم ولكنه تراجع في نهاية العهد العثماني لتدهور الاوضاع وثقل الضرائب وكان في شكل هرمي على راس كل حرفة هيئة تشرف عليها

<sup>1</sup> ارشيف المكتبة الوطنية بالحامة، المجموعة 1903.

<sup>2</sup> كتاب هانوتو ولوتورنو حول منطقة القبائل عادات وتقاليد ابرز المؤلفات حول انماط مغيشة المنطقة واقتصاده سكانها واعرافهم

<sup>3</sup> L.Charles FERAUD :corporations des métiers ,op cit p452.....

وعلى الجماعات المهنية وكان امين الامناء هو الذي يمك الدفاتر ويقدم الشكاوى للسلطة بصفته معينا ويساعده شيخ البلد والمحتسب ونواب السلطة ويكون الاجتماع عند القاضي<sup>1</sup>

ورغم هذا التنظيم المحكم الا انه تآثر بتطورات سلبية كانت نتيجة لانتشار الفساد والفوضى في اواخر العهد العثماني فاصبحت هذه الوظيفة او المنصب يباع ويشترى حسب المصالح واصبح عاملا من عوامل الفساد، وهذا ما ذكرته المصادر التاريخية وسوف نتعرض له في المبحث الخاص بتطور التجارة، وبالإضافة الى ذلك فقد كان بعض الحرفيين من تونس قد شكلوا جماعات حرفية داخل المدن الجزائرية حيث كان حوالي 23 حرفيا من جربة التونسية قد شكلوا جماعة حرفية في مدينة عنابة ويرأسهم أمين<sup>2</sup>

من ضمن المميزات والتطورات ايضا ان الحرف الرئيسية كانت لها شوارع خاصة حيث عمل البايات على تخصيص كل حرفة بشارع معين ويعرف باسم الحرفة مثل سوق الحديد سوق العزل سوق الحرير سوق السمارين زنقة الصياغة زنقة النحاس، الخ<sup>3</sup> وقد تطابق هذا النموذج تقريبا مع الاحياء الحرفية والاسواق التي كانت موجودة في تونس<sup>4</sup>

ويمكن القول ان هذا التقسيم كان امتدادا للتنظيمات التي عرفتها المدن المغاربية منذ العصور الاسلامية، لان ظاهرة التخصص بالعمل قد برزت ببلاد المغرب بعدما رتب الوالي يزيد بن حاتم المهلبى (في عهد سلطة العباسيين على افريقيا) الاسواق في القيروان وجعل كل صناعة ومهنة في مكانها وسوقا لها وهذا يدل على مدى الاهتمام بالمرفق العام<sup>5</sup>

<sup>1</sup> عائشة عطاس: الحرف والحرفيون، ص 158

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 34.

<sup>3</sup> سعيدوني نصر الدين، الجزائر في التاريخ، ص 61.

<sup>4</sup> AOM ,F80/1672,comerce de tunis

<sup>5</sup> فاطمة بلهوارى، الصناعة في المنظور المغربي بين التنظير والواقع التاريخي، مجلة عصور، ع 6-7 جوان-ديسمبر 2005، ص 244.

وقد كان هناك مبادئ لارساء القواعد العامة لاختيار مواقع الحرف داخل المدينة وخاصة الحرص على التشابه فيما وتسهيل مهمة المشتري وتجنب الضرر الناتج عن بعض الصناعات الملوثة<sup>1</sup>

اما عن تقسيم المهن او الحرف في قسنطينة قبل الاحتلال والذي اشار اليه شارل فيرو فقد سمح بأخذ فكرة واضحة عن ابرز التخصصات حرفية وهي ميزة أساسية ومنها:

النجارين اي صناع الخشب والصنادق والابواب والنوافذ والاتهم تأتي من الصناعة اليدوية اما الحدادين فهم صانعي الصفائح والعربات الحديدية والمحراث، اما السمارين فهم عمال النحاس والالواني والادوات المسطحة المنزلية والكؤوس وكل ما يخص خدمة السوائل،<sup>2</sup> اما القزادرين فهي عامة من تخصص اليهود حيث يصنعون الهياكل التي تكون القباب والاوعية الحديدية، اما الشقماجية فهم صناع الاسلحة وبطاريات البنادق التي تضاف للمدافع الآتية من ايطاليا وانجلترا، اما السرارين فهم يصنعون خشب البنادق والمسدسات، والسمارين اي صانعي المسامير والحديد الخاص باحذية الخيول، ورعاية الخيول المريضة اما السراجين فهم صانعوا الاحذية وحقائب السفر واحزمة حاملات المسدسات واحذية الفرسان وهذه الصناعة كانت لا تخص ابناء العائلات العريقة ولا يجب الاشتغال بها<sup>3</sup>، اما الخرازون فهم الذين يصنعون احذية الرجال والشقمجية يصنعون البشماق ومختلف الاحذية، اما الشبارلية فهم يصنعون احذية النساء، اما الحواكة فهي تختص بها النساء حيث يصنعن الصوف اما الخراطين فيقومون بحفر الخشب والنوافذ والشرفات اما الغراييل فيحضرون مادة القمح اللين لطبق الكسكس،<sup>4</sup> اما البنانيين فهم عمال البناء ومعظمهم من بلاد القبائل والبياضة هم الذين يعملون في الطلاء ويختص بها السود، والكلالون فهم الذين يقومون يخلط الطين ويصنعون الاجر وهي من اختصاص القبائل، اما الكواشة فهم صانعي الخبز، الصوابنية

---

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 245.

<sup>2</sup> ibid ,p452

<sup>3</sup> ibid ,p453

<sup>4</sup> ibid ;p454

وهم صانعو الصابون والحلوانجية اي صانعي الحلوى وهي من تخصص التونسيين والمكاوسية اي صانعي قرون الجواميس والقلايدات والخواام والعليوم<sup>1</sup> ،

ويمكن القول ان هذه الفترة الاخيرة والتطورات الحاصلة قد اثرت سلبا على الصناعة والحرف سواء من حيث الإنتاج او ممارستها او حتى بالنسبة لمردودها أو لتجاريتها ومن اهمها:

ثقل الضرائب التي فرضتها السلطة خاصة منذ نهاية القرن 18م نتيجة لتراجع المداخيل وقد تحمل الحرفيون جزء كبير منها، فقد فرضت عليهم ضرائب مسبقة بغض النظر عن مداخيلهم او امكانيات الحرفي وقد قدرت بحوالي 30 سنتيما شهريا.

تعرض الاسواق الداخلية التي تسوق فيها هذه المنتجات لرسوم مرتفعة فمثلا كان لكل قنطار من الكتان يدفع المشتري رسم يقدر ب25 درهما وقد تبلغ الرسوم عشر ثمن البضاعة مثلما كان في سوق علي خوجة ببلاد القبائل<sup>2</sup>

كما فرضت رسوم على حربي الذهب فقد كان يفرض على كل مثقال 5 دراهم<sup>3</sup>

انخفاض مردود الحرفي: لان الحكام كانوا يحددون سعرها مسبقا وكانت أجورهم زهيدة فمثلا العاملين في الورشات البحرية يدفع للعامل 9ريالات فقط الأسبوع أي 140 الف قرش اسباني في السنة وهذا لا يتلاءم مع شروط العمل القاسية ومخاطر العمل وغلاء المعيشة<sup>4</sup>

المنافسة الخارجية: إن اشتداد المنافسة وعدم القدرة على مواجهتها يعد من ابرز أسباب الافلاس خاصة مع الظروف الدولية السائدة والتطورات التي عرفتها اوربا وانتقالها الى عصر التقنيات وسرعة الانتاج وهذا التحول قد اثر سلبا خاصة في مجال بعض الصناعات التحويلية مثل الحديدية وصناعة السفن.

<sup>1</sup> ibidem

سعيدوني نصر الدين، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المرجع السابق، ص62<sup>2</sup>

نفس المرجع، ص41.<sup>3</sup>

نفس المرجع، ص62.<sup>4</sup>

لقد أصبحت اسواق قسنطينة سوق حقيقية امام البضائع التونسية قبل الاحتلال خاصة في منتوج الشاشية<sup>1</sup> وكادت ان تتوقف ورشاتها نهائيا، إضافة إلى انعدام الحماية الجمركية فقد كانت البضائع الاجنبية تدفع فقط 4% فقط من سعر البضاعة<sup>2</sup> كما كانت تونس ترسل كل سنة سفينة محملة بالاحزمة الحريرية وغيرها<sup>3</sup>.

وسلع اخرى ذات منشا تونسي أهمها القماش والحايك الجربي وقد ذكرت الوثائق انها صدرت حوالي 500 قنطار بارود و50 الف قنطار من الحبال اضافة الى الهدايا المتنوعة<sup>4</sup>، كما يمكن أن نعتبر الاصلاحات التي قام بها حمودة باشا في تونس في المجال الاقتصادي قد أضرت باقتصاد الشرق الجزائري فقد انفتح على الاجانب وجلب العديد من الخبراء في مجالات صناعية متعددة مثل صناعة السفن والأسلحة<sup>5</sup>

احتكار اليهود لعدة قطاعات صناعية خاصة صناعة الحلي الصناعة الذهبية فقد كانوا يشترون ويبيعون الذهب والفضة وخاصة يهود ليفورن<sup>6</sup> والامتيازات التي تحصلت عليها الشركات الاجنبية التي سمح لها استغلال أخشاب وثروات المناطق القريبة منها<sup>7</sup>، ودور الوسطاء والشيوخ والوكلاء في تدهور الإنتاج الصناعي ونقص الثروة ففي كثير من الاحيان يستغل هؤلاء المنصب من اجل زيادة الثروة والنفوذ كما سنرى لاحقا.

---

<sup>1</sup> ANOM F80/1697, **industrie-art et métiers**, op cit

نفس المرجع، ص 63<sup>2</sup>

<sup>3</sup>: فيصل قاسم، الحركة التجارية بين موانئ بلدان المغرب العربي في العهد العثماني... ص 93  
نفسه<sup>4</sup>

انظر إصلاحات حمودة باشا في الفصل الأول الخاص بالتطورات السياسية.<sup>5</sup>

<sup>6</sup> عائشة غطاش، الحرف والحرفيون، ص 289.

<sup>7</sup> AOM, F80/1672/ ; **anciennes possessions Françaises de la Calle**

تأثير الفساد الاخلاقي لأمناء الحرف فقد أصبحت وظيفة الأمين تباع وتشتري وخاضعة للرشاوي<sup>1</sup> مثل باقي الوظائف وتحولت من وظيفة للرقابة الى وسيلة لكسب الثروة والنفوذ.

---

<sup>1</sup> Hoexter Miriam :**taxation et corporations professionnelles en Algériea l'époque turque**, Revue de l'occident musulman de de la méditerranée n36/ 1983 ,pp19-39

المبحث الثالث:

تطور التجارة 1800-1837

المطلب الاول: تطور العملة المتداولة في بايلك الشرق

المطلب الثاني: الاسواق والمبادلات التجارية

المطلب الثالث: العوامل المؤثرة سلبا في التجارة في اواخر العهد العثماني



مثل الدورو الذي يساوي 5,5 فرنك. حيث إستعملت النقود الأجنبية لضرب النقود المحلية، ومن العملات الأوروبية التي كانت متداولة في الجزائر نذكر قرش ليفورنة و تالاري النمسا و الجنية و الريال و الفرنك الفرنسي، لكن أكثر العملات الأوروبية انتشارا هي العملة الإسبانية، و منها قطعة الدبلون 5,40 فرنك و الدوقة و الكرونة و الدورو 5,25 فرنك و القرش و الدولار<sup>1</sup> و القرش المكسيكي و الريال الإسباني و الأسبر الفضي 15 ريال إسباني السيتول الإسباني و الكاتريل الإسباني 86 فرنك. أما العملة الخاصة بالشرق الجزائري فقد كانت تتكون من قطع نحاسية وفضية وذهبية وكانت تضرب في مدينة الجزائر فقط وهذا التنوع في النقود المتداولة منذ أواخر القرن السادس عشر لستمر إلى أواخر العهد العثماني واختلفت حسب قيمتها وكانت العملات النقدية الذهبية هي الأهم وهي السلطاني أو الدينار.<sup>2</sup>

كانت دار السكة تلجأ إلى طرق مختلفة للحصول على الذهب و الفضة إما شراء السبائك الذهبية و الفضية من حربي الصياغة لأنها كانت أكثر انتشارا كما راينا سابقا، كما كانت السلطة تشتريها أيضا من الأهالي، و إما باللجوء الى استخدام جزء من ذهب و فضة الخزينة، التي تعد أكبر ثروة في الخزينة وهي ناتجة في معظمها عن تلك الغنائم التي يستولي عليها الجيش والاسطول خاصة في حروبه الخارجية<sup>3</sup>، وخاصة الغنائم البحرية التي ترجع الى نشاط الاسطول في البحر المتوسط والتي تتكون من السفن والبضائع التي تحتويها<sup>4</sup> او الهدايا والجزية التي يدفعها المسيحيون وهي عبارة عن عائدات اضافية للخزينة<sup>5</sup> و إما عن طريق التجارة الخارجية واستيرادها من السودان الغربي<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> صالح عباد، نفس المرجع، ص 527.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 527.

<sup>3</sup> هذا ما ذهب اليه بعض الكتاب الاجانب ومنهم فوتور دي بارادي ودي غرامون.

<sup>4</sup> Albet DEVOUX **Le registre des prises maritime ,traduction d un document authentique ...p115**

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، المرجع السابق، ص 330.

<sup>6</sup> كان السودان الغربي اهم مصدر لمنطقة شمال افريقيا من خام الذهب قبل تراجع هذه التجارة في نهاية القرن 18م.

وكانت العملة تسك وفقا للمحتوى المعدني الذي يحدد قيمتها والوزن حسب المعيار الرسمي خاصة في عهد السلطان محمود الثاني: 1808-1829 حيث كانت تصدر النقود الذهبية والفضية معا وكانت العملة الذهبية تدعى السلطاني وتساوي اكثر من مثيلاتها<sup>1</sup>.

- إن الدينانير السلطانية التي كانت تسك في الجزائر على وزنها و جودتها و قيمتها إلى غاية القرن 19م، ونظرا لقيمتها العالية من الذهب فقد عرفت ندرة متواصلة وكان التداول بها قليل<sup>2</sup>. ووصل وزنها إلى 3,50 غرام اما شكلها فكان دائريا<sup>3</sup>

- العملة الفضية: كانت العملة الأساسية والاكثر استعمالا في المعاملات التجارية اليومية<sup>4</sup>، اليومية<sup>4</sup>، وكانت الفضة مورد هام لسك العملة وكانت تصنع بإتقان وكانت خليطا صافيا ومحتواها عالي من الفضة و اهمها عملة البوجو والذي كان يدعى بالريال بوجو<sup>5</sup> ويزن 10 غرام، وتعني كلمة بوجو او البوقو اي السك وكانت الاكثر استعمالا ودليل ذلك ما نجده في معظم الوثائق الخاصة بعقود البيع والشراء وباقي المعاملات<sup>6</sup> والقطعة الأكثر استعمالا في الاسواق هي الزوج بوجو بياستر الجزائر حسب الاوربيين ويسميتها العرب دورو الجزائر للتفريق بينها وبين الدورو الاسباني، ومن مميزاتا انها قطعة نقش على الوجه الاول تاريخ صكها ونقش على الوجه الآخر عبارة سلطان البرين وخاقان البحرين السلطان محمد خان غازي نصر<sup>7</sup>، وأول ريال جزائري كان يعادل 1,5 فرنك وبقي على حاله تقريبا الى غاية 1815م ويصك في في القصبة<sup>8</sup>

<sup>1</sup> وليام سبنسر الجزائر في عهد رياس البحر، المصدر السابق، ص 127.

<sup>2</sup> نفس المصدر، ص 127.

<sup>3</sup> وداد بيلامي اليهود والشبكة التجارية في ايالة الجزائر والحوض الغربي للمتوسط، اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة 2017-2018، ص 41

<sup>4</sup> نفس المرجع، ص 43.

<sup>5</sup> وليام سبنسر، ص 128

<sup>6</sup> أنظر نماذج العقود ضمن وثائق المحاكم الشرعية بقسنطينة خاصة ببيع املاك وعقود وميراث، الخ ضمن ارشيف المكتبة الوطنية بالحامة، المجموعة 2316.

<sup>7</sup> وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر ص 128

<sup>8</sup> ANOM ;F80 /1697 .op cit

أما العملات الأخرى فمنها الدرهم وله أقسام وهي نصف درهم و ثلث الدرهم و السدس درهم عبارة عن قطعة نحاسية تدعى الخروبة، و نظرا لفترات الضعف و التقهقر أصبحت الخروبة تساوي 14,50 درهما<sup>1</sup>.

العملة الحسائية : العملة الحسائية هي عملات بسيطة، فالدينار العشرية كانت معروفة، و لكن بعد الانخفاض المتوالي لقيمة الدرهم حل الدينار الحسائي محل الدينار العشري. و هذا الانتقال بدأ منذ تاريخ ماي 1508، . حيث بدأت قيمة البيع بدينانيرفضية عشرية العدد .

وأول ذكر للدينار الحسائي يعود الى نهاية جمادى الثانية 929هـ/ أفريل 1522م.<sup>2</sup>

أما تطور العملة الذهبية اي عملة السلطاني فكان كالاتي:

- في أكتوبر 1595 1 سلطاني: 8000 دينار خمسيني .

- في فيفري 1600 1 سلطاني : 8000 دينار خمسيني .

- في نوفمبر 1617 1 سلطاني : 7000 دينار خمسيني .

وكان اليكو الذهبي (écu) يساوي 4 دينار خمسيني بين 1595- 1596 و العملة الذهبية

الفرنسية كان لها تقريبا نفس قيمة الدينار السلطاني.<sup>3</sup>

وربما تدهور قيمة العملة هذا قد ارتبط بالعوامل السياسية، حيث كانت مدة حكمه

الباشوات في الجزائر قصيرة فحاولوا تهريب الثروة ومنها الذهب و كذلك كانت قيمة الفضة مرتفعة وكان

تصديرها يغود بالفائدة الكبيرة.<sup>4</sup>

خلال القرن السابع عشر اي منذ تاريخ 1620- 1685 هيمن الريال الاسباني وقد أطلق الريال على

القرش الإشبيلي المتكون من 8 ريات، وكان لانتشار الريال الاسباني في الجزائر راجع اساسا الى المداخيل

<sup>1</sup> لمنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 36

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 37.

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 40

<sup>4</sup> نفس المرجع، ص 41.

الناجحة عن عملية افتداء الأسرى والتي كانت من ابرز مداخل الخزينة<sup>1</sup>، وكذلك عائدات المنتوجات المصدرة . وانواع العملات السائدة في التعاملات خلال القرن 17م، تظهر من خلال ما تضمنته الوثائق الجزائرية التي تذكر نوع العملة الغالبة كما يلي:

- في وثائق المحاكم الشرعية كان الدينار الخمسيني هو الأكثر استعمالا ثم حل محله الريال العثماني.

- في سجلات البايلك و الأحباس كانت الحسابات اليومية البسيطة تقيّد بالدارهم و الدنانير الخمسينية.

- في بعض العقود المهمة و الدفاتر التجارية بحسب بالسلطاني و الزياتي أو العملات الأجنبية.<sup>2</sup>

اما المؤلفات الأوروبية خلال القرن 17م تتفق على رواج استخدام الريالات الإسبانية.<sup>3</sup> اما خلال القرن 18م، وبدايات القرن 19م، فكان الريال بوجو الأكثر ذكرا سواء في الوثائق الخاصة ببعض عقود البيع والشراء للثروات والأموال مثل العقود الخاصة ببيع بعض الثروات المنقولة كالذهب والحلي في مدينة قسنطينة<sup>4</sup> أو في المؤلفات المحلية الي تناولت أسعار بعض المواد والمنتجات في بايلك الشرق مثل اسعار الماشية او الابقار او القمح والمنتوجات الاخرى وغرامات المحلات التجارية التي ذكرت في مخطوط قانون اسواق الجزائر<sup>5</sup>، او اسعار القمح والماشية والابقار التي ذكرت في كتابات العنزي سواء كتاب مجاعات قسنطينة و كتاب فريدة منيسة او في الكتابات التي اهتمت بالمداخيل مثل كتاب البير ديفوحيث

<sup>1</sup> محمد بوشنا في الخزينة الجزائرية 1800-1830، ص 24

<sup>2</sup> لمنور مروش، دراسات، المرجع السابق ص 43.

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 44.

<sup>4</sup> انظر جدول عقود مبيعات النساء، يوسف صرهودة، النساء والملكية في مدينة قسنطينة، المرجع السابق، ص 409.

<sup>5</sup> عبد الله متولي الشويهد قانون اسواق الجزائر، تحقيق وتقديم ناصر الدين سعيدوني، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع،

يصف المداخيل في سجل الغنائم بعملة الريال<sup>1</sup> وهذا يبين مدى الاستعمال الواسع في التعاملات بالريال  
بوجود.

### ثانيا: التطورات التي مرت بها العملة في الشرق الجزائري:

لقد مرت العملة بمراحل عرفت خلالها اضطرابات كانت انعكاسا للظروف العامة وفترات عرفت استقرار  
أيضا نتيجة لظروف أخرى ويمكن أن نتتبع التطورات منذ القرن 17 قبل معرفة التطورات الخاصة بالاطار  
الزماني للدراسة وهو بدايات القرن 19م، كما يلي:

فترة اضطراب العملة: 1685-1720: عرفت اضطراب العملة و ظهور وحدة حسابية  
جديدة، حيث ظهرت تسميات أخرى ومنها رياتل دراهم صغار لوحدة حسابية جديدة منذ 1685م،  
و قد اقترن ذلك بتدهور كبير في قيمة الدرهم.

و القطع الوحيدة المسكوكة في الجزائر هي الدرهم و الدينار السلطاني و هي قطعة ذهبية  
جيدة جدا لها نسبة عالية من الذهب و تبلغ قيمتها 6 ليرات فرنسية، و بقيت قيمة السلطاني مستقرة  
تعادل قرشين إسبانيين تقريبا.<sup>2</sup>

و تراجع قيمة الدرهم بعد سك الدراهم النحاسية منذ 1688م بدل الدراهم الفضية.

والجدول الآتي يبين معدل صرف القرش الاشبيلي في الجزائر.<sup>3</sup>

السنة	معدل الصرف
1685	1 قرش اشبيلي = 1,500 ريال دراهم صغار
1692	1 قرش اشبيلي = 2,000 ريال دراهم صغار
1707	1 قرش اشبيلي = 3,000 ريال دراهم صغار
1712	1 قرش اشبيلي = 3,375 ريال دراهم صغار

<sup>1</sup> Albert Devoux, **Le registre des prises maritimes**, ...op cit

<sup>2</sup>. نفس المرجع، ص 46.

<sup>3</sup>. نفس المرجع، ص 47.

1 قرش اشيلي = 3,875 ريال دراهم صغار	1725
-------------------------------------	------

قيمة 1 ريال درهم صغار بالليرات الفرنسية (ليرة ترنوال)<sup>1</sup>

السنة	معدل الصرف
1690	1 درهم صغار = 2,000 ليرة ن
1693	1 درهم صغار = 1,858 ليرة ن
1696	1 درهم صغار = 1,825 ليرة ن
1700	1 درهم صغار = 1,800 ليرة ن
1704	1 درهم صغار = 1,750 ليرة ن
1707	1 درهم صغار = 1,300 ليرة ن
1731	1 درهم صغار = 1,115 ليرة ن

قيمة السلطاني (دينار سلطاني) بالريال دراهم صغار.<sup>2</sup>

السنة	معدل الصرف
1685	1 دينار سلطاني = 3,370 ريال دراهم صغار
1691	1 دينار سلطاني = 4,000 ريال دراهم صغار
1696	1 دينار سلطاني = 4,000 ريال دراهم صغار
1702	1 دينار سلطاني = 4,000 ريال دراهم صغار

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 47 . نقلا عن مراسلات القنصلية الفرنسية بالجزائر مع كاتبة الدولة للبحرية الفرنسية و مع غرفة

التجارة بمرسيليا.

<sup>2</sup> لمنور مروش، المرجع السابق، ص 48.

1دينارسلطاني=6,125 ريال دراهم صغار	1704
1دينارسلطاني=6,750 ريال دراهم صغار	1708
1دينارسلطاني=6,750 ريال دراهم صغار	1712
1دينارسلطاني=8,133 ريال دراهم صغار	1721
1دينارسلطاني=8,500 ريال دراهم صغار	1723

-عملة الصايمة: هي الإسم التركي للدينار الخمسيني: وهي وحدة حسابية تساوي 50درهما

<sup>1</sup> و التي بقيت مستعملة في بعض الدواوين التي كان يشرف عليها الأتراك، لكن 232درهما، و هذا الانتقال من وحدة 50درهما إلى وحدة 232 درهما ارتبط بهبوط قيمة الدرهم.<sup>2</sup>

- تزامن اضطراب العملة مع كثرة الصادرات إلى جنوب اوربا خاصة فرنسا من موانئ الشرق

الجزائري، خاصة صادرات الحبوب بين 1698-1699-1709-1711 و بلغت الصادرات 100ألف حمل مرسيللي و قيمة الحمل بين ريال و نصف و ريالين .

- في 26نوفمبر 1708م كتب الحاكم الإداري لمقاطعة بروفانس إلى كاتب الدولة للبحرية

الفرنسي أنه في عشر سنوات اشترت شركة الباستيون المركز الفرنسي في القالة سلفا بقيمة 3,330,729 ليرة ترنوا و دفعت ضرائب و نفقات مبلغ 430ألف ليرة.<sup>3</sup>

- وفيما بين 1741-1793م أرسلت شركة افريقيا الملكية إلى موانئ الشرق الجزائري

8,765,931قرشا تزن 179,820/50كغ من الفضة أي أن المتوسط السنوي لهذا التدفق على موانئ

الشرق الجزائري بلغ 165,395ريالا وزمها 3392,970كغ.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> وداد بيلامي اليهود والشبكة التجارية...، ص45.

<sup>2</sup> كلمنور مروش، دراسات... المرجع السابق، ص48.

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص43. نقلا عن أرشيف الغرفة التجارية لمرسيليا.

<sup>4</sup> لمنور مروش، المرجع السابق، ص54-55.

### - فترة استقرار العملة: 1720/1730-1815 .

عرفت العملة استقرارا و هي فترة نشط فيها التبادل التجاري الخارجي مع الجزائر، ومن مظاهرها ارتفاع

قيمة العملة حسب هذه المعطيات التي تبين قيمة مختلف النقود بالريال دراهم صغار<sup>1</sup>:

- دينار سلطاني الجزائر = 7,500 ريال دراهم صغار

- السكوين البندقي = 8,250 ريال دراهم صغار

- الكروزادو البرتغالي = 21,000 ريال دراهم صغار

- البستول الإسباني = 13,500 ريال دراهم صغار

- الريال الثماني الاسباني = 3,875 ريال دراهم صغار

- الريال التونسي = 3,500 ريال دراهم صغار

ومنذ 1723. تحددت قيمة السلطاني ب 8,500 ريال دراهم صغار إلى سنتي 1774-1775م

فأصبحت تساوي 9,000 ريال دراهم صغار.<sup>2</sup>

اما عملة الريال بوجو فقد بدأ سكه في نهاية القرن 18 وخاصة في بداية القرن 19م و هو يختلف عن القروش الإسبانية و كانت أكثر انتشارا في التعاملات المختلفة خاصة في الشرق الجزائري كما بينته الوثائق السابقة الخاصة بالعقود.

### - جدول قيمة النقود و أماكن تداولها في بايلك الشرق الجزائري (بتصرف).<sup>3</sup>

الاسم و المكان	القيمة الذاتية	القيمة الرسمية
ريال القالة	4ل.ت. 12.صوردي	5ل.ت.
ريال عنابة	4ل.ت. 2.صوردي	4ل.ت. 10 ص

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص.ص 50-51.

<sup>2</sup> نفسه

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 52

ريال القل	3ل.ت. 18 صوردي	4ل.ت.5ص
ريال قسنطينة	3ل.ت.6صوردي	3ل.ت.18ص9
ريال الجزائر كبير الضرب		(3 رد ص)
ريال الجزائر صغير الضرب		

وكان الريال التونسي عملة فضية تتداول اكثر في هذه المناطق من الشرق الجزائري ومن ضمن عوامل انتشار هو التقارب في القيمة بين الريال الجزائري والريال التونسي<sup>1</sup> والنشاط الاقتصادي التونسي في شمال افريقيا وخاصة مبيعات المواد النسيجية<sup>2</sup> وخاصة اتساع نطاق المعاملات التجارية اليومية مع تونس سواء الحكومية او بين التجار التونسيين الوافدين على اسواق المدن الشرقية الجزائرية و اسواق المناطق الحدودية من كلا الطرفين نظرا للقرب الطبيعي والارتباط الاجتماعي والاقتصادي بين الجهتين، او المعاملات الشخصية المتمثلة في تجارة البايات ومصالحهم في تونس ويظهر ذلك من خلال بعض المراسلات حول بيع مواشي وابقار داخل التراب التونسي وحرصهم على قبض اموالها<sup>3</sup>.

ويتضح من خلال الجدول السابق وجود عملات محلية حسب الجهات وهي تخص المعاملات الداخلية المحدودة، وقد اشارت بعض المراسلات الى وجود تعاملات مالية بعملات محلية منذ نهاية القرن الثامن عشر ومنها المراسلة التي صدرت من صالح باي بتاريخ 16 جانفي 1780 الى قبطان القالة بخصوص ارسال ستة الاف ريال الى القل وطلب ايضا ارسال الدراهم العنابية الى القل ويضيف بقوله: " اما دراهم قسنطينة ما بقاو يجوزون لا في عنابة ولا في القل,,، وحاصلة عنابة ما يجوز فيها سوى الريال العنابي والريال الدور

<sup>1</sup> ANOM,F80/1697.comerce de Tunis a l'intérieure de l'Afrique

<sup>2</sup>Ibid.

<sup>3</sup>يتضمن الارشيف الوطني التونسي السلسلة 223 الملف 384 مراسلات بايات قسنطينة الى حكام تونس حول بعض المصالح المالية والتجارية الخاصة بالبايات,

وان كان عنايين...والريال القسنطيني ما يجوز سوى في قسنطينة"<sup>1</sup>، وكان ريال القالة يزن 23,744 غ، و ريال عنابة21,359 غ و ريال القل 20,564 غ، و ريال الجزائر صغير الضرب16,218 غ.

إن استقرار العملة الحسابية إلى بدايات القرن 19م لا يعني عدم تراجعها نسبيا على المدى الطويل، فالقرش الإسباني يساوي 4,50 ريال دراهم صغار في عشرية سنة 1720م، ثم صار يساوي 5ريال دراهم صغار و بقية قيمته الى سنة 1817م.

اما عملة الموزونة، فهي عملة نحاسية مع قليل من الفضة صغيرة الحجم وخفيفة<sup>2</sup> وهي وحدة حسابية تساوي ثمن 1ريال دراهم صغار أو 29درهما، و توجد العديد منها خلال نهاية القرن 18م و بدايات القرن 19م<sup>3</sup> و قد استمر ضرب هذه القطع في القرن 19م بعيار وزن منخفض مرتبط بتدهور معدل قيمة العملة الجزائرية فألى جانب الريال بوجو كانت قطع 3 موزونة مضروبة في القرن 18م و التي استمر تداولها كانت تصرف بثلاث بوجو في عشرية سنة 1820م و ما بعدها.<sup>4</sup> والموزونة كانت ذات شكل بيضاوي من الفضة حجم صغير<sup>5</sup>

و في بلاد القبائل وجدت قطع فضية قيمتها 0,55دولار و هذا يميزها عن البوجو الذي كانت قيمته 0,35دولار سنة1817-1824م<sup>6</sup>، وفي بداية القرن 19م بدأ سك الريال دورو الجزائري و وزنه ما بين 19-20 غ، يعني ان الدورو ضعف البوجو.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> المراسلة و رقم15، مجموعة الارشيف الوطني رقم1641.

<sup>2</sup> اليهود والشبكة التجارية للمرجع السابق، ص44.

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص57.

<sup>4</sup> نفسه

<sup>5</sup> وليام سنسر، المصدر السابق، ص129.

<sup>6</sup> لمنور مروش، دراسات، نفس المرجع، ص58.

<sup>7</sup> نفسه.

## -تطور العملة ما بين 1815-1830:

لقد تميزت هذه الفترة بانخفاض قيمة الدرهم ووحداته الحسابية، و قد صدر أمر رسمي في محرم 1232هـ/21 نوفمبر - 20 ديسمبر 1816م حول تخفيض العملة بنحو الربع، ثم صدر أمر رسمي في 14 ذي الحجة 1232هـ/26 أكتوبر 1817م بصرف الدورو ب6ريال دراهم صغار، كمحاولة للرجوع الى أوضاع الصرف السابقة مثل صرف القرش الإشبيلي ب5ريال دراهم صغار بدل 7,500 ريال دراهم صغار، ثم استمرت القيمة في الانخفاض و أصبحت قيمة الريال دراهم صغار تعادل 0,90 فرنك في ماي 1818م ثم 0,75 فرنك في جوان 1819م. الريال بوجو الجديد أصبحت قيمته 1,80 فرنك فرنسي، بعدما كان يساوي 3,345 فرنك قبل 1816م.

هذا الانخفاض كان سببه تأثير الأزمة الديمغرافية و الأوبئة و مجاعات 1804-1805م وتأثيرتها اللاحقة، و اندلاع الثورات الشعبية، وأعمال التخريب خاصة سنوات 1817 و1830م، وتراجع مداخيل القرصنة خاصة منذ سنة 1816 كانت نقطة تحول في تاريخ البحرية الجزائرية حيث عرفت اضطرابات اثرت على المداخيل<sup>1</sup>، كما اثرت حملة اللورد اكسموث سلبا على قوة البحرية ومداخيلها بعد فرض إنجلترا لشروطها<sup>2</sup>. ضف الى ذلك تراجع المنتج الزراعي من الحبوب وتراجع الانتاج والاقتصاد وانخفاض القدرة الشرائية<sup>3</sup>.

كما أثرت عمليات التهريب خاصة لعملة الدورو الإسباني خاصة في الشرق الجزائري<sup>4</sup>، و ما يؤكد ذلك ذلك تلك القرارات الرسمية ضد تهريب العملة الذهبية و الفضية فقد جاء في إحدى الرسائل الموثقة

---

<sup>1</sup> Moulay BELAHMISSI Mari,e et marins d'alger 1515-

1830,t3,alger1996,p72

<sup>2</sup> الارشيف الوطني التونسي بالسلسلة 223، الملف 384، العلاقات التونسية الجزائرية رسالة الكومندار الى قنصل تونس بانتصار حملة اللورد اكسموث وفرض شروطها،

<sup>3</sup> ارشيف المكتبة الوطنية بالحامة رسالة احمد باي الى الداى حسين حول تدهور الوضع الاقتصادي بتاريخ 9ربيع

الثاني 1241هـ-11ماي 1825

<sup>4</sup> لمنور مروش المرجع السابق، ص62.

للقنصلية الفرنسية بالجزائر إلى مدير الامتيازات الافريقية بمرسيليا في 5 ديسمبر 1819م ما يلي: " علم  
الداي بوصول كميات كبيرة من السبائك و من العملة الذهبية و الفضية حملتها قافلة قسنطينة بقصد  
ارسالها في سفينة انجليزية إلى ليفورن، فأصدر الداى امر بمعاينة المهربين بالإعدام".<sup>1</sup>  
ومن اجل ايجاد حلول لهذه الصعوبات المالية الناتجة عن الظروف الداخلية والخارجية عمل بعض البايات  
في نهاية العهد العثماني على اصلاح الاوضاع النقدية والمالية و ابرز الاصلاحات كانت في عهد احمد باي  
1826-1837.

### ثالثا: إصلاحات السلطة في مجال العملة:

#### 1- إصلاحات احمد باي النقدية:

كانت السلطة تتدخل بصفة دائمة في تحديد قيمة العملة وتحديد كمية المعادن اللازمة لصنعها او اضافة  
معادن ثمينة واصدار اوامر لتخفيض قيمتها<sup>2</sup>، لكن هذه الاصلاحات كانت في ظل فترات صعبة في تاريخ  
الجزائر فهي فترة حكم الداى حسين منذ 1818م، وقد عرف الشرق الجزائري ثورات و فوضى ناتجة عن  
عمليات القمع، و العديد من البايات لقو حتفهم نظرا لضعفهم و انعدام كفاءاتهم في إدارة البايك، و  
جهلهم المعطيات الدينية، و القبلية و الإقتصادية والمالية للبايك<sup>3</sup>.  
في أول شهر جوان سنة 1820م عيّن الداى حسين الباي إبراهيم الغربي بايا على بايك الشرق في  
مكان أحمد باي المملوك الذي قتل خليفته في حملة تأديبية ضد سلطنة بني جلاب بتوقرت، و قام  
بمهاجمتهم في ماي 1822م، و بعد تعويضه بإبراهيم باي الذي عزل أيضا و عوض بالباي أحمد منماني، و  
خلال السنتين اللتين قضاها على رأس البايك، أصبحت خزينته البايك فارغة و لم يستطع حتى تغطية  
النفقات الضرورية، و خاصة النفقات المتعلقة بتسديد رواتب الجنود الإنكشارية.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 62.

<sup>2</sup> فهيمة رزقي، سكة الجزائر خلال العهد العثماني، ص 63

<sup>3</sup> GAID Moulud, **Chroniques des beys de Constantine** ;p

و في سنة 1826م قام الداى حسين بتعيين أحمد باي الكرغلي بايا على قسنطينة، و الذي كان يعرف جيدا تقاليد و لغة البلد، عين على رأس البايلىك الذي كان يتكون من أربعة قيادات شبه مستقلة، لكنها لا تملك أي سلطة سياسية أو إدارية<sup>1</sup>.

بوصول أحمد باي على رأس إدارة بايلىك الشرق الجزائري عمل على القيام بإصلاحات متعددة حيث قام بإصلاحات إدارية هامة و إقتصادية بزيادة الضرائب و الرسوم الجمركية على البضائع الأجنبية، واصلاحات خاصة في مجال العملة<sup>2</sup>، وقد جاء في رسالة من احمد باي الى الداى حسين بتاريخ 11ذي القعدة 1243الموافق ل24ماي1828م مضمونها اخبار الداى بنقص وزن النقود الذهبية والفضية وقد ابطل بسبب ذلك الصرف في قسنطينة وحول بيع ممتلكات الباى السابق وزوجته<sup>3</sup>

لكن اهم اصلاحاته المالية بدأت بعد سقوط العاصمة سنة 1830من خلال ضرب العملة الذي اصبح في قسنطينة حيث حولت دار الصكة الى قسنطينة واستمرت في اصدار نقود تنقش عليها الحروف الاولى للسلطان محمود الثاني<sup>4</sup>، واصبح الحاج أحمد باي يحمل لقب الباشا فقام بضرب الصكة بنفسه وفي قسنطينة وهذا يعد تطور واصلاحات نقدية جديدة، وقد تزامن ذلك مع تطور التجارة الخارجية حيث تطورت المداخيل إلى خمسة ملايين فرنك، وقام بالإعتماد على مجموعة أغنياء قسنطينة وعلى النشاط التجاري الذي ازداد نشاطه بين البايلىك و العاصمة و مع تونس و الصحراء.

لقد اصبحت اجراءات ضرب العملة امرا ضروريا بالنسبة لاحمد باي من أجل القيام بتحسين الأوضاع الإقتصادية، فقرر مع ديوانه الخاص ضرب العملة لتحقيق الاستقلال الإقتصادي و السياسي التام للبايلىك<sup>5</sup>، ومن أجل ذلك حاول ايجاد مصادر جديدة للموارد حيث إستغل ذهب الصحراء و منجم

---

<sup>1</sup> Abd Eljalil TEMMIMI, **le Beylik de Constantine et Ahmed Bey(1830-1837)** Revue d' histoiremaghrébine,v1, 1978 ,Tunis, p73 .

<sup>2</sup> -ibid, p73

<sup>3</sup> أرشيف المكتبة الوطنية بالحامة، المجموعة1642

<sup>4</sup> وليام سبنسرال جزائر في عهد رياس البحر، المصدر السابق، ص129.

<sup>5</sup> Abd Eljalil TEMMIMI, **le Beylik de Constantine et Ahmed Bey...**,op.cit p74.

الفضة الموجودة في جبال سيدي غريس في الإقليم التابع للحراكتة في شرق البايك لكن هذا المنجم لم يكن يغطي سوى الثلث للقيام بصك عملة البوجو، و قد قام أيضا بتحويل مداخل بعض الغنائم البحرية إلى مصادر مالية من أجل الحصول على الذهب، و بالتالي كانت حركة العملة في الشرق الجزائري تفسر كمحاولة للتقرب و زيادة العلاقات التجارية بين عاصمة البايك و كامل اقليم شرق الجزائر.<sup>1</sup>

ان هذه التطورات الخاصة والمتمثلة في الاصلاحات اعتمدت على ضرب العملة في سنوات 1830-1831-1832-1834 و 1837م، وكانت من النوع العثماني و صنعت ياتقان عالي من الذهب و الفضة و البرونز وكانت تحمل إسم السلطان محمود الثاني الى غاية 1837م، مع حفاظها على الزخرفة والشكل والكتابة التي تحتويها فقد كانت عملة البوجو تحمل نقوشا كتب عليها سلطان البرين وخاقان البحرين السلطان محمود خان عز نصره<sup>2</sup>. وقد ذكر شلوصر ان العملة التي ضربها كانت ذهبية وهي المحبوب السلطاني الذي يساوي 5ريالات ونصف السلطاني يساوي 2.5ريال<sup>3</sup>

وهكذا فقد تطورت قيمة المحبوب الذهبي الذي يعادل 3 بوجو سابقا لترتفع قيمته و أصبحت سنة 1830م تساوي 5 بوجو<sup>4</sup>.

و اصبح الريال بوجو من الفضة سنة 1831م يعادل 1,80فرنك، لكن سنة 1833م عندما نقصت الموارد الأولية الخاصة بصك العملة أدى ذلك إلى تراجع قيمة قيمته.<sup>5</sup>

كانت عملة 1830-1831م برونزية سمكها 15ملم ووزنها 1 غ و عملة 1832م سمكها 18ملم ووزنها 1,70 غ قيمتها 1/8ريال و البرونزية 15 مم ووزنها 1 غ، و عملة 1834م سمكها 31مم ووزنها 13 غ قيمتها 10 ريال و البرونزية منها 13مم، ووزنها 0,60 غ.

---

<sup>1</sup> Abd Eljalil TEMMIMI, le **Beylik de Constantine et Ahmed Bey...**, op.cit p75.

<sup>2</sup> فهيمة رزي:سكة الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص64.

<sup>3</sup> فنديلين شلوصر، قسنطينة في عهد احمد باي، ص88

<sup>4</sup> Abd Eljalil TEMMIMI, le **Beylik de Constantine et Ahmed Bey**

... ;op,cit, p76.

<sup>5</sup> Ibidem., p76.

هذا النوع من العملة ليس له علاقة مع العملة الإسبانية<sup>1</sup>، لكن وضعية البايلك اصبحت اكثر تدهورا بعد احتلال عنابة من قبل الفرنسيين سنة 1832م و غلق مينائها الذي كان من أبرز الموانئ للتجارة الخارجية<sup>2</sup>، ثم ميناء ستورة والشروع في استغلال امكانيات المنطقة و ابرز المنافذ وهذا ما اشارت اليه التقارير عشية الاحتلال، كما تراكمت المشاكل وثل الصعوبات الاقتصادية التي واجهت الباي خاصة مشاكل الثورات والتحرير عليها التي اثرت سلبا بدورها حيث جاء في احدى رسائل الحاج احمد باي الى ابراهيم خزناجي بخصوص اغا الدائرة ابو زيان الذي سرق جزءا كبيرا من المطالب التي جمعها من الرعية وبعد معاقبته فر وقام بالتحالف مع شيوخ بعض القبائل لاثارة الفتن ورفض بعض القبائل دفع الضرائب<sup>3</sup> و قد اقرت الهيئات الفرنسية بحجم الصعوبات والمشاكل الاقتصادية و الإدارية و القبيلية ضد الباي (الإنتفاضات) و التي كانت تقف عائقا أمام مواجهة الأوبئة التي عرفتها قسنطينة.<sup>4</sup>

## 2- تقييم الاصلاحات النقدية:

إن الاعتماد على سياسة نقدية لعملة مزدوجة كان بسبب الصعوبات الاقتصادية والتاثيرات الجغرافية المتعلقة بضرب العملة ففي هذه الفترة مع ضعف الصناعة لم يكن بالامكان صناعة او ضرب النقود بنفس المقدار، او توفيرها في كامل الاقاليم ولهذا كان الاعتماد على العملات المحلية الى جانب العملات الاجنبية في المعاملات اضافة الى قوة العملات الأجنبية التي تميزت بالجودة والثبات مقابل النقود التي تعرضت للتزوير<sup>5</sup>، وهذه العملات المزورة استمر التعامل بها واستخدامها رغم العقوبات القاسية ضد المزورين فقد ذكر شلوصر انه رأى امرأتان قبائليتان وصلتا الى مدينة قسنطينة لشراء بعض البضائع فاحضرا معها نقودا مزيفة فقطعت يدهما وطيف بهما في المدينة وحول عنقهما حبل ثم اطلق صراحهما<sup>6</sup>، وبالإضافة الى عامل القرصنة الذي ادى الى دخول العملات الاجنبية بقوة وخاصة الريال الاسباني والدورو الاسباني وكذلك

<sup>1</sup> Ibid., p77.

<sup>2</sup> Ibidem, p77.

<sup>3</sup> ارشيف المكتبة الوطنية بالحامة، المجموعة 1242.

<sup>4</sup> Ibidem, p77.

<sup>5</sup> فهيمة رزقي، سكة الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص54-56.

<sup>6</sup> فانديلين شلوصر، قسنطينة ايام احمد باي، المرجع السابق، ص82.

عامل تطور تجارة الاسرى والافتداء ونمو العلاقات مع اوربا<sup>1</sup>، لكن رغم ذلك لم تكن هذه السياسة ناجحة وحتى الاصلاحات كانت فاشلة وربما تأخرت كثيرا بعدما مس الضعف جميع المجالات.

إن إعلان أحمد باي عن إصلاحات جبائية ركزت على تثبيت العشور كقاعدة ضريبية على الدخل و زيادة ضريبة الحكور التي رفعها الباي إلى 35 فرنك، و رغم ذلك بقيت الإصلاحات الجبائية شكلية و لم تؤثر في الإقتصاد، كما ان الضعف الفلاحي والفساد قد اثر سلبا فقد جاء في احدى رسائل احمد باي الى الداى حسين بتاريخ 11 ذي القعدة 1243 هالموافق ل24 ماي 1828 مضمونها عجز بعض القبائل مثل اولاد مقران من دفع كل الغرامات المفروضة عليهم واكتفائهم بدفع جزء فقط بسبب الجراد وقلة مردود اراضيهم<sup>2</sup> وفي رسالة اخرى بتاريخ 16 ذي الحجة 1244 هالموافق ل31 جويلية 1829 م، مضمونها اخبار الداى عن عملية جمع ضريبي الجابري والعشر على المنتجات الزراعية وقيام قائد الجابري والعشر باختلاس ما جمعه من الضرائب والتحقيق في ذلك<sup>3</sup> وهذا سيؤثر سلبا .

كذلك الإصلاحات النقدية التي أثرت كثيرا، فقد عرف النقد من 1832 إلى 1837 م حالة عدم الاستقرار بعدما قام أحمد باي بإصلاح نقدي حيث ضرب عملة الريال بوجو الذي يعادل 1,80 فرنك و ضرب أرباع الكادرولين واستغلت المناجم، لكن أدى ذلك إلى عدم الاستقرار.<sup>4</sup>

و من عيوب ذلك أن النقد الرديء طرد النقد الجيد، خاصة بعد احتلال عنابة سنة 1832م، حيث استغل المضاربون اليهود الوضع و هربوا كميات كبيرة من النقود الى تونس، حتى فقدت النقود قيمتها سنة 1833م، و هذا ما يعرف بالتضخم النقدي. و أدى ذلك الى انخفاض القدرة الشرائية لدى الفلاحين، ففي سنة 1830م كان الريال = 1,80 فرنك ليصبح 0,93 فرنك بعدها، مما أدى الى إرتفاع

<sup>1</sup> فهيمة رزقي، سكة الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص54-56.

<sup>2</sup> أرشيف المكتبة الوطنية بالحامة، المجموعة 1642.

<sup>3</sup> أرشيف المكتبة الوطنية بالحامة، المجموعة 1642.

<sup>4</sup> فهيمة رزقي سكة الجزائر، المرجع السابق، ص 69.

الأسعار خاصة القمح، و أرغمت الفئات الدنيا على العيش على الكفاف، و انقطعت العلاقات التجارية بين عنابة و قسنطينة و المدن الكبرى، خاصة مع تأثير عمليات قمع القبائل.<sup>1</sup>

ورغم ذلك فقد استمر تواجد هذه العملات لفترات متأخرة ففي رسالة مؤرخة في سنة 1837م حول وصف قسنطينة والحالة المالية مرسلت الى المارشال فالي<sup>2</sup> تضمنت جدولا حول العملات الموجودة وما يقابلها من الفرنك الفرنسي حيث ذكرت العملات الآتية وقيمتها مقارنة بالفرنك الفرنسي :

-الدورو او الزوج بوجو الجزائري ويقابله بالفرنك 3.72 فرنك

-الريال بوجو الجزائري ويقابله 1.86 فرنك

-الرويبا الجزائرية ويقابلها 0.46 فرنك

-الامين الجزائري ويقابله 0.22 فرنك

-الريال القسنطيني ويقابله 0.93 فرنك

-الامين القسنطيني ويقابله 1.1 فرنك

وتضيف المرسلت ان العملة التي كانت الاقوى هي الدورو الاسباني الذي يعادل 5.58 فرنك

والهالي النمساوي الذي يقابله 5.25 فرنك<sup>3</sup>. وهذا يدل من جهة اخرى على ارتفاع قيمة العملات الاجنبية.

ومن العوامل التي اثرت سلبا في ندرة العملة في الشرق الجزائري:

قلة المعادن والمناجم وكذلك منافسة العملات الاجنبية وتضرر سمعتها نتيجة لانتشار العملات المغشو والمزورة والتي تسربت الى المدن خاصة عبر جبال جرجرة في قرنتي رغم ان سكانها كانوا على دراية فائقة بالصناعات الحديدية لتوفر المعادن في تلك الجهات<sup>4</sup>، وفي هذا الصدد قال حمدان خوجة مشيرا الى ظاهرة

<sup>1</sup> نفسه، ص 70.

<sup>2</sup> ;AMG,1H194 **Tarif ANOMparatif de la valeur réciproque des monnaies du Bijou d'alger et des monnaies de France**

<sup>3</sup> AMG,1H194 ;op cit

<sup>4</sup> فهيمة رزقي، **سكة الجزائر في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 66

تقليد وتزوير العملة: "ان جبال فليسة وزواوة وبني عباس ووادي بجاية وبني جنات، يوجد في هذه القرى مشاغل تصنع فيها النقود المزيفة فالاهالي ذو مهارة ومقدرة فائقة في نقش المعادن وتقليد جميع النقود مثل نقود الجزائر وقروش اسبانيا ولو انهم اتصلوا بالجيش الفرنسي فانهم لن يترددوا في تقليده..."<sup>1</sup> وكان هؤلاء المزورون يوكلون صرف نقودهم المزورة في الاسواق الداخلية الى تجار قبائل مجاورة حتى لا يكتشف امرهم وتسمى النقود المزورة كذلك بالمزبقة نظرا لكونها تذاب مع الفضة والزئبق ولهذا فضل سكان الأرياف التعامل بالمقايضة على ان يتعاملوا مع عملة مشكوك في صحتها، وهذا قد اثر سلبا في نقص العملة ونقص التعامل بها من جهة اخرى.

ولهذا سعت السلطة الى اصلاحات نقدية لان صورة العملة قد تعكس صورة الدولة وصك عملة محلية في عهد احمد باي ربما كان الهدف منه تأكيد شرعية دولته او سلطته لكن هذه الفترة الاخيرة وتأثير كانت صعبة خاصة تداخل العملات الاجنبية والمحلية ونقص الموارد خاصة الذهب الذي انقطع منذ نهاية القرن 18م، كما راينا سابقا والذي كانت تستورده الجزائر ولجوء الحكام الى مخزون الخزينة من الذهب مع عدم البحث عن البديل، ورغم مداخيل القرصنة الا انها لم تستغل مواردها وهذا راجع الى ذهنية الاكتناز التي غلبت على الحكام الاتراك بصفة عامة ضف الى ذلك تلاعب التجار اليهود واستنزاف خيرات البلاد.

### المطلب الثاني: تطور الاسواق والمبادلات التجارية في بايلك الشرق 1800-1837:

لقد عرف بايلك الشرق الجزائري في نهاية العهد العثماني تطور وميزات مست مجال التجارة والاسواق وكانت انعكاسا لنشاط الفلاحة والصناعة خاصة الحرفية ولدراسة الاسواق والمبادلات التجارية في اقليم شاسع له حدود برية ومائية هامة على غرار بايلك الشرق يتطلب الامام بمعطيات متعددة اثرت على حركة الاسواق وتوزيعها، وعلى المبادلات التجارية وقد ساهمت عوامل مختلفة خاصة الاقتصادية وبمحكم طول الحدود الشرقية خاصة مع ايالة تونس وبمحكم طبيعة العلاقات الثنائية وتداخل المصالح، وايضا عوامل انفتاح ايالة الجزائر امام الامتيازات الاجنبية والتي اثرت في حركة التجارة ايجابا وسلبا، كما خضعت

<sup>1</sup> حمدان خوجة، المرأة، ص 67.

الاسواق لتنظيمات خاصة بهدف مراقبتها وضمان مداخيل للسلطة اضافة وبالرغم من ان النشاط التجاري لم يكن اكثر اهمية من النشاط الحرفي في بايلك الشرق الا انه عرف حركية واسعة وتطورات هامة.

اولا: العوامل المتحكمة في تطور تجارة بايلك الشرق الجزائري

### الموقع والحدود الطبيعية:

لقد كان الموقع والحدود وامتداد المساحة ابرز العوامل المتحكمة في التجارة سواء الداخلية او الخارجية وهذا نظرا لان بايلك الشرق هو اكبر البايليكات امتدادا، وهذا الامتداد والمساحة الواسعة وتعدد القبائل وكثرة السكان واحتواءه على مدن هامة لها علاقات تجارية<sup>1</sup> قد ساهم في تنوع نطاق المبادلات التجارية بين الشرق والغرب والشمال والجنوب كما ساهم خاصة في تنوع مبادلات مع الخارج خاصة مع تونس نظرا لتاثير عامل الحدود المشتركة وتواجد التخوم الحدودية والقبائل التي لعبت دورا هاما في المبادلات اليومية خاصة قبائل الحنانشة التي تحكم شيخها في الطريق المؤدي الى تونس<sup>2</sup>، و اعتبرت من أحد العوامل التي ساهمت في ظهور العديد من الطرق الرئيسية والمسالك التجارية.

عامل الحدود وتشابه الاقاليم ففي الجهة الجنوبية المحادية لتونس مثل اقليم توزر و اقليم الجريد وهي اقاليم تتميز بمظاهر طبيعية ووسط قروي مشترك مع بعض المطاهر في مناطق بالجزائر خاصة في قرى قفصة وهي مناطق شبه صحراوية وتعد همزة وصل بينها وبين الجبال الغربية اي حدود الجزائر الشرقية<sup>3</sup>، وهذه المناطق

---

<sup>1</sup> AOM F89/1672, **Expédition de Constantine, description physique**

<sup>2</sup> ROZETE et CARRETE **Mœurs et coutumes** .....p60.

<sup>3</sup> رابع فيسة مُجد المظاهر العمرانية بين القرى الواحية بتونس والقرى الريفية بالجزائر-دراسة مقارنة-مجلة القرطاس،

ع2، 2015، ص284.

تتشابه مع وادي سوف من حيث الخصائص الطبيعية والنشاط البشري، وكانت حدود الجنوب الجزائري التونسي هي الأخرى محل نزاع بين سكان المنطقة وحسب شارل فيرو ان سكان واد سوف اعتبروا المناطق الحدودية ملكا لهم<sup>1</sup>، ضف الى ذلك اهمية منطقة سوف وحدودها مع اقليم تونس وسهولة التواصل وعامل التشابه بين اقليم الواحات بسوف مع اقليم توزر والجريد يتونس الذي يعد اقليم طبيعي واقتصادي هام مقصدا للتجار ويحتوي على مواصفات طبيعية واقتصادية شبيهة بمنطقة سوف بالجزائر<sup>2</sup> وفي الشمال القبائل الحدودية خاصة قبيلة الحنانشة ودورها في المبادلات مع القبائل الحدودية التونسية كما اشرنا سابقا، ولهذا يمكن القول ان تداخل وامتداد الحدود من أهم العوامل التي أثرت على العلاقات بين الشرق الجزائري والغرب التونسي واصبحت مظهر للسيادة وصارت الحدود تلعب دورا اقتصاديا وتجاريا هاما خاصة بين سكان القبائل الحدودية.

**المسالك و الطرق الرئيسية عامل لنشاط تجارة بايلك الشرق الجزائري :** لقد ساهمت الطرق والمسالك بدرجة كبيرة في النشاط التجاري الداخلي والخارجي للبايلك وقد كان بعضها داخلي والآخر خارجي وساهمت في ربط عاصمة البايلك من جهة بالاقليم الاهري الداخلية ومن جهة اخرى ربك المناطق التابعة لبايلك الشرق بالعالم الخارجي وكان اهمها:

الطرق الخارجية: هي الطرق التي ربطت اقليم البايلك بتونس وليبيا والسودان الغربي وحتى المغرب وهي:

---

<sup>1</sup> :L.Charles Feraud : **Notes historiques sur la province de Constantine . les Ben Djellab ...op cit p 361.**

<sup>2</sup> Abd Hamid HNIA **Le Djried et ses rapports avec le Beylick de tunis 1676-1800**, in revue de l'occident musulman et de la méditerranée ,N36 ,1981,p176/

-الطرق الصحراوية:

طريق غدامس الى تمبكتو ويمر بتونس

-طريق واد سوف غدامس ويمر ببلاد التوارق ومسافة سيره160 ساعة، وطريق ورقلة

غدامس، اما الطرق الرئيسية العابرة للبلدان فهي:

قفصة بتونس الى الفقيه بالمغرب مرورا ببسكرة ومرورا بالاغواط ثم اولاد سيدي الشيخ غربا

تونس الى فاس مرورا بالكاف قسنطينة سطيف حمزة المدية الجزائر مليانة الشبف وهران تلمسان وهران<sup>1</sup>

الطريق الصحراوي الجزائر تمبكتو مرورا للمساعدة الاغواط غرداية القليعة<sup>2</sup>

هذه الطرق التي أثرت بشكل كبير على ازدهار العلاقات بين الطرفين خاصة العلاقات التجارية.

وكانت الطرق التجارية الى تونس هي الاكثر نشاطا وخاصة الطرق الذي يبدأ من قسنطينة متوجها نحو

تونس عبر الحدود الشرقية حيث يجتاز عدة قرى تجوبها القوافل التجارية لينتهي باجتياز منطقة سوق أهراس

ايضا مجازر عمار بقالملة لتصل إلى مدينة الكاف ومن ثم إلى تونس وكان من اسهل الطرق التجارية الحدودية

ونشاط القوافل العابره عليه حيث قدر المتوسط ب حوالي ثلاثمائة قافلة تمر عليه حاملة معها العديد من

المنتجات<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> AOM ;F89/1672.description de Constantine

<sup>2</sup> ibid

<sup>3</sup> محمد العربي، التجارة الخارجية،، المرجع السابق، ص

اما طريق قفصة نفطة فهو طريق تجاري هام تسلكه القوافل الصحراوية و يبدأ هذا الطريق من وادي سوف الوادي ليتجه إلى محطة قمار ثم يتفرع الى اتجاهين: الاتجاه الاول وهو طريق نحو مدينة نفطه والاتجاه الثاني نحو قرية فون ثم يسلك تجار القوافل نفس الطريق المتجه الى مدينة قفصه،

اما طريق نفطة وغدامس فهو من ابرز الطرق الطويلة التي تسلكها القوافل التجارية حيث يسلكه تجار القوافل بمنطقة توقرت ليتجهوا نحو الشمال مرورا بمنطقة الفيض حيث تلتقي القوافل مع قافلة بسكرة ليتجه الجميع نحو الجنوب الشرقي إلى كونين ومنه الاتجاه الأول نحو مدينة نفطة مباشرة والاتجاه الثاني نحو سوق غدامس.<sup>1</sup>

اضافة الى الطرق الطويلة والتي يقصدها تجار القوافل العابرة للصحراء نحو الجنوب الى تمبكتو وهذا الطريق الذي كان ينطلق من بوسعادة وصولا الى تمبكتو ويعد من ابرز الطرق<sup>2</sup>

هذا اضافة الى دور القبائل المخزنية التي تحصلت على امتياز مراقبة الابراج ومراقبة اهم الطرق التجارية وتأمينها مثل قبيلة لحناشة التي كانت تراقب الطريق المؤدي الى تونس، وقبيلة الحشم في برج بوعريرج التي كانت تشرف على الطريق الرابط بين قسنطينة والجزائر ومخزن بوصول الذي كان يراقب سوق العثمانية جنوب قسنطينة ومخزن الزمول الذي كان يشرف على شمال بسكرة<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية، المرجع السابق، ص162

<sup>2</sup> AMG ;GR 1H236 ;Routes merittiennes.

<sup>3</sup> حميدة عميراي: قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر 2005، ص 125، 126.

وقد عرضت بعض الوثائق الارشيفية اهمية بعض المسالك والطرق الداخلية والجنوبية والحدودية والمحطات التي كان يسلكها تجار القوافل التجارية ومسافات السير وهذا قد ساهم في نشاط التجارة الداخلية والخارجية وهذا ما تبينه الجداول الاتية:

الجدول الاول: مسالك بسكرة توقرت<sup>1</sup>

الاتجاه	مسافة السير بالساعات
تبسة الى الكاف	21 ساعة
تبسة الى تيفاش	27 ساعة
توقرت الى الاغواط	74 ساعة
غرداية الى توقرت	35 ساعة
غرداية الى الاغواط	62 ساعة
غرداية الى بوسعادة	115 ساعة
غرداية الى الغرارة	18 ساعة
ورقلة الى توقرت	35 ساعة
ورقلة الى الغرارة	24 ساعة
ورقلة الى الاغواط	94 ساعة
ورقلة الى غرداية	42 ساعة

<sup>1</sup> AMG ;1H236,Distance dont le détail se trouve dans le volume de CapCarrette,Iteneraire Biskra–Tougurt

15 ساعة	بوسعادة الى المسيلة
26 ساعة	بوسعادة الى نوغة
63 ساعة	الاغواط الى بوسعادة

الجدول الثاني: الطرق الرابطة بين قسنطينة وبعض مناطق الشرق الجزائري<sup>1</sup>

1- طريق قسنطينة الى القل عن طريق:
قسنطينة بوزلمة
قسنطينة بني وليان
قسنطينة بن براهيم
الكل 16 ساعة
2- طريق قسنطينة سكيكدة عن طريق:
قسنطينة واد خروش
قسنطينة واد زفراف
الكل 17 ساعة

<sup>1</sup> AOM F80/1672. **Expédition de constantine 1837. description de Constantine**

3- طريق قسنطينة الى بونة عن طريق واد صقصاب وستورة

الكل 31 ساعة

### 3- دور الامتيازات الاوربية وشركاتها في السواحل الشرقية:

#### الشركة الملكية الإفريقية

تأسست الشركة بتاريخ 22 فيفري 1741 بظهير ملكي ومن اهدافها السعي لمنع الإنجليز من التسلل الى السواحل الشرقية التي تعتبر اكبر مخزن للحبوب<sup>1</sup> وتصدير أكثر كمية من الحبوب من الشرق الجزائري إلى مرسيليا كما كان صيد المرجان يحقق لها اكبر الارباح وهو سبب الاستقرار بسواحل القالة<sup>2</sup>. ومن مؤسساتها:

الحصن الفرنسي شرق مدينة عنابة وكان لعنابة جميع العمليات التجارية التي تتم مع ميناء ستورة وكان ميناء عنابة يصدر عشرون الف حمولة قمح كل سنة.

مركز صيد المرجان بالقالة وقد اصبحت القالة مقرا رئيسيا لتجارة الاصواف والجلود والشموع وكانت موانئها تدفع لمرسيليا حمولة 60 الى 70 الف حمولة ثم ارتفعت الى 90 الف حمولة قمحا و 60 الف حمولة شعير وكان اهتمام الاهالي كبيرا بالفلاحة وهذا ما شجع المؤسسة على البقاء الى جانب استغلال المرجان وتحقيق ارباحا طائلة

<sup>1</sup> محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية، المرجع السابق، ص 196

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 197.

لها ممثل وهو وكيل تجاري يشتري الحبوب ويحدد سعرها مع الباي وكان يزور الباي في قسنطينة ليقدم له الهدايا.

-مركز القل: أنشأ بها مركز لشراء الجلود والشموع وكان اقل شانا لان وكيله التجاري كان يعيش في وسط الاهالي ويحرمون عليه وعلى اعوانه الخروج الا وقت البيع والشراء,, كما سمحت الامتيازات بنشاط الشركات التي تحصلت على استغلال الامتيازات في الجزائر لصيد المرجان وتصدير الحبوب والمواد الخام مقابل إتاوات سنوية تدفعها للجزائر وهذه الشركات بالرغم من الاحتكار الذي مارسته الا انها ساهمت في النشاط التجاري سواء عن طريق التصدير او تعاملاتها مع السكان ,

#### -المؤسسات الاقتصادية:

**الوكالة الإفريقية:** تأسست الوكالة بمقتضى قرار أصدرته لجنة السلامة العامة يوم 7 فيفري 1794 اما تنظيمها النهائي كان بتاريخ 11 مارس 1794 فقامت هذه الوكالة بالإبقاء على هياكل الشركة القديمة كما اتسمت بداية عالم 1794 بعدم الاستقرار الكامل ومطاردة كبار التجار والمالكين وإعدامهم هذا ما دفع الطبقة المحتكرة لوسائل النقل إلى الهجرة<sup>1</sup> مما دفع بالحكومة رفض الاقتراحات التي تقدمت بها الوكالة لشراء سفن تسع حمولة أكبر فيما بعد أصبحت الوكالة تابعة للدولة ودليل ذلك نرى بأن الدولة هي من تشرف على مؤسسات الشركة كذلك إصدار القرارات المتعلقة بتوجيه الإداريين على عكس ما قامت به الشركة الملكية الإفريقية التي كانت تمول كبار التجار في كل من باريس ومرسيليا شهدت الوكالة الإفريقية صعوبات ومشاكل تمثلت في عدم القدرة على الوفاء والالتزام واحتكارها أولاً ولعدم توفر المال ثانياً، والدليل على نشاط هذه الشركات ونشأك الامتيازات الاجنبية تلك المراسلات التي كانت ما بين

<sup>1</sup>-مُجَّد العربي الزبيرى, التجارة الخارجية,, المرجع السابق، ص ص208-209.

البايات ووكلاء هذه الشركات ومنها الباستيون المخفوظة في المجموعة رقم 1641، ومنها مراسلة الباي حسين ولد صالح باي سنة 1806 الى قنصل الباستيون<sup>1</sup>، اضافة الى المراسلة التي بعثها الى قنصل القالة والتي تبين الحرص الشديد على حرية نشاط الاجانب وضمان سلامتهم ومضمونها الخلاف مع اهالي القل الذين تعدوا على احد الاجانب وان الباي قد بعث الى قائد البوني واكد على اوقيف هذه الافعال وان ينهي الناس والتعهد بمعاقتهم اذا استمروا في ذلك كما<sup>2</sup> والمراسات التي بينت نشاط الباستيون وحددت نشاط الوكلاء الاجانب والحرص على التعامل مع الاجانب بشروط ومنها مراسلة احمد باي الى بيروت قبطان الباستيون حول وصول بعض الاغراض التي طلبها منه،

وتضيف المراسلة ان دور الباستيون المراقبة والخدمة مقابل الحرمة والسلام<sup>3</sup>.

هذه المؤسسات عرفت في بدايات القرن التاسع عشر العديد من التطورات فقد تعرض المركز التجاري الفرنسي بالقالة للتخريب سنة 1802، واعتقل ممثله الفرنسي وتم تخريب ايضا مركز الشراكة الافريقية بالقالة وقد استمر الوضع هكذا حتى ابرمت معاهدة سلم بين الداى مصطفى وديبوا تانفيل سنة 1802، وفي سنة 1905، قطعت العلاقات مع فرنسا ومنح مركز القالة للانجليز ليستغلوا خلاله ثروة المرجان فتاثر سكان المنطقة لانهم تعودوا على التعامل مع الفرنسيين وكان تجارتهم اكثر حيوية<sup>4</sup>. ورغم نشاطها ومساهمتها في التجارة الا انها كانت من اهم الاسباب والعوامل المؤثرة سلبا على الاقتصاد والتجارة وتسببت ايضا في تطورات سياسية خطيرة وقد نشطت اكثر هذه الشركات خاصة الفرنسية بعد طرد الانجليز واستعادة فرنسا

---

<sup>1</sup> المجموعة رقم 1641

<sup>2</sup> المراسلة رقم 42، المجموعة 1641

<sup>3</sup> المراسلة رقم 38 دون تاريخ، المجموعة 1641.

<sup>4</sup> VAYSSTETTE.E, *histoire de Constantine* ....op cit,p479

لنفوذها بعد مجموعة من المعاهدات والتعهدات مع داي الجزائر<sup>1</sup>، وازداد الاهتمام الفرنسي بمؤسساتها وشركاتها في الساحل الشمالي الشرقي وهذا ما أكد عليه تقرير الى المارشال SAULT، وزير الحربية في 22 جانفي 1831 بخصوص اهمية تواجد هذه الشركات الفرنسية في عدة مناطق على الحدود مع تونس لاستغلال السواحل الشرقية واماكن انتاج الحبوب والجلود والحرير وباقي المنتوجات الفلاحية وخاصة استغلال المرجان وتوفير كل المواد الضرورية لاقتصاد فرنسا.<sup>2</sup>.....

#### 4-وفرة الموارد الطبيعية وتنوع النتاج الزراعي والفلاحي: لقد كانت الموارد الاولية اهم

مورد للتجارة خاصة تجارة الخشب الى عاصمة البايك ودورها في الصناعات الحربية واهميتها بالنسبة للسلطة، وكذلك المنتوج الزراعي والفلاحي من اصواف وجلود وشموع واخشاب وخاصة منتج القمح واهمته في صادرات الشرق الجزائري خاصة الى موانئ جنوب اوربا وبالاخص مرسيليا،

#### 5-طبيعة النظام الجمركي: ان النظام الجمركي الذي اعتمده السلطة هو نظام يم يفرض

حماية جمركية على البضائع الاجنبية وهذا قد ساهم الى حد بعيد خاصة في رواج المنتج الاجنبي والذي تضمنه معاهدات حماية الامتيازات، كما كانت سلطة البايات يرون في الهيئات التجارية الاجنبية مصدرا للثروة وكان البايات يتعاطون التجارة فيشترون منتوجات مثل الجلود والاصواف والقمح ثم يعيدون بيعها لسائر المؤسسات الاجنبية بارباح طائلة ويفرضون رسوم على التجار المصدرين والمستوردين<sup>3</sup>، وهذا ما

---

<sup>1</sup> للمزيد انظر اوجان بلانتيث، مراسلات دايات الجزائر مع ملوك فرنسا 1700-1833، ترجمة ججيك الياس وسلامنية بن داود، ج3، الجزائر 2013

<sup>2</sup> AOM,F80/1673 ;Rapport sur la Calle ;Bone 15janvier1839

<sup>3</sup> محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية،، المرجع السابق، ص114.

ساهم في تحقيق ثروة الفئة الحاكمة، اضافة الى مساهمة البايات كقوة حاكمة في التجارة الخارجية خاصة نحو تونس واستغلال الاتفاقيات السابقة التي تفرض على تونس تسويق بعض المنتوجات الاتية من بايلك الشرق الجزائري داخل الاسواق التونسية ومنها الماشية والابقار ومنحها الاولوية منذ فترات طويلة من الزمن الى غاية وصل حمودة باشا في تونس واندلاع حرب 1806.<sup>1</sup> ثم انهاء السيطرة بعد التدخل العثماني، ضف الى ذلك الامتيازات التي منحت للمؤسسات الاجنبية والسماح لها باستغلال المرجان وثورات اخرى واستغلال حتى الاراضي الزراعية القريبة منها والتقرب من شيوخ القبائل واستخدامهم كوسطاء بينهم وبين السكان وهذا ما ساهم في نشاط تجاري استفادت منه خاصة هذه الشركات وكانت له انعكاسات اخرى كما سنرى فيما بعد.

### ثانيا: تطور التجارة الداخلية:

#### 1- معايير تنظيم الاسواق:

لقد اختلفت وتعددت المعايير حيث كان السوق في بادئ الأمر في مركز المدينة ومع مرور الوقت اتسعت السوق وكبرت واحتلت مساحات كبيره من الشوارع الرئيسية للمدينة حيث كانت هذه الأسواق مصدر ضرر وقلق للأحياء السكنية وذلك بسبب حركة الضوضاء والدخان والروائح الكريهة فضلا عن ضرر التكشف الذي يحدث بسبب مقابلة الحوانيت للأبواب والمسكن ومن هذا المنطلق تم وضع تخطيط للمدينة مع مراعاة هذا الجانب وإبعاد الأحياء عن الأسواق. هذا من جهة ومن جهة أخرى شهدت الجزائر عامة وبايلك الشرق خاصة أكثر تنظيما في الأسواق ودليل ذلك المواقع التي أنشأت فيها

---

<sup>1</sup> كانت رغبة حمودة باشا التخلص من قيود هذه الاتفاقيات وكان ذلك ضمن الاصلاحات التي قام بها، انظر الفصل الاول الخاص بالتطورات السياسية



كما خضعت الاسواق في المدن الى هيئات كانت تشرف عليها وتراقبها وهي مسؤولة عن عملها تحت سلطة القاضي وتعتبر هذه الهيئات بمثابة سلطات محلية تمارس وظائف ادارية داخل المدينة وهي بمثابة ادارة الخدمات العامة ايضا داخل المدينة وفحوصها ويسيرها موظفون وهذا النموذج الاداري نجده يتوفر في اسواق مدينة قسنطينة خاصة لانها تجمع كل هذه الوظائف وعلى رأس هذه الهيئات :

### 1- قائد الدار: هذا المنصب الاداري كان في بايلك الشرق وهو بمثابة شيخ البلد بالجزائر،

ويعد من المناصب الهامة داخل المدن خلال العهد العثماني وتوقف عليه العديد من المهام الادارية وحتى السياسية والعسكرية مثل الدفاع عن المدينة، حتى ان السلطة كانت تستشيريه في قضايا هامة ويتمتع بنفوذ ومكانة ولكن مهامه فقط داخل المدينة وتتمثل في جمع الضرائب الحرفية وتدفع فيما بعد للخزينة<sup>1</sup>، والاشراف على جمع مداخيل كراء المحلات وهذه الضرائب التي يجمعها مهنية اي على المحلات والمهن وتدفع الشركات رسوم سنوية وهذه الضرائب ذكرت في التقارير الفرنسية الصادرة بتاريخ 12 جانفي 1831 وفي دفتر التشرifications منذ النصف الثاني للقرن 18م الى فترة الاحتلال الفرنسي<sup>2</sup>

ومن مهامه ايضا حل الخلافات التي تطرأ بين الحرفيين ومراقبة السلع والبضائع، وله مجلس استشاري يضم اعيان وامناء الجماعات الحرفية<sup>3</sup>، و هذا المنصب قد توارثته عائلات معروفة بمكانتها الاجتماعية والدينية مثل عائلة ابن جلول وعائلة بلبليز<sup>4</sup>، واصبح قائد الدار بمثابة نائبا للباي وقد كان يعين ايضا من اقارب

---

<sup>1</sup> AMG H226. **Rapport Rumizate ,organisation de ville de constantine.....1838**

<sup>2</sup> Miriem HOEXTIER : **Taxation et corporation**, op cit ;p19

<sup>3</sup> عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 95

<sup>4</sup> محمد الصالح العنزي، فريدة منبسة، ص ص 88، 114

الباي او اصهاره<sup>1</sup> ويساعده في ذلك مجلس متكون من أشرف وأعيان<sup>2</sup> و كان يتم التشاور بينه وبين الأشرف وأمناء الحرف في كل ما يخص المدينة من أمن واستقرار ومثابة حكومة محلية تشمل شيخ البلد أو الحاكم<sup>3</sup>

ومن التطورات الهامة ان هذا المنصب قد اصبح يحضى بمكانة هامة نظرا لدوره خاصة في جمع الضرائب ودعم الخزينة ودفع الاموال للحاميات العسكرية، وقد كان المحل في مدينة قسنطينة يدفع من نصف الى واحد بوجو في الشهر وحسب الحرفة باعتبار صاحب المحل هو المالك لها لدعم الخزينة وهذه الضرائب كانت ثابتة لا تراعي تقلبات اسعار المواد الخام والبضائع طوال السنة وقد يتحمل الملاك خسائر كبيرة نتيجة هذه التقلبات<sup>4</sup>

## 2-الأمين:

يمثل الأمين ادارة الجماعات الحرفية، وهو السلطة العليا للحرفة واستعمل هذا المصطلح بمدينة قسنطينة<sup>5</sup> كما أطلق هذا المصطلح خارج إطار التنظيم الحرفي مثل أمين الفحص أي مهمته النظر على الأملاك

<sup>1</sup> في عهد الباي ابراهيم الكريتلي 1821-1824 عين صهره في منصب قائد البدار، انظر العنزي، قريدة منيسة، المرجع السابق، ص 115،

<sup>2</sup> بن عتو بلبراوات المدينة والريف، المرجع السابق، ص 171

<sup>3</sup> -وليام شارل، مذكرات وليام شارل تفصل أمريكا بالجزائر، 1816-1824، تعريب وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 77.

<sup>44</sup> HOEXTIER .M :**Taxation et....**op cit ;p20

<sup>5</sup> L.Charles FERAUD ; **corporation des métiers a Constantine avant la conquête française** ,in R .A,V16,A1872pp451-454

الموجودة بالفحوص<sup>1</sup>، واستخدم المصطلح كذلك في الارياف التابعة للبايلك ضمن التنظيمات القبلية حيث يشرف على مراقبة القوانين والاعراف في منطقة القبائل والامناء ينتخبون عندهم ولهم مهام حفظ النظام العمومي وتأثيرهم لا يتعدى مجموعتهم الصغيرة داخل القرية<sup>2</sup>، اما الامين او رئيس الحرفة في المدينة فمهامه داخل المدن التنسيق مع السلطة بخصوص جمع الضرائب الحرفية كما اصبح في نهاية العهد العثماني يتعاون مع المحتسب في مراقبة الاسواق وجودة السلع ومراقبة سلوكات جماعته الحرفية تجاه الزبائن وايضا الدفاع عن حقوق جماعته الحرفية، ومن التطورات ايضا ان صلاحياته اصبحت لها قيمة عالية بالنسبة للسلطة ويمكن ان نفسر ذلك باعتبار المنصب أداة لجمع الثروة فقد كان كل دكان يساهم بضريبة شهرية مقدارها 30 سنتيما فرنسيا انذاك حتى ان بيربريجر اعتبر هذا المنصب وسيطا بين السلطة والحرفيين<sup>3</sup>.

و اصبح يقوم كذلك بدور الرقيب على الحرفة وجودة البضائع، وتهدف هذه الرقابة إلى حماية الحرفة من جهة والمستهلك من جهة أخرى<sup>4</sup>، كما نجد من مهامه الحد من المنافسة الغير شريفة وتحديد أسعار السلع المصنوعة من طرف أهل حرفته وتحديد أجور الصناع<sup>5</sup>.

---

<sup>1</sup>-عائشة غطاس: الحرف والحرفيون... المرجع السابق، ص202.

<sup>2</sup> DUMAS et FABER,;la **grande Kabylie**, librairie de l'université royale de France Paris 1874;pp49-50

<sup>3</sup> BERBRUGGER.A **les anciens établissements religieux** de **Constantine**, in RA,a 1868 ;p273 .

<sup>4</sup>عائشة غطاس، المرجع السابق، ص202.

<sup>5</sup>-ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدي، الجزائر في مرآة التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1984، ص64.

كان اختيار الشخص لمنصب الأمين يتم من بين أفراد الهيئة المساعدة له منهم النواب أو الخوجات وكان ذلك الإختيار لا يصبح نافذا ولا رسميا إلا بموافقة أعلى سلطة عليه والمتمثلة في الباشا والداي وإقرارها أمام القاضي ولم يشترط من الأمين أن يكون متقدما في السن أو ذي ثروة معتبرة، لكن كان في المقابل دفع مبلغ مالي محدد إلى خزينة الدولة وهذا المبلغ الذي يختلف باختلاف الحرف.<sup>1</sup>

وقد أصبح للمنصب مكانة عالية بالنسبة للسلطة نظرا لدوره في تحصيل الضرائب، ففي قسنطينة كانت الضرائب المحصلة على محلات الحرف والتي يجمعها الامناء مرتفعة جدا من حرف مختلفة دباغين خبازين جزارين صايغي الذهب... الخ، وحتى من سوق الدلالين او المزاد العلني ومن المطاحن ايضا بالرغم من انها غير تابعة للدولة وحتى من حرفيي النسيج التي تقوم بها النسوة في البيوت الخاصة والتي لم تفلت من رقابة الامناء عند جمع الضرائب<sup>2</sup>

وهذه الضرائب المفروضة استطاع خلالها الامناء من تحقيق ثروات طائلة<sup>3</sup> ومن التطورات كذلك في نهاية

العهد العثماني ان هذا المنصب اصبح يباع ويشترى وكان الامناء يقدمون تقارير شهرية الى قائد الدار ليدفعها الى السلطة اضافة الى جمعهم لضرائب لحسابهم الخاص يدفعها لهم اصحاب الحرف<sup>4</sup>، ولهذا يمكن القول ان هذا المنصب قد اثر سلبا على الحرفة وعلى تجارتها في نفس الوقت وقد اصبح عاملا ومظهرا للفساد في نفس الوقت.

---

<sup>1</sup>-عمر حرفوش، الإدارة الجزائرية في العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص190-191.

<sup>2</sup> HOEXTIER .M : **Taxation**....op cit ;p20

<sup>3</sup> ibidem

<sup>4</sup> AMG H226, **RapportRousseau, de la province de Revenus**

**Constantine**

### 3-أمين الأمانة:

ان أمين الأمانة هو منصب يملك السلطة العليا المشرفة على الجماعات الحرفية.<sup>1</sup> كما كان أمين الأمانة يحتفظ بدفاتر القوانين والرسوم المسطرة على الحرف والصناع داخل المدينة وكثيرا ما كان يتدخل بسبب الخلافات بين مختلف الحرف ويقوم بدور الوسيط ليشرف على المصالحات والاتفاقيات.<sup>2</sup> أما فيما بعد تحول إلى موظف رسمي عندما خولت صلاحية المراقبة في أدوات الوزن والطول والقياس وتحديد سعر المواد المختلفة في السوق.<sup>3</sup>

وقد أصبح هذا المنصب ينتخب من قبل امانة الجماعات الحرفية ودوره في عقد المصالحات بين الجماعات الحرفية والتنسيق مع قائد الدار لجمع الغرامات من اصحاب الحرف المتنقلة واصبح بمثابة وسيط بين السلطة وبين امانة الحرف.

### 4- المحتسب: لقد كان هذا المنصب هام جدا في مجال الاسواق<sup>3</sup> ويتعلق بادارة الاسعار

والاسواق فقد كانت الحسبة من ابرز التنظيمات في الحضارة العربية الاسلامية ومن القواعد الاساسية للتجارة اضافة الى انها تعني الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحتسب في حقيقته هو صاحب السوق ومهامه مراقبة جودة البضائع ونوع السلع، وتحديد الاسعار وتسجيلها ومراقبة تنفيذ ذلك في السوق، ومراقبة جودة الخبز وعدم الغش في ميزانه<sup>4</sup>، وكان دور المحتسب كبير في اقتصاد البايك لان الحسبة معيارا لتحقيق شرعية الحاكم في الحفاظ على القدرة الشرائية والمحافظة على الاسعار، وبالعودة الى الكتابات

<sup>1</sup>-عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص182.

<sup>2</sup>-عمر حرفوش، الإدارة الجزائرية في العهد العثماني، ص190.

<sup>3</sup>-عبد الله محمد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر، ص44.

<sup>4</sup> BERBRUGGER .A :les anciens établissements...op cit,p274

المحلية التي وصفت اوضاع البايك الاقتصادية وعلاقتها بالمستوى المعيشي نجد اهتمام واضح بالحديث عن الاسعار وربطها بمنجزات الباى فى كل فترة واصبحت معيارا لقياس قدراته على الادارة والتسيير وسماعته بالنسبة للرعية ومثال ذلك ما جاء فى كتاب العنترى حول فترة الرخاء فى عهد الباى مصطفى انجلىز 1798-1803م قائلا: ' وفى زمن انقليز المذكور رخاء كبير فى كل الاشياء الى ان صار الصاع من القمح يساوى (كذا)...'<sup>1</sup>

وكان المحتسب يوجب الشوارع حيث تقام الأسواق وكان تنظيمها من اهم المهام المسندة اليه<sup>2</sup>، كما كان المحتسب يراقب المخازن أيضا حيث يحصل منها الضرائب ومن الأسواق ويقبض رسوما عينية من الخضر والفواكه والحليب والأخرى ليتم بيع تلك المواد المحصولة، فيأخذ المحتسب قسما من تلك الأموال كأجرة له اما الباقي فكان يدفعها للخزينة.<sup>3</sup> وقد استطاعت السلطة من خلال هذه الوظيفة مراقبة والسيطرة على اسواق الشرق الجزائري.

ومن التطورات فى نهاية العهد العثماني ان سلطة المحتسب تآثرت بسلبيات المرحلة فاصبحت أطراف اخرى تتدخل فى تسيير المهنة والسوق مثل وكيل الخرج والقاضي وأمين الأمناء وقائد الدار او شيخ المدينة فانحصرت مهام المحتسب فى مهمة مراقبة الحرف الغذائية واسواقها دون غيرها<sup>4</sup>، كما تفرعت الحسبة فى نهاية العهد العثماني الى ثلاث وظائف متميزة وهي: وظيفة شيخ البلد او قائد الدار، ووظيفة حسبة الاسواق، ووظيفة قائد الفحص.

<sup>1</sup> محمد الصالح العنترى، فريدة منيسة... المصدر السابق، ص 88.

<sup>2</sup> -عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 106-107.

<sup>3</sup> -عمر حرفوش، الإدارة الجزائرية فى العهد العثماني المرجع السابق، ص 192.

<sup>4</sup> عائشة غطاس الحرف والحرفيين، المرجع السابق، ص 109

### ثالثا: تطور الاسواق والمبادلات التجارية في الشرق الجزائري:

التجارة الداخلية: لقد فرض تنوع الأراضي والأقاليم المناخية السائدة اختلافا في الإنتاج وفي نشاط السكان بين التل والصحراء وسكان المدن والأرياف وألزم السكان الاستقرار والتنقل من منطقة لأخرى من أجل اقتناء حاجاتهم من الأسواق هذا ما أدى إلى ظهور مبادلات تجارية.

كانت المبادلات تتم في الأسواق المحلية أو الجهوية أو البيع في المحلات والدكاكين وكان يباع فيها كل ما يحتاجه السكان من منتجات ومصنوعات محلية أو مستوردة وكان يقبل على الأسواق يوميا أو اسبوعيا وتسمى باسم اليوم الذي تفتح فيه وهذه ميزة تميز الأسواق عبر مختلف مناطق البايك.

#### مثال على الأسواق الاسبوعية في منطقة الحضنة<sup>1</sup>:

<u>اليوم</u>	<u>المكان</u>
يوم الاحد	سوق سلمان بالمسيلة
يوم الاثنين	اسواق سيدي عيسى حمام خرتبشية، برهوم
يوم الثلاثاء	اسواق بوسعادة، ملوزة، نقاوس
يوم الاربعاء	سوق بوسعادة
يوم الجمعة	اسواق عين لحجل، بريكة، نقاوس
يوم السبت	سواق اسواق قلايلية، مدوكال

<sup>1</sup> Jean Depois, **Le Hodna**, p301

وفي بعض المناطق ايضا حسب اليوم الذي يفتح فيه السوق فمثلا في منطقة القبائل يوم السبت سوق في عرش بني يحيى ويوم الاحد في بارجن ويوم الاثنين في اقبو ويوم الاربعاء ببني وسيف وهذه الاسواق كان يتم الاتفاق عليها بين السكان والاعراش القريبة منها وتحدد نوع السلع التي تباع فيها والايام التي تفتح فيها وتكون الاسواق قرب ابراج المراقبة لحمايتها من قبل السلطة.<sup>1</sup>

اما الرحبة فهي مكان واسع داخل المدينة مخصص للبيع والشراء وعرض المنتوجات اليومية وتتواجد خاصة بالمدن الكبرى مثل قسنطينة وهي التي تميز خاصية المدينة من خلال اسماء الاماكن مثل رحبة الجمال رحبة الصوف,,الخ

لقد تنوعت الأسواق واختلفت ومنها داخل عاصمة البايك وخارجه او ما يعرف بالاسواق الحضرية والريفية والاسواق الحضرية هي اسواق التجارة التي كانت تمارس عن طريق تجار المحلات والاسواق داخل المدن ضمن المحلات الصغيرة واسواق المدن والتي تكون عبر طول الشارع عادة او عند تقاطع الطرق او مساحة عامة، وتعد عاصمة بايالك الشرق نموذجا ليس فقط في الشرق وإنما كانت نموذجا لكامل مناطق الجزائر، وانقسمت هذه الاسواق التجارية داخل المدينة في قسنطينة الى اسواق غير متخصصة نجدها تسوق جميع المنتوجات الفلاحية والصناعية اما الاسواق المتخصصة فهي الاسواق الحرفية التي تختص ببيع المنتوجات الحرفية حسب التخصص والذي يعد اهم ميزة ميزت التجارة داخل المدينة مثلما اشار اليه شارل فيرو،

<sup>1</sup> اكلي ايت سوكلي، تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها من القرن 16-19، مذكرة ماجستير في التاريخ

الحديث، جامعة الجزائر 2006-2007، ص 38

اما الاسواق الغير متخصصة: ومنها سوق التجار الذي كان يقع في وسط مدينة قسنطينة يتشكل من عدد كبير من الحوانيت التي تنفتح على الشارع الرئيسي الذي يربط بين كل من باب الواد وكذا باب القنطرة ويضم العديد من الحرفيين مثال ذلك سوق السراجين الذي يقع في الناحية الشمالية من مسجد سيدي عبد الرحمان القروي وجنوب دار البايك أي دار الامارة ثم سوق الصباغين وبينهما يوجد سوق الغربالين ومجموعة أخرى من الأسواق منها سوق البرداعين وسوق الخضارين وسوق الجزارين وسوق النجارين<sup>1</sup> اما سوق العصر يوجد بين القصبة من الشمال ومن الجنوب الشارع الذي اقامه صالح باي لليهود وقد انشا صالح باي بهذا السوق فندق وعدة حوانيت اوقفها على مجمعه المعماري الديني وبنفتح هذا السوق على شارعان رئيسيان احدهما ينطلق من باب الواد الجديد باتجاه حي الطابية ثم أي القصبة لينتهي عند سوق العصر اما الشارع الثاني يمتد من باب الواد يمر شمال دار الباي وبين جامع سوق الغزل ثم يستمر الى غاية سوق العصر<sup>2</sup> .

سوق الجمعة يقع في الطرف الثاني من المدينة بين حي القصبة وحي الشارع وسوق العصر كما انه يتربع على مساحة كبيرة ودليل ذلك ان هذا السوق يفتح عليها عدة طرق وشوارع تربط بالقصبة وحتى سوق العصر ورحبة الصوف والشارع وباب القنطرة<sup>3</sup> .

اما سوق الغزل فهو سوق على الشارع الرئيسي الذي يربط باب الواد وسوق الجمعة وسوق العصر، يقع هذا السوق بحي الطابية وحي ميللة الصغيرة والحي التجاري<sup>5</sup>

---

<sup>1</sup> FERAUD.Ch :Corporations des metiers,op cit ;p451

<sup>3</sup> عبد القادر دحدوح، أسواق مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية مجلة الدراسات في اثار الوطن العربي، ع

## -الاسواق المتخصصة

هي الاسواق التي تخصصت بتسويق منتوجات حرفية معينة وكان هذا التقسيم مرتبط بالنشاط الحرفي الذي تكلمنا عليه سابقا و اشار اليه شارل فيرو بين خلاله ان التجارة في مدينة قسنطينة اخذت عدة تخصصات وكانت تحت رقابة الامناء<sup>1</sup> فقد كان لكل حرفة مكان خاص بها وشارع لممارستها وايضا لحاجة تسويق المنتوج وقد اهتم البايات بهذا التقسيم خاصة منذ نهاية القرن الثامن عشر الى نهاية العهد العثماني وهذا التنظيم الخاص بالاسواق يوضح كيفية تنظيم السوق ويقدم فكرة حول طبيعة النط العمراني ايضا للمدينة ومن اهم هذه الاسواق

**سوق العطارين:** يقع هذا السوق بالقرب من باب الواد شمال الرحبة ويستمر الى غاية

مسجد سيدي عمر الوزان

**سوق السراجين:** يقع على نفس شارع الذي ينتهي منه سوق العطارين ويبدأ من مفترق

الطرق حيث يوجد مسجد سيدي الفوال بالناحية الشمالية للشارع ومسجد سيدي عبد الرحمان القروي بالناحية الجنوبية.

**سوق الصباغين:** ينقسم فيه الشارع الرئيسي الى شطرين احدهما شمالي والآخر جنوبي في

الأول يوجد سوق الصباغين كان يقع بجنوب غرب المدينة على حافة الوادي ولا تزال بعض الرحبات موجودة مثال ذلك رحبة الصوف تحولت الى سوق الفواكه والاواني

---

<sup>1</sup> L.Charles FERAUD. : **Corporations des metiers** ;op cit ;p451

**سوق الشربالين:** يقع على طريق ثانوي يتفرع على الشطر الشمالي من الشارع الرئيسي

ويتعامد عليه باتجاه الغرب ويربط بين الشارع الرئيسي وسوق الغزل<sup>1</sup>.

**سوق الصاغة:** يحتل طريقا ثانويا يربط بين سوق التجار وسوق الغزل بشكل متوازي مع

سوق الشربالين كما يوجد في طرفه الغربي سوق الغزل وحمام سوق الغزل.

**سوق الحدادين:** هو الآخر يقع بالقرب من سوق الصاغة غير يسير باتجاه الشطر الشمالي

للشارع<sup>2</sup> الرئيسي وهو محصور بين زنقة سيدي ضرار وحمام بن جلول كما انه مقابل لسوق الخلق الذي يقع بالجهة الغربية كان خاص بتجارة المهن.

**سوق القزازين:** يساير طريقا فرعيا وبشكل متعامد على الشارع الرئيسي في اتجاه الغرب

لينفتح في طرفه الغربي على الشارع الرئيسي الذي يربط بين باب الواد وسوق العصر حيث يوجد زقاق

البلاط

**سوق القصاعين:** يقع هذا السوق جانبا من سوق الحدادين وسوق القزازين كما انه على نفس

الشارع ونفس الاتجاه مع سوق الخلق ويستمر في الجهة الجنوبية للشارع ليقابل جزءا منه السوق الكبير

حيث يقع الجامع الأخضر

**سوق الغربالي:** يبدأ عند مفترق شطري الشارع الرئيسي حيث توجد زاوية بن فقول بالناحية

الشمالية ومسجد سيدي عبد الرحمان القروي بالناحية الجنوبية وهو يساير الشطر الجنوبي للشارع

---

<sup>1</sup> Ibid,pp451-452

سوق البرداعين: يلي هذا الأخير سوق الغربالين الا انه يحتل طريقا فرعيا يتجه غربا ليربط بين شطري الشارع الرئيسي كما انه يوجد في بداية هذا الطريق فندق الزيت.

سوق الخضارين: هو على نفس الطريق الفرعي لسوق البرداعين وينتهي عند سوق الجزائرين

سوق الجزائرين: يتبع سوق الخضارين وعلى نفس الطريق الفرعي وينتهي عند سوق القصاعين حيث

يوجد الجامع الأخضر والسوق الكبير<sup>1</sup>

سوق الخراطين: يقع على الشطر الجنوبي للشارع الرئيسي ويبدأ امام فندق الزيت وينتهي عند سوق

النجارين

سوق النجارين: يقع على نفس السوق السابق وينتهي عند الطريق الفرعي ويتجه الى الغرب بشكل

متعامد على الشارع الرئيسي.

سوق الحرفاشين: يبدأ من عند دار شندريللي باي ويساير الطريق الفرعي الذي ينتهي عند سوق

النجارين اما عن نهايته فيقع عند سوق القصاعين وهي نفس النقطة التي يتوقف عندها سوق الجزائرين

سوق الرقاقين: يقع على الشارع الرئيسي في شطره الجنوبي بعد سوق النجارين ويستمر الى غاية حي

ميلة الصغيرة.

سوق الدباغين: بالنسبة لهذا السوق لم يرد في قائمة الأسواق التي وضعها مريسي أي انه عند<sup>2</sup> مكان دار

---

<sup>1</sup> Ibidem

الديغ تقع في الجنوب الشرقي وهو نفس المكان الذي لازلت قائمة فيه الى اليوم لاكن مع انتشار المدابغ بهذه الناحية يجعلها سوقا متخصصة في هذه الحرفة<sup>1</sup>

من جهة اخرى كانت هناك العديد من الاسواق التجارية الهامة في بايلك الشرق ومنها سوق التلاغمة والسقنية وسطيف وهي اسواق عرفت بنشاطها وكانت همزة وصل بينها وبين اسواق مدينة قسنطينة وكانت مفتوحة على تجارة البارود والاسلحة ولهذا بذلت فرنسا فيما بعد جهدا للقضاء عليها<sup>2</sup>

كما كان الجنوب والجنوب الشرقي له اسواق هامة للمبادلات التجارية الداخلية والخارجية وكانت اسواقه ذات حركة تجارية دائمة وقد ساهمت العديد من العوامل في ذلك ومن اهمها المسالك والطرق الصحراوية.

إن المسالك والطرق التجارية من العوامل الرئيسية لقوة التجارة وهذه المسالك أخذت أسماء مختلفة وهي حسب اهميتها التجارية فالطريق الرابط بين القصور الصحراوية عرف باسم طريق القصور لأنه يصل بين القصور والطريق الرابط بين حواضر الشمال والسودان الغربي يعرف تارة باسم طريق العبيد لأنه مرت عليه أفواج العبيد إلى الشمال منذ القديم، وأحيانا طريق الذهب لأنه كان يجلب عبر هذا المسلك.

من بين هذه المسالك الخط الرابط ما بين منطقة الواحات اي ورقلة واتجاه المناطق الداخلية الغربية وقد كان مقصدا لمرور تجار القوافل من ورقلة إلى تيارت يسير فيه تعداد يفوق 800 جمل في نهاية فصل الربيع وعند وصولها إلى وادي ميزاب استقر لعد اسابيع لتروج سلعها ثم تواصل رحلتها الى الغرب.<sup>3</sup> وبعد ترويج منتوجاتها تعود القافلة على نفس المسلك مع مطالع فصل الخريف محملة بالقمح والبقول الجافة.

أما الطريق الرابط بين المنطقة بالسودان الغربي (طريق الذهب والعبيد) فهو طريق طويل يستغرق أكثر من ثلاثة أشهر.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عبد القادر دحدود، اسواق مدينة قسنطينة، المرجع السابق، ص 634.

<sup>2</sup> حميدة عميراي، قضايا مختصرة، المرجع السابق، ص 139.

<sup>3</sup> -وارجلان وميزاب، ص 200.

<sup>4</sup> -نفس المرجع، ص 201.

وهذا الطريق ينطلق إما من الجزائر ويمر بالمدينة والجلفة والأغواط ووادي ميزاب ثم متليلي، والمنبعا، وعين صالح إلى غاية تمبكتو، وإما ينطلق من الموانئ الشرقية من ستورة بسكيكدة نحو قسنطينة ثم بسكرة وتقرت وتماسين وورقلة إلى غاية الهوقار حيث ينقسم إلى اتجاهات نحو أغاديس إلى غاو، وتادمكة وغانة<sup>1</sup> وهذه الطرق التي تنطلق من البحر المتوسط وموانئه ميزتها انا كانت أكثر نشاطا عبر كامل السنة ليتبادل خلالها التجار السلع والتجارة مع السودان الغربي<sup>2</sup>، وخط القصور الرابط ما بين جنوب المغرب الأقصى ويمر بورقلة مرتبط فقط بركب الحج نحو البقاع المقدسة.

وقد زادت أهميته خاصة عندما يمر ببسكرة لأنها طريق ركب الحج الوحيد في الجزائر الذي يسلكه الحجيج القادمين من مختلف المناطق فكانت بسكرة نقطة التقاء الحجاج ليلتحق بهم ركب الحجاج المغاربة<sup>3</sup>،

وقد أشارت إحدى الوثائق إلى بعض المحطات التي يتوقف فيها التجار ما بين المسالك البرية من بسكرة إلى توقرت وقدرت ب 76 محطة حسب الجدول التالي

المسلك	الساعة
من بسكرة إلى غرداية	15 ساعة
من بسكرة إلى واد الملح	12 ساعة
من بسكرة إلى المغير	13 ساعة
من بسكرة إلى توقرت	13 ساعة

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص 202.

<sup>2</sup> - يحيى بوعزيز، طريق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون خلال القرن التاسع عشر، المنظمة للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات، بغداد، 1984، ص 132-133.

<sup>3</sup> هاجس الامن عند ركب الحجاج المغاربة من خلال الرحلات الحجازية هلال القرنين 17-18م، ص 13

-الأسواق التجارية في الجنوب والجنوب الشرقي لبيالك قسنطينة: عرفت المنطقة نشاطا تجاريا هاما، بسبب نشاط القوافل التجارية ونشاط فئة الأثرياء من الشيوخ والاعيان وكبار التجار وكانت الأسواق الداخلية مجالا للتبادل التجاري.

والمقصود بالأسواق الداخلية تلك الأسواق التي تقع في الداخل ويقصده تجار الشمال او الجنوب عكس الخارجية نحو تونس، وغدامس والسودان.

### الأسواق الصحراوية الداخلية: تعد المناطق الصحراوية الشرقية مثل ورقلة ووادي ميزاب مناطق

احتضنت أسواقا تجارية كبرى يومية وأسبوعية وسنوية وكلما دخلت القوافل الاسواق كان يجب عليها الخضوع لقوانين واعراف المنطقة بوادي ميزاب التي يشرف عليها مجلس الغرابة.<sup>1</sup> ومن ميزات الاسواق الصحراوية انها كانت محاطة بأقواس وبداخلها دكاكين تباع مختلف البضائع من جميع المناطق وهي ذات حيوية على مدار السنة، يقصدها تجار قسنطينة وبجاية خاصة، وكان التعامل فيها بالعملة النقدية المحلية والأجنبية معا.<sup>2</sup> ووادي ميزاب كانت تحتوي على سبعة أسواق بعدد قصورها لكن أهمها سوق غرداية وبني يزقن، تشرف عليه هيئة العزابة أما القصور أخرى مثل العطف وبونورة ومليكة فأسواقها نصف أسبوعية، وتقصدها قوافل السودان الغربي، وتتميز أسواق وادي ميزاب ببيع الدلالة أي المزاد العلني تحت إشراف هيئة العزابة، التي تراقب المعاملات وتضبط الأسعار، والأوزان، وتمنع الربا والاحتكار،

اما طريقة البيع في السوق فتكون بالتجزئة، من سمن وتمر، وصوف ولا يسمح بالبيع بالجملة إلا إذا اشترى جميع الناس حاجتهم والهدف هو منع ممارسة الاحتكار والمضاربة<sup>3</sup>.

إضافة إلى بيع الدالين هناك تجارة اخرى تمارس كثيرا هي وظيفة العدادين أي تنظيم سوق اللحم ومنع احتكار الأغنام داخل الأسواق بوادي ميزاب والصحراء، حيث يقوم هؤلاء بإحضار كل من يرغب في

<sup>1</sup>-ورجلان وميزاب، المرجع السابق، ص206.

<sup>2</sup>-نفس المرجع، ص207.

<sup>3</sup>-ورجلان وميزاب، المرجع السابق، ص211.

شراء اللحم ويضبط القائمة، والكمية الموال دون وساطة حسب الطلب، ويذهب بها إلى المجزرة، ثم تنقل إلى السوق وتوزع لأصحابها.<sup>1</sup>

وقد وصف احدهم عدد المحطات ما بين المسالك البرية من بسكرة الى توقرت ب 76 محطة حسب الجدول التالي

الساعة	المسلك
15 ساعة	من بسكرة الى غرداية
12 ساعة	من بسكرة الى واد الملح
13 ساعة	من بسكرة الى المغير
13 ساعة	من بسكرة الى توقرت

#### -التجارة الخارجية لبايلك قسنطينة:

يمكن ان نميز بين التجارة التي تتم بين عاصمة البايلك ومدن الشمال التابعة للبايلك مع الدول المجاورة مثل تونس، وقد كانت اكثر نشاطا وكانت تونس اهم منطقة للتبادل مع بايلك الشرق الجزائري، وقد كانت السلع التونسية تعبر الى الشرق الجزائري عن طريق الكاف وتبسة والجريد وواد سوف جنوباً<sup>2</sup>

كما ان من عوامل نشاط التجارة مع تونس ان السلع الوردية كانت تدفع حوالي 11% من قيمة البضائع كحقوق جمركية ولعل هذا ما حفز التجار الجزائريين على تنشيط التجارة بموانئ تونس ودليل ذلك كثرة وتنوع البضائع المتبادلة بين الطرفين واستقرار التجار في البلدين، كما كانت اسواق قسنطينة مقصدا لهم

<sup>1</sup>-المرجع السابق، ص 211.

<sup>2</sup> ANOM F80/1697 ; chapitre 1, commerce de tunis avec l'Algérie

وسوقا للشاشية التونسية والاحزمة الحريرية والصوفية والاعطور<sup>1</sup>،،،، وقد ذكرنا سابقا ان هناك العديد من التجار الحرفيين التونسيين استطاعوا تشكيل جماعات حرفية في مدينة عنابة.

كل المناطق الساحلية انطلاقا من عنابة الى الغرب كانت اكثر اقبالا للتجار الايطاليين والمحطات الفرنسية التجارية اكثر من الجهات الغربية للجزائر<sup>2</sup>

ومن بين الأسواق الخارجية التي يتردد عليها تجار المناطق الصحراوية التابعة لبايلك الشرق ما يلي :

-أسواق تونس: كانت القوافل تنطلق إما من ميزاب وتمر من ورقلة أو من ورقلة مباشرة إلى تونس، وتمر مباشرة إلى تونس، وتمر في طريقها على سوق توقرت ووادي السوف، ومنه إلى تونس إلى أسواق نفطة وقابس، وقفصة ومنها تتوجه شمالا إلى أسواق تونس العاصمة.<sup>3</sup>، وكانت منطقة الجريد منطقة هامة لتوافد التجار من منطقة وادي سوف<sup>4</sup> وكان التواصل بين هذه المناطق ومنطقة الجريد بتونس شبه دائم يوميا، وقد استقر بعضهم في تونس ومارس التجارة ثم أسس الميزابيون دار لهم بتونس تعرف باسم دار الجماعة.

والقافلة التي تنطلق إلى تونس تستغرق 20 يوما حتى تصل إلى أسواق الجريد، حيث تعود ببضائع تونسية وأوروبية (التوابل، البنزين، والأسلحة، والمجوهرات... إلخ).<sup>5</sup>

-سوق ليبيا: لقد كانت ليبيا من اهم المناطق والاسواق التي يقصدها تجار الشرق الجزائري خاصة تجار الجنوب الشرقي للبايلك ومن اهم اسواقها أسواق غات وهو أكبر سوق لبيبي تقصده القوافل التجارية من كل المناطق، ويستورد منه تجار تقرت ووادي سوف وورقلة الحمير المغربية، والعبيد والذو والمنتجات الافريقية

<sup>1</sup>،،،، الحركة التجارية بين موانئ بلدان المغرب خلال العهد العثماني، ص... .

<sup>2</sup> Elie De La Primaudie ; **commerce et navigation de l'Algérie** ;in Revue algérienne et coloniale 1860 ,p82/

<sup>3</sup> - Rozet et Carette, **l'Algérie** p.p311-312.

<sup>4</sup> AOM.F80 ;1697, **Article 1, comerce tunis avec l'Algérie** ,op cit

<sup>5</sup> -وارجلان وميزاب، المرجع السابق ص214.

اسواق غدامس: يعد أحد الأسواق الكبرى بليبيا ومحطة هامة من المحطات التجارية، وتلتقي فيها قوافل الدول المجاورة، ويتجه تجار الصحراء إليها عن طريق الجنوب الشرقي لمدة 10 أيام.<sup>1</sup>

جدول خاص بالصادرات والواردات التي كانت تتم بين الشرق الجزائري والأسواق التونسية والليبية.<sup>2</sup>

أهم الأسواق	المقاصد	الصادرات	الواردات
قسنطينة	تونس	الصفوف - الجلود مدبوغة تمور - الشواشي العادية ريش النعام	المصنوعات الأوروبية - العطور - التوابل - القهوة - الأقمشة القطنية والحريرية
الوادي	نفظه	الشمع - النمرور	مواد البزاة - العطور - الأقمشة - الأسلحة - الكبريت
تقرت	نفضة / غدامس	الأقمشة الصوفية - التمور - الحبوب - الزيوت	الأقمشة القطنية - العطريات - المصنوعات الأوروبية - البخور

جدول بعض المحلات التجارية بتونس التي يقصدها تجار الشرق الجزائري<sup>1</sup>

<sup>1</sup> نفسه، ص 215.

<sup>2</sup> حاج العربي احمد بن سهيل بلال، علاقات بايالك الشرق الجزائري بالإيالة التونسية خلال القرن الثامن عشر، المرجع

السابق 48

المحل	نوع البضاعة	وحدة القياس
سوق السرايري	بنادق-مدافع	سقية
سوق العطارين	حرير-قطن-مناديل قطنية	الميشحال
سوق الزووق	قماش حريري-لفائف	
سوق الحرايري	كراسات	
سوق شواشي	مرجان-زئبق-قلادات	
سوق السيارة	مراة	
سوق العلقة		

أسواق المغرب الأقصى: كانت أسواق المغرب مقصدا أيضا رغم البعد الجغرافي، وهنالك قوافل تجارية تعبر المنطقة انطلاقا من المغرب الأقصى إلى غاية تونس تحمل معها المصنوعات المغربية من نحاس وأكياس جلدية، وأسلحة وتباع في أسواق وارجلان ووادي ميزاب.<sup>2</sup>

-أسواق السودان الغربي: لقد كانت أسواق السودان الغربي من أهم الأسواق التي يقصدها تجار شمال إفريقيا ومنهم تجار الشرق الجزائري منذ فترات طويلة خاصة منذ القرن 18؛ والقرن 19م، نظرا لأهمية المنطقة وغناها بالثروات وخاصة الذهب والمنتوجات النادرة التي أصبحت مقصدا للتجار<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>.AOM ;F80 ,1697,comerce tunis avec l'algerie ;op cit

<sup>2</sup>نفسه، ص216.

وقد بقيت أسواقها إلى غاية نهاية العهد العثماني والاحتلال الأوروبي للمنطقة ضمن المناطق التي تسلكها القوافل التجارية المحملة بالمنتجات الأوروبية والمحلية وكانت القافلة ترتحل في فصل الخريف بعد جني التمور وتتجه نحو الجنوب الغربي تحت قيادة قبيلة الشعامبة ومن الأسواق التي تقصدها القوافل سوق أغاديس<sup>2</sup>، وهو أكبر سوق في النيجر وهو ملتقى للتجار. ويقصد كذلك أسواق غانا التي اشتهرت بتجارة الذهب. و كانوا يشترون معظم الذهب الموجود بغانا، ويصنعون منه العملة، وأيضا أسواق تمبكتو وهي أكبرها، وكذلك أسواق غاو<sup>3</sup> بمملكة سنغاي<sup>4</sup>، وكان التعامل مع هذه الأسواق عن طريق ممثلين لهم دون الذهاب إليها فيوظفون رؤوس أموالهم التي تدر عليهم أموالا طائلة ويقوم بهذه المهمة الشعامبة والتوارق.<sup>5</sup>

### المطلب الثالث: التأثيرات السلبية على حركة التجارة في بايلك الشرق الجزائري من

1800 إلى 1837.

لقد كان للسياسة الاقتصادية التي اتبعتها السلطة اثر سلبي في تراجع التجارة سواء الداخلية او الخارجية في نهاية العهد العثماني، كما ان الظروف السائدة والاضاع العامة الداخلية والخارجية كان لها اثر كبير لما لها من انعكاسات خطيرة على الاوضاع الاقتصادية والتجارية وما ميز نهاية العهد العثماني في الجزائر عامة او بايلك الشرق هو ذلك التراجع والضعف في شتى المجالات، وقد ساهمت العديد من العوامل في فساد النظام المالي وعدم جدوى الإصلاحات الاقتصادية والمالية النقدية المنتهجة، وقد رأينا سابقا كيف كانت الاسواق حكرًا على نفوذ السلطة والمتمثلة في احتكار البايات وكبار الديوان والشركات الاجنبية وشيوخ القبائل، ومدى فشل الإصلاحات النقدية وانتشار العملات المزورة ولهذا لم تكن هذه الانعكاسات صدفة في نهاية العهد العثماني بل هي نتيجة لتراكم مجموعة من العوامل ثك اثرت سلبا على مجالات التجارة

<sup>1</sup> EMRIT .M Les liaisons terrestres entre le Soudan et l’Afrique du nord au 18eme siècle et Au début de 19emesiècle ;T.I.R.S ;1954,p29

<sup>2</sup>أغاديس بما أكبر سوق بالنيجر يرتد عليها سكان الجنوب الجزائري، انظرحسن الوزان، وصف افريقيا، ص136.

<sup>3</sup>عاصمة مملكة سنغاي سابق في عهد الاسيقيين1453-1591، انظرعبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد

الاسيقيين، ش و ن ت، 1971، ص108.

<sup>4</sup>المرجع نفسه، ص220.

<sup>5</sup>-نفس المرجع، ص221.

والاقتصاد وزادت من تعقيد الازمة، ويمكننا ان نميز في بين العوامل السياسية والعوامل الاقتصادية والعوامل الادارية وحتى الطبيعية.

## أولاً- تأثير السياسة الاقتصادية:

### عامل الاحتكارات

ان احتكار التجارة من قبل البايات والإشراف عليها خاصة للموارد الأولية و الحبوب أدى إلى تكوين فئات غنية جديدة ساعدت أصحاب المناصب في تكوين ثروة و بالأخص الداي وأعضاء الديوان و التي جمعت ما بين الثروة و النفوذ السياسي، فقد هيمن أيضا البايات على عملية الإحتكار و نظرا للحرص على إيجاد علاقة وطيدة بين ممثلي السلطة و التجار فقد كانت الفئات الحاكمة تحرص على تدعيم النشاط الإقتصادي مع الحفاظ على نفوذها السياسي، كما تمارس الإحتكارات داخل الأرياف حيث تتمكن من جمع فوائد الإنتاج.<sup>1</sup> وتكمن اضرار الاحتكار في فرض اسعار منخفضة عند بيع الانتاج بدون النظر الى النوعية والحجم وتمكن الاجانب من شراء المنتج بأثمان رخيصة ليعيدون بيعه بأثمان مرتفعة والأكثر من ذلك ان الارباح اصبحت لا تتحصل عليها الدولة بل المحتكرون الاجانب حيث يحددون سعرها مسبقاً<sup>2</sup> كما تم توكيل حقوق الاحتكار الى مجموعة من الموظفين مقابل مبالغ مالية فيتولون هم مهام استيراد المواد الاولية تصديرها باسمهم مثل وكيل الخرج الذي يخول له حق الاحتكار مقابل مبلغ شهري يقدر ب19الف قرش وحقق من خلاله ارباحا طائلة، وبالتالي اصبحت الاحتكار عائقا امام تطور التجارة.<sup>3</sup>

إنّ منح التراخيص لمجموعة من التجار أدى إلى احتكار نتج عنه اعتراض نشاط باقي التجار و ساهم في تراجع التجارة مثل التراخيص الممنوحة لجنود الانكشارية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> صرهودة يوسف، الإقتصاد و المجتمع، المرجع السابق، ص ص 339-340.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 79.

<sup>3</sup> يوسف صرهودة، الإقتصاد و المجتمع، المرجع السابق، ص 340.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 342

إن احتكار بايات الشرق الجزائري للمواد الأولية و بيعها خارج الأسواق الداخلية خاصة المتجهة نحو تونس أدى إلى تراجع التجارة، ففي نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م أصبحت تفتد إلى تونس أعداد كبيرة من الماشية لتسوق هناك، ومعظم هذه الثروة كانت ملكا للبايات وكانو يتابعون عملية تسويقها بانفسهم ورغم ان الخسارة كان يتحملها التونسيون لكن الفائدة فقط كانت ترجع لبايات قسنطينة ولعائلاتهم فقط كما ذكرنا سابقا.

امتيازات القيادة والشيخوخ: تعد وظيفة القايد على مستوى الأوطان ركيزة أساسية للنظام العثماني لما لها من أهمية في عملية جباية الضرائب و الأشراف على أراضي البايك خاصة بعد تراجع القرصنة في نهاية القرن 18م فعمل هؤلاء على تعويض أموالهم التي اشتروا بها المنصب و في نفس الوقت حرص هؤلاء على إثراء أنفسهم و تأمين مستقبلهم فقد كان يدفع قايد ورقلة 928 صائمة مقابل تجديد تعيينه، أما قياد بايلك الشرق يدفعون ما بين 4000 إلى 20000 ألف بوجو كحق تنصيب. و كان قائد فرجوية 20000 ريال بوجو و قايد زمورة 5000 ريال بوجو.<sup>1</sup>

و قد كان هؤلاء القيادة يستفيدون من إحتكاكهم بممثلي الشركات الفرنسية و كان لهم نصيب في كل صفقة تجارية تتم في السواحل الشرقية و تسجل على أساس حقوق القايد التي تتراوح بين 25 إلى 50 بياستر عن كل سفينة.<sup>2</sup>

وقد ذكر شارل فيرو في هذا الصدد ان الشركات الاجنبية وطدت علاقتها مع شيخ القبائل في ضواحي القالة وقد كان شيخ معزولة له قسط من الفوائد على المبيعات وكان على اتصال دائم بالشركة الفرنسية في

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص348.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص349.

المنطقة<sup>1</sup> وكان هؤلاء يتحصلون على هدايا ومبالغ مالية من مداخيل البايك واستطاعوا من خلالها تكوين ثروة ومثال ذلك ما كان يأخذه قايد بسكرة بحوالي 2000 ريال كل سنة، وقايد تبسة يأخذ 500 ريال أما مداخيل كبار المشايخ فيمكن توضيحها في الجدول الآتي<sup>2</sup>:

القيمة التي يأخذها	الشيخ
10 الاف ريال	شيخ اولاد مقران
3 الاف ريال	شيخ وطن اولاد يحي اهل الشفا
10 الاف ريال	شيخ ريغة
الفين ريال	شيخ اولاد دراج
10 الاف ريال	شيخ فرجيوة
الفين ريال	شيخ الحنانشة
الفين ريال	شيخ لازمة

<sup>1</sup> L.Charles FERAUD. : **Histoire de la provine de constantine,la**

**Calle** ;op cit,p486

<sup>2</sup> AMG ;H227 بيان اعراش البايك

الف ريال	شيخ الاوراس
الفر ريال	قايد ساحل بابور الظهرة
	قايد ساحل بابور القبلي

هذا بالإضافة إلى تأثير حجم الاموال التي كان يرسلها الباي كل سنة في إطار ما يسمى بالذنوش وقد اثر ذلك على المداخيل خاصة في ظرف تراجع الاقتصاد منذ السنوات الأولى للقرن 19م، والجدول الاتي يمكن من خلاله استنتاج حجم الاموال المرسله الى الجزائر والتي لم تكن ترسل فقط الى الداوي بل كانت ترسل أيضا الى كبار الموظفين<sup>1</sup>

<u>القيمة بالبوجو</u>	<u>المستفيد</u>
40000	الى الباشا
20000	الى الخزناجي
20000	الى الاغا
10000	الى خوجة الخيل
10000	الى وكيل الخرج

<sup>1</sup>ANOM ;F80 .1697

6000	الى بيت المال
2000	الى الخازن اي المسؤول المالي
2000	الى باقي العمال الماجورين
3000	الى الكتاب
2000	الى الامناء
15000	الى نساء القصر
3000	الى القاضي

**طبيعة النظام النقدي:** كان نظام نقدي في ظل فوضى مالية خاصة في نهاية العهد العثماني من تداخل العملات المحلية والعملات الاجنبية ورواج المعاملات المالية بالعملات الاجنبية وتفضيل التعامل بها على العملات المحلية المشكوك فيها بسبب عمليات التزوير والغش وهذا ما اشارت اليه المراسلات التي كان يبعث بها احمد باي الى الداوي حسين<sup>1</sup>، كما راينا سابقا، وقد لجأت السلطة الى اصلاحات بعد تراجع ذهب السودان من خلال استخدام مخزونها الذهبي من الخزينة وهذا اثر سلبا على التجارة، كما اثر النظام الجبائي سلبا على المداخيل الخاصة بالبايلك فقد كانت المحلات التجارية تدفع رسوم تقدر ب30 سنتيما شهريا وكان الامناء ياخذون قسما منها واستطاعوا من خلالها تحقيق ثروة بسبب تلك الغرامات على

<sup>1</sup> اشرنا سابقا الى الوثيقة في المطلب الخاص بتطور العملة.

المحلات وعلى المزايدات وحتى على الحمالة البسطاء<sup>1</sup>، كما ان مهمة جمع الضرائب كانت من قبل الاعوان والشيوخ مما ادى الى زيادة التعسف والاستغلال والاخلال بالنظام المالي الضريبي وعدم وجود اصلاحات تقضي على نفوذهم لكن بالمقابل اعتمدت الاصلاحات في تونس على جعل الضرائب تحت مسؤولية السلطة المركزية ولم تبقى تحت مسؤولية الاعيان<sup>2</sup>، ولهذا كان الاعوان في بايلك الشرق المكلفين بجباية الضرائب قد اثروا سلبا ففي العديد من المرات كان هؤلاء ياخذون قسطا منها لصالحهم دون موافقة السلطة، ودليل ذلك ما جاء في رسالة من الحاج احمد باي الى ابراهيم خزناجي يعلمه ان اغا الدايرة ابو زيان قد سرق جزءا كبيرا من المطالب التي جمعها من الرعية وبعد معاقبته فر وتحالف مع بعض شيوخ القبائل لاثارة الفتن<sup>3</sup> كما اشارت وثيقة اخرى حول تورط بعض الاعوان في اختلاس ضرائب، وهذا ما جاء في رسالة من احمد باي الى الداوي حسين بتاريخ 16 ذي الحجة 1244 هـ الموافق ل31 جويلية 1929م يخبره بالتحقيق حول ما قام به قائد الجبري والعشر بعد جمعه لهاتين الضريبتين على المنتوجات الفلاحية وقيامه باختلاس ما جمعه<sup>4</sup> كما اشارت وثيقة اخرى لامتناع بعض القبائل عن دفع الضرائب ومنها رسالة احمد باي الى الداوي حسين بتاريخ جمادى الثانية 1242، الموافق ل17 جانفي 1827، يخبره بالقضاء على تمرد بعض القبائل التي صارت تعتدي على الرعية وتمنع دفع الضرائب<sup>5</sup>

<sup>1</sup> HOEXTER.M :Taxations...op cit ;p19.

<sup>2</sup> .Abd hamid HNIA : **Le Djérid** ...op cit,p 177

<sup>3</sup> ارشيف المكتبة الوطنية بالحامة، المجموعة 1642.دون تاريخ

<sup>4</sup> ارشيف المكتبة الوطنية بالحامة، المجموعة 1442.

<sup>5</sup> ارشيف المكتبة الوطنية بالحامة، المجموعة 1642.

ضف الى ذلك ان قيمة الضرائب المحصلة كانت تدفع للخزينة<sup>1</sup> دون ان تستثمر في مجالات اخرى وهذا يعكس سياسة الاكتناز التي تميز بها الحكام وحتى مداخليل القرصنة في السابق وعائداتها المالية لم تستغل لدعم السياسة المالية والتجارية.

### دور الوسطاء اليهود:

كان لليهود نفوذ في الجزائر خلال العهد العثماني خاصة في الشرق الجزائري و مارسوا أنشطة اقتصادية مختلفة واستطاعوا ربط علاقات تجارية مع دول جنوب أوروبا فساهم الوسطاء اليهود في تراكم رؤوس الأموال التجارية واستطاعوا من خلالها تكوين ثروة و سيطروا على التجارة في ظل غياب نظام نقدي، و استفاد هؤلاء من الغنائم البحرية التي كانوا يتاجرون بها مع الدول المسيحية، و تجارة العبيد و الأسرى و جعلوا من الجزائر ودول جنوب أوروبا منطقة لنشاطهم التجاري و كانت معظم الصادرات تتم عن طريقهم، و إحتكروا التجارة الخارجية خاصة أنهم على دراية العملة و اللغات و المعاملات التجارية<sup>2</sup> و جعل التجار الجزائريين في المرتبة الثانية و خاصة بعد الإنطلاقة الفعلية لشركة اليهوديين البكري و بوشناق و سيطرتها على تجارة القمح في ظل غياب السياسة الإقتصادية في الجزائر، و مثال ذلك ما جرى خلال مجاعة جويلية 1817م حيث أخبر مدير الشركة الفرنسية في القالة وزير الشؤون الخارجية الفرنسي أن الحبوب متوفرة في قسنطينة و أنه يتفاوض لشراء 20 ألف حمل مرسيللي من القمح.<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> AMG H226 ;Rapport Rumizet,29-9-1838 op cit

<sup>2</sup> انظر المطلب السابق الخاص بتطور العملة

<sup>3</sup> صرهودة يوسف، المرجع السابق، ص 349.

## ثانيا: التأثيرات السياسية:

### - فساد النظام السياسي:

لقد أثرت سياسات السلطة ومؤسساتها في نهاية العهد العثماني سلبا على الأوضاع العامة بما فيها التجارة و قد كان معظم البايات يمثلون سلطة القاضي الأعلى في أقاليمهم إلا أنّ الكثير منهم أتهم لدى الداي، أو رفعت ضدّهم دعاوي و شكاوي لدى قضاة أقاليمهم، فأصبحت الإتهامات و سفك دماء الأبرياء أمور عادية بالنسبة لأعضاء الديوان في أواخر العهد العثماني.<sup>1</sup>

كما تمتع رجال الإنكشارية بحق شراء ما يحتاجونه من مواد غذائية أو مصنوعة بأثمان زهيدة، و لهم حق إستضافتهم من قبل أهالي المدينة التي تقيم بها الحامية العسكرية مدّة معينة، مثلما كان حامية بسكرة<sup>2</sup>، و كان الإنكشاري معفي من الضرائب و ربما يعد هذا سبب تكبرهم و اعتبارهم الأفضل، كما جعلوا لأنفسهم شبه حصانة، و كان لا يحق لأي شخص و حتى القاضي الحنفي نفسه أن يستطيع إصدار أمرا بمعاينة هؤلاء.<sup>3</sup> من العوامل المؤثرة سلبا انعدام الامن و كثرة الاغتيالات و أعمال القمع و المصادرة، وهي ميزة فترة نهاية العهد العثماني، إضافة إلى تمرد جنود الإنكشارية سنة 1816م.

### -تأثير الثورات الداخلية:

كان من مظاهر الإضطرابات الداخلية اندلاع الثورات الداخلية ومنها ثورات جبال جرجرة سنوات 1804-1810-1823م، و ثورات النمامشة و الأوراس و سوف من 1818م إلى سنة 1823م، و ثورات الشمال القسنطيني سنة 1804م. و كل ذلك أثر على التنظيم المالي<sup>4</sup> وعلى حركة الاسواق، وهذا ما اشارت اليه بعض المصادر التاريخية المحلية ومنها ما ذكره العنتري بقوله: " أتلفت خزائن الباي عثمان،

<sup>1</sup> الأمير بوغدادة، المؤسسات في الجزائر في أواخر العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص 104 - 105.

<sup>2</sup> نفسه

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 29.

<sup>4</sup> نفس المرجع، ص 59.

و انعدمت الحراثة، و افتقدت الحبوب، و قل من يأتي إلى الأسواق فحصلت للناس شدة و  
مجاعة.....<sup>1</sup> و هذا تعقيبا على ثورة ابن الأحرش سنة 1804م.

### تأثير الصراع الحدودي بين بايلك الشرق الجزائري وتونس:

- لقد كانت القضايا المتعلقة الحدود بين الايالتين مصدرا للقلقل السياسية منذ بداية العهد  
العثماني واشتدت اكثر في نهايته خاصة منذ وصول حمودة باشا الى الحكم بتونس في سنة 1806، وقد  
حالفه الحظ كثيرا في الطريقة التي عالج بها النزاعات التي كانت بينه وبين الدول الأوروبية هذا ما دفعه للتفرغ  
ومواجهة الجزائر والتخلص من القيود السابقة للجزائر نذكر منها الأتاوة التي كانت تدفعها تونس للجزائر  
والهدايا والغرامات وسفينة الزيت كل سنة<sup>2</sup> ومن جهة أخرى استغل حمودة باشا الأوضاع الداخلية المتمثلة  
في تمرد الانكشارية والتخلص منهم كما صادف عهده ازدهار التجارة مع فرنسا وفي نفس الوقت الذي  
عرفت فيه العلاقات الجزائرية الفرنسية تدهورا فقد ربط حمودة باشا علاقات حسنة مع نابليون حيث  
تغلغل النفوذ الفرنسي في تونس وانتهى بمساندة الحملة الفرنسية للحملة التونسية على قسنطينة.<sup>3</sup>  
وقد تضمن الارشيف الوطني التونسي على العديد من الوثائق حول المراسلات بين بايات تونس وحكام  
الجزائر وحول الغارات الحدودية، واستمرت هذه العلاقات والتي تميزت بكثرة الاغارات حتى أثناء الفترة  
الفرنسية<sup>4</sup>

<sup>1</sup> العنترى، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص33.

<sup>2</sup> -أحمد بن أبي الضياف، تحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج2، المرجع السابق ص ص40-41.

<sup>3</sup> -صالح عباد:الجزائر في نهاية العهد العثماني ، المرجع السابق، ص323.

<sup>4</sup> انظر الوثائق السابقة المتعلقة بالعلاقات الجزائرية التونسية ضمن الارشيف الوطني التونسي.

### ثالثا: تأثير الأوضاع الاجتماعية والصحية:

لقد عرف الشرق الجزائري أوضاعا صحية مزرية والتي أصبحت عائقا حقيقيا، فقد كانت البلاد عرضة للأوبئة و الكوارث الطبيعية خاصة مع بداية القرن 19م و سببها علاقات الجزائر مع أقطار المشرق و السودان، ومع جهل الأهالي لقواعد الصحة و اهمال استصلاح المستنقعات خاصة في المناطق المحيطة بعنابة<sup>1</sup> و لم تقتصر الأوبئة على المدن فقط، بل مست المناطق الجبلية مثل جرجرة التي انتقلت اليها الجراثيم عن طريق مجموعة من الأهالي لجأت الى هناك، ولم تخف وطأة هذا الطاعون إلا سنة 1822م.

وقد أثرت المجاعات سلبا على النمو الإقتصادي و تسببت في الضائقة المالية بعد أن عجزت الخزينة و مصادرها على تغطية نفقات سنوات المجاعة و الجفاف، و الجراد.

وفي سنة 1800م تعرضت البلاد لمجاعات أدت إلى تراجع المواد الغذائية حتى اضطر الداوي مصطفى باشا إلى استيراد القمح من موانئ البحر الأسود، ثم مجاعات سنتي 1806-1807م التي أثرت على المداخيل المالية، كما كادت تنعدم الضرائب العينية بعد تضرر المزارع نتيجة زحف الجراد سنة 1816م، واستمرت المجاعات سنة 1819م مما زاد الوضع سوءا خاصة على الإقتصاد و المال و لجأت الحكومة إلى استيراد 50000 صاع من القمح من أوروبا و كانت الجهات الشرقية هي الأكثر تضررا، و نتج عن ذلك ارتفاع الأسعار، و ندرة المواد الغذائية في الأسواق، و أثر ذلك على القدرة الشرائية، فأصبح صاع القمح يباع ب7 دنانير، و بلغ الصاع من القمح خلال مجاعة 1800م 28 فركا المستورد من البحر الأسود، وخلال مجاعات 1219هـ/1805م يبيع صاع القمح الجزائري من الحبوب ب 15 بوجو، و استمر الإرتفاع طيلة ثلاثة سنوات إلى غاية 1808م، وهذا يدل على حجم الكارثة<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص54.

<sup>2</sup> أنظر كتاب العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص13.

# الفصل الثالث: التطورات الثقافية 1800-1837

المبحث الاول:

العوامل المؤثرة في التطورات الثقافية في بايلك الشرق الجزائري

المبحث الثاني:

تطور التعليم والانتاج العلمي والثقافي

بعد أن تعرفنا في الفصل الثاني عن أبرز التطورات الاقتصادية التي عرفها بايلك الشرق، سنحاول في هذا الفصل دراسة التطورات الثقافية التي تآثرت بالتطورات السياسية والاقتصادية السابقة وذلك من خلال دراسة المجالات المتعلقة بالحياة الثقافية والعوامل المؤثرة فيها، ولهذا سنعرض في هذا الفصل العوامل التي آثرت في التطورات الثقافية والمتمثلة فيالوقف واهميته، ودور الهجرة العلمية في الشرق الجزائري وآثرها، ودور الاسر العلمية، ثم دراسة عن ابرز التطورات الثقافية التي تمثلت في طبيعة المنتج الثقافي في هذه الفترة ومدى ارتباطه بالاحداث الكبرى التي عرفها الشرق الجزائري خاصة الاحداث السياسية والاجتماعية التي كان لها تأثير واضح في الانتاج الفكري والثقافي، و حركة التأليف التي اراد أصحابها رصد ابرزالأحداث، وقد كان الشعر والتاريخ من ابرز مظاهرها ومن خصائصها منذ بدايات القرن 19م فمن المؤلفينعالج مواضيع سياسية وأخرى إجتماعية، كما تعرضنا لكتابات تاريخية أرخ أصحابها لبعض الحوادث من نفس الصنف، والتي إكتست طابعا خاصا بإعتبار أصحابها إما عايشوا الأحداث أو نقلوها عن شهود عيان.

## المبحث الاول:

### العوامل المؤثرة في التطورات الثقافية في بايلك الشرق الجزائري:

لقد ساهمت العديد من العوامل المختلفة في التطورات التي عرفها الشرق الجزائري في نهاية العهد العثماني وكان لها تأثير مباشر على الحياة العلمية ومنتوجها الفكري ولا يمكن الحديث عن تطور الحياة الثقافية بمعزل عن أبرز الاحداث التي عرفها بايلك الشرق في هذه الفترة المدروسة ولهذا فان موقع البايك وامكانياته وامتداده أثر على هذه التطورات.

### المطلب الاول: دور الاوقاف في تطور الحياة الثقافية في بايلك الشرق

لقد اصبحت المؤسسات الوقفية لها دور في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وخاصة تأثيرها في الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، والتي إرتبط نشاطها بالمؤسسات الدينية والثقافية، وهذا ما ساعدها على الانتشار في العديد من المدن واريافه والتي اصبحت مع مرور الزمن هي الممول الرئيسي للمؤسسات التعليمية والثقافية<sup>1</sup>.

ففي المجال الديني كان للوقف دور في بناء المساجد والمعاهد الدينية، وفي مجال التربية والتعليم كان تأثيره واضح في الانفاق على التعليم والطلبة وإقامة المدارس والمكتبات، وتوفير مرتبات العاملين، نتج عنه

---

<sup>1</sup> عبيد بوداود: الوقف في المغرب الاسلامي ما بين 7-9هـ، ودوره في الحياة الاقتص ادية والثقافية، ط3، مكتبة

الرشاد للنشر، الجزائر، 2011، ص 496

انتشار المؤسسات الثقافية والدينية وتشديد الحكام لظاهرة الوقف التي ساهمت في إستقلالية التعليم، وتحرر العلماء والفقهاء من قيود الحاكم<sup>1</sup>.

ان للوقف الإسلامية أهمية كبيرة في حياة المجتمع من خلال الدور الذي قامت به مؤسساته الوقفية التي تنوعت داخلها وخصص معظمها للانفاق على جوانب الحياة التي مست المؤسسات الوقفية سواء في مناطق بايلك الشرق الجزائري او التابعة لها خارج الجزائر والمتمثلي في أوقاف مكة والمدينة، وهذه الأهمية نستطيع إجمالها في تعريف أبو القاسم سعد الله فيقول: "الوقف أو الحبس نظام إسلامي معروف وله أهمية اجتماعية واقتصادية كبيرة في المجتمع وإستحدثه المسلمون لتوفير المال والسكن وغيرهما من المساعدات للعلماء والطلبة والفقراء والغرباء والأسرى واللاجئين وصيانة المؤسسات التي انشئت لهذه الأغراض، ومع ذلك كان اللجوء الى الوقف وتحبس الممتلكات في بعض الفترات لحماية أملاك الافراد الشخصية او حمايتها من مصادرة السلطة لها<sup>2</sup>، وقد كانت النساء ايضا تستفيد من هذه الأوقاف ولاسيما عند الولادة كما استفاد منه اليتامى والفقراء، و كثيرا ما كانت الأسر تلجأ إلى الوقف لعدم ثقتها في صلاح الورثة<sup>3</sup>، ولكن كل هذه الأغراض لم تنقص من اهمية الوقف لان الهدف منه هو كسب الاجر من خلال ثانوية خدمة العلم ومساعدة الفقراء والمحتاجين وهذه هي الاغراض الحقيقية التي تأسست من خلالها المؤسسات التي كانت عاملا اساسيا من عوامل نشاط الحركة التعليمية والثقافية في بايلك الشرق.

<sup>1</sup> انتص ار عبد الجبار مص طفى يوسف: المقاصد التشريعية للأوقاف الإسلامية، مذكرة ماجستير في الفقه واص وله، جامع الأردن 2007-2008، ص 20

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الاسلامي، لبنان 1998، ص 161

<sup>3</sup> المرجع نفسه.

## أثر الوقف على الحياة والثقافية:

لقد إستعملت الأوقاف في العهد العثماني لتدعيم التعليم بمختلف مستوياتها فكانت مصدر تمويل المساجد والمدارس والكتاتيب والإنفاق على العلماء والطلبة ومصدر تمويل الزوايا والأضرحة فبناء المساجد كانت نتيجة المبادرات الفردية التي كان يقوم بها الحكام من تشييد المساجد، وحبس الأوقاف لها من مالهم وأملاكهم الخاصة فكثرت المساجد التعليمية بحواضر الجزائر خلال العهد العثماني<sup>1</sup>، وهذا الاهتمام بالأوقاف هو ميزة وامتداد لمظاهر الحضارة الإسلامية فقد ارتبط النشاط العلمي بالحياة الدينية فانتشرت المدارس كمرسبات وقفية ليكون التعليم مجاني كما أجاز الفقهاء الوقف على طلبة العلم<sup>2</sup> وفي الجزائر خلال العهد العثماني أصبح الوقف هو الممون الرئيسي للتعليم، فقد بنيت المعاهد والمدارس والكتاتيب والزوايا من خلاله بل إهتم أيضا بشؤون طلبة العلم من إيواء ومأكل، ، واقتناء الكتب، والإنفاق على العلماء والمدرسين، وبفضل أموال الأوقاف يتم تمويل المؤسسات الدينية و المدارس والزوايا والإنفاق على الطلبة من حفاظ القرآن الكريم والقائمين على خدمتها من الوكلاء وإطعام الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، وقد تنافس الحكام على انشاء المؤسسات الوقفية وهي ميزة الفترة العثمانية ولعل صالح باي قسنطينة في اواخر القرن 18م كان من اهم البايات الذين اهتموا بهذا المجال<sup>3</sup> وكان له اثر في انتشار المؤسسات الوقفية في الفترات اللاحقة الى نهاية العهد العثماني في بابلك الشرق الذي كان من اهم المقاطعات التي كان فيها للوقف مكانة ودورا خاصا.

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ط1، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 222.

<sup>2</sup> صالح: المالك تنمية موارد الاوقاف والحفاظة عليها، مؤتمر الاوقاف في المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى 1422هـ، ص 70.

<sup>3</sup> انظر سجل صالح: باي للاوقاف.

## تنظيم الأوقاف في بابلك الشرق الجزائري 1800-1837

لقد اولى البايات اهمية كبيرة لنظام الاوقاف ومؤسساته وربما قد رؤوا فيه عاملا لبسط سيطرتهم وللتقرب من العامة، وقد عرف الوقف انتشارا واسعا في هذه الحواضر وساهم في نشاطها الثقافي وذلك من خلال التنظيمات الإدارية التي انتشرت في نهاية القرن الثامن عشر وتطورتحلال بدايات القرن التاسع عشر ومن المناطق الهامة التي عرفت تنظيما للاوقاف في الشرق الجزائري في نهاية العهد العثاني نذكر:

### نظام الوقف في مدينة قسنطينة:

عرفت الاوقاف تنظيمات منذ عهد صالح باي، ومن اعماله الهامة التي عرف بهاالإشراف على تنظيم مؤسسة الأوقاف ورعايتها بعدما لاحظ التقصير في اوقاف المساجد والفوضى التي تسبب فيها الوكلاء من فسادا ونهباً وإهمال، فاصدر صالح باي قرارا في عام (1190هـ 1778م) كلف بموجبه القضاة ورجال الافتاء بمراقبتها ومنهم الشيخ عبد القادر الراشدي المفتي الحنفي وشعبان بن جلول القاضي الحنفيوالمالكي حيث كلفا بالاشراف على مراقبة عن أوقاف المساجد، وأمر بتقييد نتائج عملهم في سجل خاص<sup>1</sup>، وللحفاظ على هذه الدفاتر من الضياع أمر بنقلها في أربع نسخ تكون موزعة على أربعين من الموظفين السامين، وأربعة مؤسسات تحفظ الأولى عند كل بيت وكيل بيت المال والثانية عند شيخ البلد والثالثة عند قاضي الحنفية والرابعة عند قاضي المالكية<sup>2</sup>، كما قرر محاسبة الوكلاء في كل سنة أشهر وعهد إلى المجلس العلمي المكون من العلماء وصاحب بيت المال بالنظر إلى شؤونالأوقاف ومراقبة فائضها في كل سنة على ان يستعمل الفائض في شراء عقاراآخر يصبح بدوره وقفا<sup>3</sup>، ويحتوي

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص ص 66-67.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 69

<sup>3</sup> أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 229.

هذا السجل علن عقود عدلية صدرت عن المحكمة الشرعية لمدينة قسنطينة موثقة بتوقيع شاهدي العدل ومصادق عليها بخاتم القاضي وبعضها محتوم بطابع الباي صالح ويرجح انها تلك التي تخصه شخصيا<sup>1</sup>، وقد انتهج البايات فيما بعد نفس السياسة التي اعتمدت على الاهتمام بالأوقاف، فقد قام الباي حسين ابن صالح باي 1221هـ 1807م ببناء دار للولي سيدي علي العريان ومحمد بن سيدي السعيد واصلاح مسجده، وترميم أوقاف عديدة ساهمت في رعاية شؤون الطلبة<sup>2</sup>، وقد قدر عدد الاوقاف بقسنطينة وحدها حوالي 70وقفا منها 40وقفا واقعة على وادي الرمال إضافة الى اوقاف في الاراضي الاخرى<sup>3</sup>، وكان وكيل اوقاف العين ينفق ما يعادل 500فرنك من اجل نقل المياه الى الاحواض المنتشرة في المدينة بمقدار حمولتين لكل حوض<sup>4</sup>، وفي حقيقة الامر معظم الاوقاف كان قد بناها صالح باي في نهاية القرن التاسع عشر أما باقي الأوقاف فهي ترجع الى مساهمة أعيان وعائلات المنطقة ومنها ما يعود إلى وكيل بيت المال رضوان خوجة، وناظر مسجد سيدي السبعيني مصطفى قيصارلي الذي قام ببناء سيالة وأوقفها على المذهب الحنفي<sup>5</sup>.

أما في عهد احمد بايفقد قدر عدد الملكيات الوقفية بثلاثين وقفية منها ستة عشر وقفية خيرية اوقفت معظمها على الجامعو المدرسة واثني عشرة وقفية أهلية<sup>6</sup>، وفي عهده كان المقدم هو المسؤول المكلّف بشؤون الأملاك العقارية الوقفية في المدينة من أوقاف وحبوس وجميع عوائدها وإنفاقها المالية على عمليات

<sup>1</sup> نفسه

<sup>2</sup> ناصر الدين: سعيدوني: دراسات وأبحاث، ص 153.

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 154.

<sup>4</sup> ناصر الدين: سعيدوني: الوقف ومكانته، مجلة الأص الة، العدد 89-90، 1981، ص 70.

<sup>5</sup> ناصر الدين: سعيدوني: الوقف في الجزائر اثناء العهد العثملي، المرجع السابق، ص 70.

<sup>6</sup> قشي فاطمة الزهراء: قسنطينة في عهد صالح باي، ص 69

اصلاح ضرورية وما تتطلبه بعض الزوايا، وتوزيع بعض الصدقات بالإضافة الى تصرفه في البناءات التابعة للمساجد داخل مدينة قسنطينة<sup>1</sup>، وقد عمل احمد باي على تشجيع التعليم فأوقفت العديد من المدارس سواء المدارس الخاصة كما كان يتم إيواء المعلمين في مساكن موقوفة<sup>2</sup>.

## 2- نظام الوقف في بجاية:

من بين المناطق التي تميزت بنشاط الاعمال الوقفية منطقة بجاية القبائل وقد اصبحت الممول الرئيسي للزوايا والكتاتيب التي تأخذ مصادرها المالية من الاحباس العمومية التي أوقفها السكان لتأمين فوائد خيرية وقد تعدى الوقف الى الاشجار والغلال والزيتون والتين وحتى الحيوانات والحمامات خاصة في الارياف، ولم تكن المحلات التجارية المراكز الوحيدة التي يتم حبسها لاغراض خيرية بل تنوعت الاملاك المحبوسة من أراضي زراعية وحقول وحمامات وغيرها، وقد كانت منتشرة أكثر ببجاية منذ العصور الاسلامية خاصة خلال العهد الحفصي، ومست كل الطبقات فمثلا الامير ابو بكر الحفصيون العديد من الاحباس على جنده عند خروجه لمقاومة الاسبان<sup>3</sup>.

وعادة كانت الاوقاف يشرف على تسييرها واستغلال منتوجاتها اتباع الزاوية من الطلبة والقائمين عليها من ابناء الاسر المشرفة عليها كما كانت هناك وسيلة اخرى هي العمل الجماعي وهو شكل من

<sup>1</sup> ناصر الدين: سعيدوني: الوقف في الجزائر اثناء العهد العثماني، المرجع السابق، ص 74

<sup>2</sup> بوضرساية بوعزة: الحاج احمد باي، المرجع السابق، ص 83.

<sup>3</sup> صالح بعزيق: بجاية في العهد الحفصي، دراسة اجتماعية، المرجع السابق، ص 128.



وقد انتشر الوقف في هذه المنطقة لسببين رئيسيين:

تشجيع الحكام في المنطقة في فترة التحالف بين السلطة والمرابطين وهذا تقربا منها، وهذا العامل كان مشتركا في مختلف ارياف الشرق الجزائري عندما تحصل المتصوفة ورجال الدين على امتيازات مادية واحترام من قبل السلطة كما رأينا سابقا.

تشجيع القائمين على التعليم في نشره بين اوساط السكان لان السلطة تركت هذا المجال للسكان وربما طبيعة النظام العثماني وجهله لثقافات المنطقة ايضا.

ومن العوامل التي ساهمت في انتشار الوقف في المنطقة ان العديد من الاملاك الواسعة كانت ملكا للزوايا خاصة في المناطق المحيطة بالصومام مث زاوية الحداد التي لها املاك واقواف كثيرة.<sup>1</sup> وبسبب ابتعادها عن السلطة ورغبة المحبس في توفير مصدر رزق دائم وحفظ حقوق اليتامى والارامل وانتشار افكار التصوف في المنطقة،

ويمكن القول ان ان الوقف في منطقة القبائل كان على خلاف المناطق الاخرى حيث انتشر الوقف في الارياف اكثر من المدن خاصة وقف العقارات وارضى على الزوايا ومن الامثلة:

اقواف زاوية الشيخ يحي العيدالي التي كانت لها اراضي موقوفة تابعة لها والتي تعرضت للمصادرة في بداية الاحتلال واقواف اخرى عبارة عن اشجار زيتون بالاضافة الى حمام معدني موقوف والذي كان مصدرا لمدخل الزاوية في منطقة بني عباس وزاوية يحي العبدلي كانت وجهة للكثير من العلماء والفقهاء وطالبي العلم

---

<sup>1</sup> نفسه.

<sup>1</sup>، فهي تقع في القسم الجنوبي للقبائل إلى الجنوب من جبال جرجرة ويطلق عليها بنو عيذل نسبة إلى الشيخ ابو زكريا يحيى العبدلي لعدله بين الناس أما بالنسبة للزاوية فهي تقع في عرش بني عيذل وتنسب إلى مؤسسها سيدي يحيى العبدلي وهو عالم خليل من اعلام حوض الصومام<sup>2</sup>.

ان ظاهرة تحبب الحمامات كانت أكثر انتشارا في هذه المناطق وميزة خاصة ومنها زاوية بني جالة وحمام السيلال ببني وغليس الذي كان يمول كتاب القرية ويدفع من مداخيله راتب الشيخ<sup>3</sup>،

اما وقف زاوية تازملت بالقلعة التي تقع ببرج بوعريرج والوقف كان عبارة عن مساحة من الارض الخاصة بزراعة الحبوب تحرث وتحصد من قبل سكان المنطقة وتنتفع بها الزاوية خاصة للانفاق على الطلبة<sup>4</sup>. ومن المميزات ايضا ان الوقف كان أكثر انتشارا في هذه المناطق للانفاق على المؤسسات التعليمية خاصة في المناطق التي يسيرها المرابطون ورغم قلة المساحة الزراعية الا ان الاوقاف متنوعة فمنها اشجار الزيتون والضيعات والغرف والدكاكين ومعاصر الزيتون والمطاحن والتي كانت تمول العديد من زوايا المنطقة<sup>5</sup>.

---

<sup>1</sup>Noura BOUMALI. Amar BOUGAI : l'époque des hamadies. in Ousour jadada. vol. 7N2. 2016, pp24

<sup>2</sup>مُجد شافع بوعنابي: حاضرة تامقوت البجائية ومعهدا العبدلي من خلال مذكرات مُجد الطاهر ايت علجت، سراج، ع5، الجزائر 2019، ص 13

<sup>3</sup>مُجد اكلي ايت سوكي: تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل ...، المرجع السابق، ص 132.

<sup>4</sup>زيد بن قاسيمي: الوقف بمنطقة القبائل ... المرجع السابق، ص 237.

<sup>5</sup>مُجد اكلي ايت سوكي: تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل..، المرجع السابق، ص 133.

### 3- نظام الوقف في مدينة بسكرة

كان من عوامل انتشار الأوقاف في بسكرة إتفاق علماء المنطقة علالإفتاء حسب المذهب الحنفي الذي أكد على الحبس الأهلي تشجيعا للوقف وكسبا للأجر، كما جاء في رسوم تجبيس محكمة طولقة عبارة ترددت غالبا في جميع الوثائق بأنه تم الأخذ بالمذهب الحنفي، ومن العوامل أيضا تلك الفتاوى التي كانت تصدر والتي سمحت بالحبس والوقف الحنفي وقد انتشرتفي نهاية 18 م وأوائل القرن 19مخاصة خلال الربع الاول منه، إضافة الى عامل انتشار الطريقة ودور المرابطين، حيث كثرت اوقاف المرابطين مع تشجيع الحكام وموظفي الدولة وزيادة الاراضي الموقوفة منها رغبة المحبسفي توفير مصدر رزقه دائم، ومن اجل المحافظة عللامتيازاتالتي حصل عليها مقابل خدمات قدمها للسلطةوتجبيس الفرد لأملاكه كان هدفه أيضا الحيلولة دون استيلاء أصحاب السلطة عليهما، وهو افضل السبل للمحافظة على الملكية<sup>1</sup>، وهكذاانتشر الوقف في هذه المناطق الجنوبية الشرقية للبايلك سواء في الواحات او المدن<sup>2</sup>.

و رغم تواجد هذه المؤسسات لكنها لم تكن بالكثرة التي عرفتها العاصمة ولهذا كان الاهتمام بها من قبلالادارة الفرنسية فيما بعد ضعيفا، ولهذا تاخر تطبيق القرارات حولها الى ما بعد احتلال الجنوب 1870.

وقد اختلفت الملكيات الوقفية في الجنوب نظرا للظروف السائدة، فقد كانت العلاقة بين السكان والأرض ثابتة في الشمال مما أدى إلى بروز الملكية عكس الجنوب فعادة تكون الاملاك الموقوفة من نخيل ومنازل الابناء والسبل الزوار والرحل والحجيج<sup>3</sup>، وقد قام الحكام بتشجيع التجبيس لعدة أسباب منها قوة

<sup>1</sup> نفطي وافية: الحياة الاجتماعية والثقافية في منطقة بسكرة، المرجع السابق، ص ، ص 32-33

<sup>2</sup> نفسه

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص ص 43-44.

المرابطين وانتشار زواياهم حتى ان البايات كانوا يعفون الزوايا من الضرائب ومن بينها زاوية الاخضري ببسكرة التي اعفيت تماما من الالتزامات المخزنية كما ساهموا أيضا في زيارة أملاك محبسها<sup>1</sup>.

ولهذا كانت فئة المرابطين قد شكلت نسبة عالية في عقود التحبب نظرا للعقارات التي تملكها وكانت أكبر العائلات المرابطية بطولقة وهي عائلة سيدي علي بن عثمان وهو مؤسس الزاوية العثمانية الرحمانية بطولقة، وهو الذي اشرف على الزاوية العزوية بالبرج عندما هاجر المرابط الشيخ سيدي مصطفى بن عزوز الى تونس سنة 1294هـ/1843م، اي قبل دخول فرنسا الى بسكرة، وكانت عائلة بوزيان ايضا عائلة كبيرة بطولقة ببسكرة وكانت لها املاك كثيرة وهاجرت ايضا الى تونس<sup>2</sup>، وقد اتخذت من اقليم الجريد وجهة لها نظرا لامتداد الطبيعي مع الصحراء الشرقية للجزائر وتشابه المعطيات الاجتماعية والثقافية والعمرانية مع بعض القرى والمناطق الجزائرية<sup>3</sup>. وقد كان للعلماء موقف خاص من انتشار ظاهرة وقف الاملاك في هذه المناطق الجنوبية خاصة الزيبان وبرز ذلك من خلال القضايا والفتاوى التي اصدرت بسبب الوقف.

لقد اجتهد علماء المنطقة حول هذه الظاهرة الاكثر انتشارا في تلك المناطق فصدرت العديد من الفتاوى وتمنع الحبس الذي كان الغرض منه حرمان البنت منه، ومن الفتاوى الصادرة آنذاك فتاوى الشيخ محمد بن عيسبن الموفق العقبي في أواخر القرن 12هـ/18م الذي افتى بمنع الحبس المعقود على البنين دون البنات لبطلانه<sup>4</sup>، وقد قامت ضجة كبيرة بين مؤيد ورافض لها وسط علماء الزيبان الامر الذي اقتضى تنصيب مجلس علماء الزيبان، والذي اصبح يرجع العلماء في المشكلات التي فيها، وكان اشهر العلماء الشيخ خليفة بن الحسن

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 47

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 48

<sup>3</sup> Abd H HNIA : **le Jried**, op cit. p 176

<sup>4</sup> نفطي وافية: الحياة الاجتماعية والثقافية في منطقة بسكرة...، المرجع السابق، ص 81.

القماري ناظم شيخ خليل، الذي قام بكتابة نص الفتوى والذي اجاز بيع تلك الاحباس وأجاز التصرف فيها كملك خاص<sup>1</sup>.

لقد كانت مؤسسات الاحباس مصدر لتمويل المؤسسات الثقافية والتعليمية والخاصة بالمساجد والزوايا مثل الجامع الكبير ببسكرة ومسجد سيدي عقبة، وكان عدد الزوايا اكثر من المساجد والمدارس في الجنوب الشرقي خلال العهد العثماني، كما كان للنسوة احباس، وهذه الظاهرة المتمثلة في تحبيس النساء للاملاك والثروة كان لها اثر كبير وقد تعددت الثروات المحبوسة من نخيل وغيرها ومثال ذلك وقف السيدة حدة بنت رابع لثلاث نخلات والسيدة تركية بنت عبد الله لنخلة واحدة<sup>2</sup>، وكانت النسوة تحبس جزء من الثروة المتمثل في الذهب او الفضة او اللباس او حتى عقارات موروثه، وهذا ما بينته العديد من الوثائق الخاصة بالمحاكم الشرعية، وكانت الصدقات علالاولياء في معظمها من النساء، وهذه الصدقات لانفاق على الطلبة وعلى شؤون المسجد، وصيانة الاضرحة والوكيل والخادم، وكان الباقي من الصدقات يوزع على الفقراء وأبناء السبيل<sup>3</sup>

### - نماذج من المؤسسات الوقفية في بايلك الشرق الجزائري.

عرفت الأوقاف أواخر العهد العثماني تزايد واضحفي الاملاك الموقوفة، وقد كان لكل مؤسسة دورها وخصائصها، ومن بين هذه المؤسسات نذكر:

<sup>1</sup> نفسه.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 88

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 89

## -مؤسسة أوقاف سبل الخيرات الحنفية

هي مؤسسة شبه رسمية كانت تشرف على جميع الأوقاف المتعلقة بخدمة المذهب الحنفي من زوايا ومدارس وموظفين، ووكان يديرها جماعة يعينها الباى وإهتمت هذه المؤسسة أيضاً بالمشاريع الخيرية كإصلاح الطرق ومد قنوات الري<sup>1</sup>.

## -مؤسسة الحرمين الشريفين (مكة والمدينة)

كانت من أقدم المؤسسات الالوقفية فهي تعود إلما قبلالعهء العثماني، وقء كان لها أهمية كبيرة في المجال السياسي، فقء كانت تبرز دور الجزائر ومساهمتها عن طريق ركب الحج الجزائري المتجه إلى مكة والمدينة، وقء قءرها القنصل الفرنسي عام 1837م بحوالي 1558 عقارا وتعادل 4/3 من مجموع العقارات الموقوفة في الجزائر<sup>2</sup>، وقء حظيت هذه المؤسسة بأغلبية الأوقاف ايضا في مدينة قسنطينة، ويعود هذا إلالأهمية التي احتلتها الأماكن المقدسة في قلوب الجزائريين<sup>3</sup>، وكانء أموالها تعود إلى الفقراء الحرمين وذلك كل سنتين<sup>4</sup>.

## -مؤسسة بيت المال:

كانء هذه المؤسسة مؤسسة سياسية خيرية حيث كانء تشرف وترعى أموال اليتامى والاملاك التي تصاءره الءولة وإهتمء المؤسسة بإعانة أبناء السبيل والفقراء، كما اهتمء بشؤون الخارج وشراء العءاء وكانء تشرف على إقامة المرافق العمومية كالطرق والجسور كما كانء تقوم ببعض الأعمال الخيرية مثل دفن الموتى من اموات الطبقات الفقيرة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص 362

<sup>2</sup> عبد الرحمن عبد القادر: اوقاف الحرمين الشريفين، مؤتمر الاوقاف في المملكة العربية السعودية، جامعة ام

## القرى1422

<sup>3</sup> ناصر الدين: سعيدوني: دراسات في الملكية والوقف، المرجع السابق، ص 84

<sup>4</sup> احمد مريوش: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، المركز الوطني للدراسات والابحاث في الحركة الوطنية،

الجوائر 2007، ص 216

<sup>5</sup> نفس المرجع، ص 218

## -أوقاف الزوايا والاولياء والاشراف:

كانت لفئة الأشراف اوقاف خاصة، وقد كانت لها هيئة خاصة وكان يشرف عليها وكيل خاص، وتعود أغلب أحباس هذه المؤسسات إلى الانفاق أضرحة الاولياء الصالحين والمدارس والأشراف حيث شملت مهمة هذه الاحباس تسديد أوقاف بيت المال التي كانت منتشرة في مختلف المدن ومنها مدينة قسنطينة<sup>1</sup>

## -أوقاف المرافق العامة (الطرق، العيون والسواقي)

كانت ضمن اوقاف الرعايا الاجتماعية والاحسان العام وتوفير مياه الشرب وهي منشآت عرفت في البلاد الاسلامية ازدهرت الى حد كبير وتسمى الاسبله والغرض منها هو تسهيل الحصول على مياه الشرب للناس والحيوان فاوقفت العقارات والاراضي ومن ربح الاوقاف الخيرية يتم حفر الابار<sup>2</sup> اما في بايلك الشرق فكانت تسمبالمؤسسات غير الدينية، وقد كانت اهدافها دينية اي الرغبة في الثواب، وإيواء عابري السبيل، وقد أوقفت أملاك داخل مدينة قسنطينة وخارجها بالانفاق على المرافق العامة كالطرق والسواقي<sup>3</sup>.

## المطلب الثاني: دور الأسر العلمية والعائلات الكبرى:

كثيرا ما تنافست الاسر العلمية على مناصب التدريس والافتاء وتدخل السلطة لفك النزاع حول منع البعض من التدريس وفي مدن بايلك الشرق الكبرى خاصة قسنطينة كان لهذه العائلات دورا هاما الى جانب السلطة، وقد منحت لها مناصب ووظائف ادارية هامة انفردت بها وتوارثتها ومنها منصب امير ركب الحج الذي كان حكرا على اسرة ابن الفكون الى غاية الاحتلال وهذه المناصب كانت تمنح وفق شروط كان اهمها المكانة العلمية والاجتماعية ولهذا كانت مساهمتها عالية في الحياة الثقافية والعلمية والدينية.

<sup>1</sup> ناصر الدين: سعيدوي: دراسات في الملكية والوقف، المرجع السابق، ص 100

<sup>2</sup> صالح المالك: تنمية موارد الاوقاف، المرجع السابق، ص 68.

<sup>3</sup> نفسه.

ومن العائلات العلمية التي حلت بالجزائر وكانت اصولها اجنبية عائلة ابن العنابي التي استقرت بمدينة عنابة ثم انتقلت الى العاصمة، وتولت الوظائف الدينية العليا كالقضاء والفتوى، وكان من ابنائها المفتي محمود بن محمود ابن العنابي الذي اُفتى في شؤون العصر، ولف كتابا هاما في موضوعه والذي تضمن ضرورة منافسة الاوربيين في تقدمهم الاقتصادي والصناعي والفكري، وسماه السعي المحمود في نظام الجنود، وطالب الدولة العثمانية بتجديد الدولة والاصلاح وأيدهم في القضاء على الانكشارية، وعندما تعرضت الجزائر لحملة اكسموث سنة 1816، أرسل الشيخ من قبل الداى عمر باشا الى السلطان العثماني محمود وبهدف مقابلة مفتي اسطنبول وبعض العلماء<sup>1</sup>

كما كان لاسرة البوني في عنابة مكانة هامة فقد جمعت ما بين العلم والصلاح وسيطرت روحيا على المدينة ونواحيها مدة طويلة بلغت القرنين من الزمن تقريبا وحتى مع العثمانيين كانت لها مكانة هامة وعرفت بانتاجها الفكري<sup>2</sup> وخاصة الانتاج العلمي في مجال الطب<sup>3</sup>.

وكانت لهذه العائلات مكانة خاصة حتى انهم كانوا يرسلون شكاوي الى الداى في بعض الاحيان بمفردهم عندما يحتجون على قضايا او يرون تجاوزات ما، ومثال على ذلك فقد ارسل هؤلاء شكوى الى الداى حسين ضد بكير خوجة الذي كان خليفة للباي مُجَّد منماني 1822-1824م، بعدما اشتكى منه

---

<sup>1</sup> نفسه

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 64.

<sup>3</sup> عرف أبو القاسم البوني بتأليف كتاب اعلام القريجة وهو كتاب في جراحة الاعين

العامة من تصرفاته السيئة حيث قيل انه كان يشرب الخمر في رمضان ويجاهر بذلك دون ان يضع له الباي حدا لتصرفاته<sup>1</sup>،

وقد جاء في رسالة من احمد باي الى الداى حسين مضمونها اخبار الداى بهروب خليفة احمد باي بعد ان فسد سلوكه وتضيف الرسالة انه صار يشرب الخمر حتى في شهر رمضان كما شهد عليه العلماء<sup>2</sup> ولهذا فقد حطي هؤلاء بمكانة هامة الى جانب السلطة، فقد وظف الحاج احمد باي مجموعة من العلماء الحضري في مجلسه سنة 1830، حفاظا على المعاملات الاقتصادية بين الارياف والمدن<sup>3</sup>. اضافة الى ان الكثير من هؤلاء قد تولوا مناصب ادارية فاصبح لهم الحق في ممارسة مهام سياسية مثل المترجم وقارئ الرسائل وكاتب العقود وناسخي الكتابات العربية<sup>4</sup>.

ونتيجة للاحتكاك مع شرائح المجتمع من خلال النظر في الشؤون والقضايا والمصالح الامنية، فقد سعى البايات في قسنطينة الى كسب ولاء هذه الاسر حيث منحت لهم مناصب شيخ البلد المسير لاملاك البلد، والمشرف على امناء الحرف في البوادي، وغيرها وقد كان لعائلة المقراني في منطقة القبائل مثلا مكانة هامة وساهمت في النشاطات التعليمية والخيرية وكانت على اتصال دائم مع سلطة الباي<sup>5</sup>. كما اشتهرت بعض العائلات رقسطنية وقد كانت لها مكانة اجتماعية وعلمية مثل عائلة ابن الفكون وابن باديس وابن جلول، وفي منطقة الزيبان اشتهرت عائلة بن عزوز البرجي في الزيبان، وقبيلة البوازيد حول طولقة وقد

<sup>1</sup> م، سهر ماهود مُجد: الموظفون العثمانيون في ايالة الجزائر ...، المرجع السابق، ص 399

<sup>2</sup> ارشيف المكتبة الوطنية بالحامة، المجموعة، 1242.

م ص هر ماهود: الموظفون العثمانيون في ايالة الجزائر ... المرجع السابق، ص 399.

<sup>4</sup> نفسه

نفس المرجع، ص 395<sup>5</sup>

هاجرت عائلة منها الى قسنطينة وخلالها ولد أحد ابناءها وهو مُجد الشادلي القسنطيني سنة  
1222هـ 1807م<sup>1</sup>

لقد اصبح لهذه الاسر والعائلات مساهمة ثقافية كبرى ودليل ذلك حجم المكتبات التي كانت تملكها  
خاصة في عاصمة البايك قسنطينة، فقد تحصل ادريان بربريجر اثناء مرافقته للفيلق الثاني الذي دخل  
قسنطينة سنة 1837م، على حوالي 800 مخطوط<sup>2</sup> وكذلك المخطوطات والوثائق والمخطوطات التي جمعها  
المستشرق دوسلان خلال مهمته العلمية واستغلاله لرصيد مكتبة سيدي حمودة ابن الفكون، والتي ضمت  
انذاك حوالي 2500 مجلد، من نفائس المخطوطات ومكتبة باش تارزي التي ضمت حوالي 500 مجلد<sup>3</sup>.  
ولهذا يمكننا القول ان الاسر والعائلات الكبرى كانت من اهم عوامل انتشار الحركة العلمية والثقافية في  
باييك الشرق خاصة في ظل عزوف وتراجع السلطة عن دعم الحياة الثقافية.

### المطلب الثالث: تأثير الهجرة العلمية المتبادلة بين ايالة تونس وباييك الشرق الجزائري

لقد كانت الهجرة العلمية مظهرا هاما ودليل علالتواصل العلمي خاصة بين الشرق الجزائري وتونس وقد  
كان من ابرز الاسباب المؤثرة في الحركة العلمية والثقافية في باييك الشرق الجزائري، وهذا التواصل والهجرة  
التي مست الطلبة والعلماء تحكمت فيها العديد من العوامل منها ما هو سياسي وديني و علمي و  
اقتصادي، و قد ذكرت كتب التراجم ثلة من العلماء المهاجرين بين المنطقتين الحدوديتين وهذا يعد مظهرا

---

ابو القاسم سعد الله: مُجد الشادلي القسنطيني، 1807-1877، دراسة من خلال رسائله وشعره، ش، و، ن،  
ت1974، ص 14-15. <sup>1</sup>

ناصر الدين: سعيدوني: دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، ش و ن ت، الجزائر، 1984، ص 340<sup>2</sup>

<sup>3</sup>Rapport De Slane a M le ministre de l'instiction publique ;1846

من مظاهر التّواصل الذي كان قائما في فترة زمنية تشابه فيها النظام السياسي والتداخل الطبيعي بين المنطقتين.

وقد كانت الهجرة الخارجيّة للعلماء والطلبة قد اختلفت بين الهجرة المؤقتة التي كانت في أغلب الأحيان لطلب العلم أو اداء فريضة الحج مرورا بتونس أو الهجرة الدائمة التي كانت في أغلب الأحيان هروبا من الأوضاع غير المرضية<sup>1</sup>.

### دوافع الهجرة

ومن دوافع هذه الهجرة ما يلي:

**الدّافع الدينيّ (أداء فريضة الحجّ) :** كان الجزائريّون يتردّدون على بلاد المشرق الإسلاميّ لأسباب مختلفة أهمّها اداء فريضة الحج والتجارة و طلب العلم، و كان الحجاج من مناطق الشرق الجزائري يفضلون الطريق البري المار بتونس لانه اقل تكلفة و اقل خطرا حيث يمرّون بالأراضي التّونسيّة ذهابا و إيابا ودليل ذلك ما جاء في بعض المراسلات بين بايات الشرق الجزائري و حكام تونس حول طلب تسهيل العبور لبعض الشيوخ الى تونس لتسهيل الذهاب برا الى البقاع المقدسة<sup>2</sup>، و لما كانت القافلة أو ركّب الحجّ يحطّ الرّحال

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 423.

<sup>2</sup> الأرشيف الوطني التونسي، الحافظة 223، الملف 384، مراسلات ص ادرّة بين مؤلّفين جزائريين موجهة الى باي

بأيّ منطقة من أراضيها ينصرف المسافرون أو الحجاج لقضاء حوائجهم و شراء ما يلزمهم و يستغلّ العلماء و طلبة العلم الفرصة للقاء علمائها وغيرهم لأخذ العلم و إعطائه<sup>1</sup>.

بالإضافة الى تأثير الحياة الصوفية والمتصوفة كعامل ديني محفز للهجرة، فقد سيطرت ذهنية التصوف على الحياة الثقافية واعتقد بها الناس كثيرا سواء كانوا متعلمين ام لا، وقد دفع التصوف ببعض المريدين والاتباع للارتحال بنية البحث عن شيخ يتبركون به و يجالسونه و ينتفعون به ليتعلموا منه التصوف واصوله وتعلم الطريقة عن شيخ او زاهد<sup>2</sup>. ولهذا كانت الرحلات الجزائرية تتناول اخبار فيها التصوف وذكر الاولياء والزهاد وخاصة الرحلات الحجازية مثل رحلة الورثلاني الذي تحدث في رحلته كثيرا عن احداث تعلقت بالتصوف<sup>3</sup>.

كما قام بعض الرحالة الجزائريين بزيارة قبور الأولياء والصالحين في بعض المدن التونسية ومنهم أبوراس ناصري عندما ذهب الى القيروان سنة 1799م فقام بزيارة أضرحة صلحاء المدينة<sup>4</sup>.

**الدافع العلمي:** لقد اهتم البايات في تونس عناية كبيرة بالحياة الدينية والعلمية، و هذا ما أدى إلى كثرة المدارس و مختلف المؤسسات الثقافية بتونس، و كثرة الأوقاف التي تنفق على تلك المؤسسات و على

---

<sup>1</sup> لرغم فوزية: العلماء الجزائريون بتونس خلال عهد الدايات 1671 / 1830م ودورهم في مدّ جسور التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، مجلّة الخلدوتية، 2020، ص 95.

<sup>2</sup> الطاهر حسيني: الرحلات الجزائرية في العهد العثماني، رسالة دكتوراه في الادب العربي، جامعة قاص دي مباح، ورقلة 2013-2014، ص 83،

<sup>3</sup> انظر كتاب رحلة الورثلاني، ط1، الجزائر، 2008.

<sup>4</sup> صالحبوسليم و عائشة حممة: من مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر و تونس خلال العهد العثماني 1519/

1830م هجرة العلماء و الطلبة الجزائريين إلى تونس أمودجا، مجلّة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، ع 19، ص 222.

المعلّمين و المتعلّمين، و قد كان العلماء الجزائريّون يدركون تفوّق الحركة العلميّة بتونس لذلك فقد كانت تونس ملجأ لتوافد العلماء الجزائريّون عليها<sup>1</sup>، ويمكن القول كذلك ان اصلاحات حمودة باشا الاقتصادية والعمرانية والثقافية ساهمت في نهوض الحركة العلمية بتونس وحواضرها الثقافية كما ذكرنا سابقا.

**الدّافع السّياسي:** ان التضارب المصلحي بين السياسة الاتراك ورجال العلم والدين كانت من ابرز العوامل التي ساهمت في الهجرة، ودليل ذلك تلك الحملة التي قادها الشعراء ضد العثمانيين واتباعهم حين وجهوا لهم سهام الهجاء من خلال الاشعار<sup>2</sup> ويرى البعض أنّ القضية ترجع إلى معارضة العلماء للحكّام العثمانيين خاصة أواخر العهد العثمانيّ لسياستهم الخاطئة<sup>3</sup> و قد تحدّث عنها العديد من العلماء من بينهم مسلم عبد القادر في قوله: " إنّ العثمانيين لم يكونوا أهلا للحكم في أواخر حكمهم ... لم تكن سياستهم فيها رشيدة، و لا كان حكمهم فيها عادلا على العموم، فكان من الطّبيعيّ أن يكثّر النّاقمون و الثّائرون عليهم ... "4.

كما كان لتاثير سياسة القسوة والظلم التي تميز بها بعض الحكّام العثمانيين واحتكارهم السّلطة، وقد أدّت هذه الطّروف ببعض العلماء إلى القيام برحلات نحو تونس و غيرها من البلدان هروبا من الأوضاع المزرية والتي عرفتها فترة نهاية العهد العثماني.

<sup>1</sup> لرغم فوزيّة: البيوتات والاسر العلمية ... المرجع السابق، المرجع السابق، ص 95.

<sup>2</sup> الطاهر حسيني: الرحلة الجزائرية. المرجع السابق، ص 90.

<sup>3</sup> لبصير سعاد: دوافع الهجرة الدّينية و العلميّة من الجزائر في العهد العثمانيّ، 1830 / 1516، أعمال الملتقى

العلميّ الأوّل سوسيولوجية الهجرة الجزائريّة في تاريخ الماضي والحاضر، مخبر الدّراسات و الأبحاث الاجتماعيّة التّاريخيّة حول الهجرة و الرّحلة، جامعة منتوري، قسنطينة، ماي، 2008، ص 48.

<sup>4</sup> مسلم بن عبد القادر الوهراني: أنيس الغريب و المسافر، تح رابح بونار، د ط، الشركة الوطنيّة للنّشر و التّوزيع،

الجزائر، ص 55.

**الدّافع الاقتصاديّ:** تأثير السياسة الجبائية الضريبية المحففة التي أتهكت السكّان دون مراعاة لظروفهم المزرية؛ حيث هدّد التّظام الضّريبيّ العثمانيّ في الجزائر مصالّح رجال الدّين و العلم الذين تمّتّعوا لفترات طويلة بهذه الأموال ثم فرضت عليهم في شكل هبات وغرامات<sup>1</sup> واصبح النظام الضريبي واعمال الجباية يخدم مصالح فئة معينة ولا يخضع لضوابط سليمة وهذا ما عبر عنه نقيب الشراف الجزائريّ أحمد الشّريف الزهار في مذكّراته بقوله: " وضع الأوائل الجباية على المنهج الشرعيّ، و الأواخر صاروا يخرجون المخالّات لاستخلاص المغارم و الظّلّمات ونهب أموال المسلمين، وما صار هذا حتّى أصبح النّاس فجّارا و الأمراء ظالمين"<sup>2</sup>.

ومن العوامل التي ساهمت في الهجرة دورالقوافل التّجاريّة التي كانت تتعدى الحدود الشرقية وتتجه الى المدن التونسية فقد هاجرت بعض العائلات ومنها عائلة بوزيان وهي عائلة ثرية بطولقة ببسكرة الى تونس واختارت منطقة الجريد نظرا للامتداد الطبيعي بين الجريد والجنوب الشرقي للجزائر، كما كانت ايضا نقطة ذهاب وايباب للحجيج من بسكرة، ولهذا ساهمت تلك العوامل في بروز جو من التبادل العلمي والثقافي<sup>3</sup>، وباعتبار هذا الاقليم اي الجريد يضم عدة مدن وهي توزر وقفصة ونفزاوة والحامة وقابس وهي شبيهة بمدن الزاب بالجنوب القسنطيني<sup>4</sup>، كما هاجرت ايضا من نفس المنطقة عائلة سيدي علي بن عمر<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> لبصير سعاد: دوافع الهجرة الدّينية و العلميّة ... المرجع السّابق، ص 67.

<sup>2</sup> : مذكّرات الحاج أحمد الشّريف الزهار، المصدر السابق، ص 35.

<sup>3</sup> Abd H .HNIA :**Le Jried** ،op cit :p176

<sup>4</sup> نفطي وافية:الحياة الاجتماعية والثقافية بمنطقة بسكرة ... المرجع السابق، ص 63

<sup>5</sup> نفسه.

ولهذا يمكن اعتبار المناطق الحدودية من كلا الايالتين أكبر المناطق التي عرفت هجرات متواصلة في نهاية العهد العثماني الى الاحتلال الفرنسي وخاصة من المناطق الحدودية بالخضارة واولاد مومن والحدادة واولاد خليفة وغيرها من المناطق الحدودية بسوق اهراس خاصة في نهاية العهد العثماني حيث قدر عدد خيام العائلات سنة 1830 الى تونس ب 435 خيمة ثم منطقة القالب 154 خيمة ثم منطقة قامة، خاصة نحو منطقة الكاف التونسية بعد الاحتلال اي منذ سنة 1840.<sup>1</sup>

كما بينت الاحصائيات التوافد الكبير للمهاجرين خاصة منذ سنة 1830 الى التراب التونسي من الشرق الجزائري عامة، حيث قدر العدد بحوالي 4456 مهاجر اي بنسبة 49,70% من عدد المهاجرين، ويرجع ذلك الى تشجيع تونس على امتلاك العقارات داخل اراضيها وهذا حسب تقرير القنصل العام الفرنسي بتونس.<sup>2</sup>

ولهذه الاسباب كانت المنطقة الحدودية مع تونس ضمن اهتمامات الادارة الفرنسية فيما بعد، حيث فرضت الادارة الفرنسية منذ تاريخ 1831 رخصة لتنقل الاشخاص بين الحدود التونسية والحدود الشرقية للجزائر لكن سابقا لم تكن هنالك حواجز او عراقيل قانونية.<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> AïOM, serie 25H16, **Etat général par tribus des tentes algériennes établies sur territoire tunisien**

<sup>2</sup> أحمد بن جابو: المهاجرون الجزائريين بتونس 1830-1954، اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة تلمسان، 2010-2011، ص ... ..

<sup>3</sup> Voir : ANOM ;36K32, **Affaires tunisiennes avans 1881. AOM ;36K34** ، Sercla de souk ahras ,rapport frontiere algero-tunisienne.

## نماذج من العلماء الجزائريين الذين هاجروا إلى تونس

لقد خلفت الهجرة إلى تونس ثلاثة اصناف من المهاجرين العلماء:

صنف منهم سكن تونس بصفة دائمة و مات فيها.

صنف رحل إلى تونس بصفة مؤقتة حيث رجع إلى الجزائر بعد استكمال دراسته.

صنف أقام في تونس بصفة مؤقتة و دخلها لفترة محدودة ثم رجع لموطنه<sup>1</sup> و نذكر من هؤلاء العلماء:

**محمد بن محمود بن محمد بن العنابي ( 1775م / 1850م )** : هو محمد بن محمود بن محمد بن العنابي فقيه و قاض و مفتي من العلماء الأحناف من مواليد مدينة الجزائر سنة 1775م.<sup>2</sup> و نشأ و درس و تتقّف بها بثقافة عصره، و تتلمذ على علمائها و منهم والده وحده، قرأ على والده محمود بن محمد القرآن الكريم، و مختلف العلوم المتداولة في ذلك العصر،<sup>3</sup> حلّ ابن العنابي في تونس في أواخر سنة 1244هـ/1829م و بقي فيها مدّة من الوقت معزّزا مكرّما، و قد أحاط به العلماء و لا سيما أسرة بيرم،

<sup>1</sup> خير الدين: شترة: الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900/1956م، ج 2، د ط، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص 908.

<sup>2</sup> أحمد سلطاني: من قضايا الإصلاحيين عند المفتي الجزائري ابن العنابي 1775/1850م، العبر للدراسات التاريخية و الأثرية، مج 1، ع 2، سبتمبر 2018، ص 294.

<sup>3</sup> فوزية لزغم: البيوتات والأسر العلمية... المرجع السابق، ص 74.

وكلّهم أشادوا به و استجازوه ونوّهوا بعلمه و مدحوه بالنّثر والشّعر، كما أنّ باي تونس آنذاك أحاطه بالتّعظيم و التّبجيل و قد غادرها إلى الجزائر سنة 1245هـ/1830م<sup>1</sup>.

**محمد صالح الرّحموني الزواوي (1739م/1826م)** : هو محمد الصّالح بن سليمان بن محمد بن محمد بن أبي القاسم الطّالب الرّحموني نسبة إلى أولاد رحمون،<sup>2</sup> وهو أديب نحويّ تعلّم في تونس أواخر القرن الثّامن عشر فعاد و درس في جبل في جبل بني عيسى ثمّ جبل جرجرة إلى أن توفي بها<sup>3</sup>.

**أبو حفص عمر بن المؤدب (ت 1829م)** : نشأ هذا الشّيخ في طلب العلم و حصّل ودرس في جامع الزّيّتونة و تقدّم به إماما ثالثا في سنة 1805م كان فقيها وجيها فاضلا ذا همّة عالية، وأنفاس على التّقوى، ملازما لجامع الزّيّتونة إلى أن توفّي في 15 نوفمبر 1829م.<sup>4</sup>

**أبو العباس أحمد العوّادي (ت 1828)** : أصل هذا الشّيخ من العواودة أحد عروش قسنطينة، و هاجر في طلب العلم إلى تونس، فأخذ عن أعلامها كالشّيخ حسن الشّريف، و الشّيخ صالح الكوّاش و

---

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله: رائد التّجديد الإسلاميّ محمد بن العنّابي، ط2، دار الغرب الإسلاميّ، الجزائر، د س ن، ص 37، 38.

<sup>2</sup> أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج2، د ط، مطبعة بيب فونتانا الشّرقية، الجزائر، 1906، ص 522.

<sup>3</sup> عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من ص در الإسلام حتّى العصر الحاضر، د ط، مؤسسة نويهض: التّقافية، لبنان، 1980، ص 146.

<sup>4</sup> أحمد بن أبي الضّيّاف: إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، مج 4، ج 7، د ط، الدّار العربيّة للكتاب، د م ن، 1999، ص 156.

درس بجامع الزيتونة وولي القضاء بماطر، استدعاه الوزير يوسف صاحب الطّابع إلى التدريس بجامعه فدرس "المختصر الخليلي" يشرح "ألفيّة ابن مالك" إلى غاية وفاته في جانفي 1828م<sup>1</sup>.

**مصطفى بن الشّاوش القسنطيني (ت 1836م)** : هو الشّيخ أبو الوفاء مصطفى بن الشّاوش أديب زمانه و فريد أوانه، ذو العلم الجليل و الفضل الشّهير كان متعلّقا بالمذهب الحنفيّ، هاجر إلى تونس، و أخذ عن الشّيخ صالح بتونس، و رجع لقسنطينة فدرس و قرأ و خطب بالجامع الأخضر، توفّي سنة 1836م.<sup>2</sup>

**محمد الحفصي القسنطيني (ت 1811م)** : هو محمد الحفصي القسنطيني أبو عبد الله حافظ للحديث مدرك لدقائقه وعلله ورجاله، من كبار فقهاء المالكيّة في وقته، أخذ عن صالح الكواشي وغيره بتونس، وولي قضاء قسنطينة وتوفّي بها.<sup>3</sup>

وقد ساهمت هذه الفئة أيضا في الحياة العلمية والثقافية بتونس ودليل ذلك الاجازات العلمية ومنها اجازات علماء الشرق الجزائري حيث منح محمد بن محمود العنّابي إجازتين لمحمد بيرم فالأولى كتابيّة عدّد فيها طرق تلقّيه لكتب الحديث و الفقه، أمّا الإجازة الثّانية شفهيّة تتعلّق بأحزاب الشاذلي بالإضافة إلى أنّ مصطفى بيرم قد استجاز أيضا ابن العنّابي بقصيدة تصوّر مدى احترام علماء تونس لابن العنّابي، و لا

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 151.

<sup>2</sup> أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج 2 المرجع السابق، ص 568، 569.

<sup>3</sup> عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر ... ، المرجع السابق، ص 264.

شكّ أنّ ابن العنّابي لبيّ رغبة هذا الطّالب و أجازه لأنّه كان يجيز كلّ من يدرك حياته<sup>1</sup> واجازة البوني والراشدي محمد مرتضى الزبيدي<sup>2</sup>.

ورغم رحيل الجزائريين الى تونس لطلب العلم والاقامة الا ان القليل من علماء تونس كانوا قد رحلوا الى الجزائر.

### نماذج عن علماء تونس الذين هاجروا الى الشرق الجزائري:

كانت الرّحلة في طلب العلم بين الشرق الجزائري و تونس مظهرا من مظاهر التّواصل التّقائيّ بين العلماء التّونسيّين إلى الجزائر، و من بين علماء تونس الذين هاجروا او زاروا الشرق الجزائري نذكر:

**إبراهيم الرّياحي:** هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرّياحي الفقيه<sup>3</sup> ولد بتستور(1180هـ/ 1771م) أخذ العلم عن عدد من العلماء. <sup>4</sup> كان حافظا للقرآن الكريم، اشتغل بتدريس القرآن الكريم و حفظه و قراءته، عالم الدّيار التّونسيّة حيث كان على صلة بالشيخ مصطفى بن عزّوز بالبرج القريبة من (طولقة) بصحراء الزاب ببسكرة. <sup>5</sup>، وقد كان بصحبة الشيخ بن صادق و لأهميّة هذه الزّيارة حظي

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله: رائد التّجديد الإسلاميّ، محمّد بن العنّابي، المرجع السّابق، ص 44.

ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، ج2، المرجع السّابق، ص 47. <sup>2</sup>

<sup>3</sup> عمر بن محمّد بن عليّ بن الشيخ سيدي إبراهيم الرّياحي: تعطير النّواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرّياحي، ط1، مطبعة بكار و شركائه، تونس، 1902، ص 08.

<sup>4</sup> صالح: بو سليم و محمّة عائشة: من مظاهر التّواصل بين الجزائر و تونس خلال العهد العثمانيّ (1518هـ/

1830م) هجرة العلماء و الطّلبة أمودجا..، مجلّة المعارف للبحوث و الدّراسات التّاريخيّة، ص 220.

<sup>5</sup> الو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف.. المصدر السّابق، ص 199.

الرياحي باستقبال مميّز و كبير من أهل سوف و تماسين نظير العلم الذي يحمله هذا العلامة الجليل، وقد تولى عدة مناصب علمية وعين اماما وخطيبا بجامع الزيتونة<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> أحمد بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزّمان ... ج 7، المرجع السابق، ص 280.

## المبحث الثاني:

### تطور التعليم والانتاج العلمي والثقافي ببايلك الشرق من 1800 الى 1837م

#### المطلب الاول: تطور التعليم في بايلك الشرق:

تميز التعليم في الشرق الجزائري في نهاية العهد العثماني بالاستقلالية عن السلطة كباقي مقاطعات الجزائر، سواء من حيث مصادر التمويل خاصة عن طريق مؤسسة الاوقاف او مساهمة العائلات الكبرى، ولهذا يمكن القول ان التعليم كان محدود النطاق من حيث الجانب المعرفي مقارنة بعدد المؤسسات التعليمية و، قد جاء في احدى التقديرات لسنة 1829 على ان الجزائر قد ضمت اكثر من 600 مدرسة وكتاتيب ومعهد علمي، ويعد ذلك عددا كبيرا اذا ما قارناه بعدد السكان المقدر بحوالي 2. 5 مليون نسمة، وقد بلغ عدد المدارس في الجزائر العاصمة 100 مدرسة وفي قسنطينة و86 مدرسة<sup>1</sup>، وهو عدد كبير اذا ما قارناه بباقي المناطق، لكن هذا لا يعني ان العدد كان شاملا لان هذا التقدير استثنى المناطق الريفية والتي عرفت ايضا الاقبال على التعليم، وهذا يرجع الى مساهمة الجبوس في تمويل التعليم مما ادى الى انتشاره عبر مختلف المناطق<sup>2</sup>

لقد كان التعليم من ضمن القضايا الاهلية التي لا دخل للسلطة فيها، ففي المناطق الصغيرة كانت الثقافة محدودة ما عدا الحواضر الكبرى مثل قسنطينة وبجاية وعنابة وبسكرة، فقد حافظت هذه الحواضر على تراثها العلمي والادبي والفكري خاصة وان هذه المدن كان لها موقع هام ودور في الحياة الاقتصادية والاجتماعية

---

<sup>1</sup> : Yvonne TURIN : **Affrontement culturel dans l'Algérie coloniale**

، ENAL ، 1983 ، 903p.

<sup>2</sup>Ibid p904

وهذه الحركة قد ساهمت ايضا في الحركة الثقافية كما ان هذه المدن عرفت علماء ورجال فكر وثقافة ساهموا مساهمة ايجابية في انتشارها بفضل الاستقرار بهذه المدن مثل ابو القاسم البوني وابن العنابي في مدينة عنابة وغيرهم، ضف الى ذلك عامل التواجد التركي والكرغلي في بعض ايمناطق الهامة وتأثيره فقد كانت ميله منطقة هامة للتركز الكرغلي فاصبحت في بداية القرن 19 أكبر تجمع لهم في الشرق الجزائري مما جعلها تتوفر على مؤسسات تعليمية هامة بعد قسنطينة مباشرة فظهر بها عدة علماء اشتهر منهم ابو عبد الله محمد بن علي بن سيدي عيسى الميلي المتوفى سنة 1252هـ، وسيدي ابو العباس احمد الغربي الميلي قاضي الجماعة وابنه القاضي ابو الفضل الغربي وسيدي محمد بن مغزة الميلي وسيدي علي بن محمد الميلي الجمالي دفين مصر سنة 1248هـ ...<sup>1</sup>

لقد كان للزوايا دورا هاما في التعليم وانتشاره فقد كانت الزوايا بمثابة رباطات ومراكز لتلقي الاذكار ولتعليم الطلبة وايوائهم واطعامهم، وكانت المدارس والمعاهد ملحقة بالزوايا وكثير ما كان نص الوقف يحث على تأسيس الزاوية والجامع والمدرسة، وكانت المدارس الابتدائية أكثر انتشارا وممولة من قبل الاوقاف وعندما تتراجع الاوقاف تتدهور حالها ايضا<sup>2</sup>، وهذا يبين ارتباط مؤسسة الزاوية كمؤسسة دينية بالتعليم من خلال المؤسسات التعليمية التابعة لها والتي تنفق عليها.

غير ان الجهود في مجال التعليم كانت فردية وليست حكومية وحتى ان بعض المبادرات من السلطة نفسها لم تكن قاعدة مستمرة ففي بايلك الشرق الجزائري فكانت المبادرات الفردية بمثابة اصلاحات تعليمية ظهرت خاصة في عهد صالح باي ولم تستمر فيما بعد نظرا لضعف البايات الذين اتوا بعده وكذلك

<sup>1</sup> سنتعرض على بعض الاعلام في المطلب الخاص بالمنتوج الفكري لاحقا.

<sup>2</sup> محمد اوجرتي: الشعر الجزائري في العهد العثماني، ص 17.

لم تكن السلطة العثمانية تهتم بالتعليم في الجزائر وهذا راجع إلى طبيعة الاتراك الحربية وإهتمامهم الكبير بالمال والتجارة، حتى أن أبوراس الناصري قد اشتكى من سوء أحوال العلم والتعليم في وقفه قائلاً: "في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده وسدت مصادره وموارده وخلت دياره ومراسمه، وعفت اطلاله ومعامله.<sup>1</sup>

ورغم ذلك إلا ان اصلاحات صالح باي كانت بمثابة دعم للسياسة التعليمية في الشرق الجزائري واستمرت نتائجها في ظهور مجموعة من المتعلمين ورجال العلم اثروا في الحياة العلمية في بدايات القرن التاسع عشر وقد اعتمدت اصلاحاته على:

أسس صالح باي المدارس التابعة للمساجد للنهوض بالفكر وتأدية دورها الثقافي، وحتى تؤدي هذه المدارس وظائفها إستحدث صالح باي نظاما دراسيا دقيقا يتقيد به المدرسون والطلبة في شوال 1194 هـ / سبتمبر 1780م، فأستحدث في كل مدرسة قاعدة للصلاة وميضأة وغرفة للمهمات، وخمس غرف إحداهما مخصصة للمدرسين، والأربعة الأخرى يقيم بها الطلبة.<sup>2</sup> وقد قدرهم **أوجين فايسيت** بثمانية طلبة<sup>3</sup>، أما المؤرخ المحلي **محمد الطاهر النقاد** فقد قدرهم بأربعة وعشرون طالبا، يقرؤون القرآن صباحا ومساء<sup>4</sup>، مع تخصيص لكل طالبين حجرة واحدة، كما وفر الإقامة للتلاميذ الذين كانوا يأتون من قبائلهم

---

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 314. ص 316.

<sup>2</sup> Ernest MERCER. : **histoire de constantine ...op. cit. p294.**

<sup>3</sup> أوجين فايسيت: تاريخ بايات قسنطينة... ، المصدر السابق، ص 49.

<sup>4</sup> عبد القادر دحدوح: قسنطينة خلال الفترة الإسلامية... ، المرجع السابق، ص 154.

خارج المدينة فمنهم من كان يستفيد من مداخيل المساجد ومنهم من أسكنهم لدى العائلات الكبيرة في قسنطينة أمثال: عائلات ابن الفكون، توجيك علي، بن جلول، باش تارزي، ابن البخاري.<sup>1</sup>

كما خصص وكيل يكلف بالمداخيل والمصاريف وأجره يقدر بثمانية ريالات، ويساعده الشاوش المكلف بنارة والتنظيف وأجره سبعة ريالات، اما المدرسون فأجرهم ثلاثون ريالاً، بينما يدفع للطالب مبلغ قدره ست ريالات وكان الأجر يدفع سنوياً، وهذه الاجراءات الاصلاحية وقوانينها اثارت اعجاب حتى المؤلفين الاجانب، حيث ذكر أوجين فايسيتبقوله " فإذا قارناه بالنظام المتبع داخل ثانوياتنا في فرنسا فإننا نرى انه لم يكن أقل منه مستوى ".<sup>2</sup>

ومن جهة اخرى لا يمكن تعميم حركة التعليم في مناطق بايلك الشرق بنفس المستوى فقد كانت لكل منطقة خصوصياتها وايضا كانت الفروقات واضحة بين المناطق حيث قل النشاط التعليمي في مناطق دون غيرها ومثال ذلك قل النشاط بسكرة مقارنة لمناطق الشمال كقسنطينة وبجاية<sup>3</sup>، وفي بعض المناطق كان التعليم من اسايات الحياة وخاصة التعليم الديني في المناطق الجنوبية فمسالة تعليم الابناء للقران كان محل اهتمام الاباء، والانتاج الفكري في المجال الديني كان محل اهتمام المؤلفين والعلماء، وتصنف معظم الكتابات ان المستوى الثقافي في منطقة واد سوف كان جيداً، وقد وصفت ميلي ان السوافة اذكفاء ومعظمهم يتقن

---

<sup>1</sup>Charbonneau. A :**inscription arabe** ... ،op. cit. p469.

<sup>2</sup>أوجين فايسيت: تاريخ بايات قسنطينة، ... . المصدر السابق، ص 49.

<sup>3</sup>:رحلة الورثاني، ص 106.

اللغة العربية الفصحى ولهجتهم اقرب اللهجات الى الفصحى وكانت لهم ثقافة عالية ومتكلمين ومؤلفي  
للحكايات ويرجع السبب الى المدارس القرآنية<sup>1</sup>

ولكن في اواخر العهد العثماني تآثر التعليم في مختلف مناطق الشرق الجزائري باعمال التخريب التي  
صاحبت موجة الثورات في بداية القرن التاسع عشر وكانت سببا في ذلك التراجع نتيجة للتخريب واعمال  
القمع اضافة الى طبيعة النظام التركي العسكري كما رأينا سابقا ولهذا كانت نظرة المؤلفين الى حركة التعليم  
سلبية على العموم.

---

<sup>1</sup> عثمان زقب: الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في واد سوف ... المرجع السابق، ص 169.

## المطلب الثاني: تطور الانتاج العلمي والثقافي في بايلك الشرق الجزائري في نهاية العهد العثماني:

كان للرحلة العلمية دورا كبيرا وذلك من خلال الاحتكاك مع العلماء خارج الجزائر من خلال التعرف على علماء المشرق ومصر والحجاز وتونس وغيرها وكان نصيب العلوم الشرعية اوفر فكل الجهود العلمية آنذاك انصببت عليه تخصصا و تأليفا، حيث عرفت منذ مختلف الفروع الدينية كالدراسات القرآنية، التفسير و الحديث والفقه.

ولهذا اذا تصفحنا معظم التراث المكتوب في خزائن المكتبات نلاحظ ان معظمها كان في المجال الديني بمختلف فروعها سواء في مكتبات الحواضر الكبرى او في الزوايا في بايلك الشرق خلال الفترة الأخيرة من العهد العثماني التي عرفت انتاجا علميا معتبرا رغم تدهور الاوضاع العامة، ومن العلوم التي الف فيها علماء بايلك الشرق ما يلي:

### علم التفسير

يأتي علم التفسير في مقدمة العلوم الأساسية للمتعلم فهو من أشرف العلوم الشرعية "الدينية" و العربية، و قد انتشر التفسير كثيرا خلال العهد العثماني عبر كامل مقاطعات الجزائر وازداد الاهتمام به من قبل العلماء واصبح معروفا كثيرا خاصة في مجال تدريسه في كل المراكز الدينية و التعليمية ولا تكاد توجد زاوية الا وقد ضمت العدويد من كتب التفسير، و كان التفسير من ناحيتين ناحية التدريس و ناحية التأليف فتدريس التفسير في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني فقد كان شائعا بين العلماء البارزين و من الذين اشتهروا بذلك في تلك الفترة نذكر:

عبد القادر الراشدي: العلامة المجتهد الأصولي الكلامي، فقيه، مالكي قاض، تولى القضاء والفتوى. بقسنطينة من آثاره في التفسير. و له "رسالة في تحريم الدخان" وكذلك له رسالة في "وزن الأعمال"،<sup>1</sup> وله عدة فتاوي ه تفسير عدة آيات وقعت بمجالس صالح باي<sup>2</sup> وكانت مساهمته في تفسير القرآن الكريم لا تعرف ما إذا كانت قد جمعت في كتاب أم لا، فلعه لم يكن يتناول التفسير بصورة منتظمة و إنما يتناول بعض الآيات في المناسبات المعنية و يعرضها و يجللها و عرف عليه انه كان متحررا في فتاويه و آرائه.<sup>3</sup>

مُجَّد بن احمد بن عبد القادر الراشدي: من الذين كتب و ألف في التفسير و قد الف مجمع البحرين و مطلع البدرين بفتح الجليل للعبد الذليل في التيسير الى علم التفسير، وله ايضا تقييدات على الخزار و الدرر اللواسع و الطرار في رسم الحروف و ضبطها، و قد توفي سنة 1238هـ 1823م

علي بن مُجَّد الميلبي الجمالي (ت 1833) الذي له تفسير كبير و صغير و تحفة الاحباب في تفسير قوله تعالى ' ثم اورثنا الكتاب'<sup>4</sup>

أما التفسير تأليفا فالخوض فيه قليل، و رغم شهرة هذه الحواضر العلمية كحاضرة بجاية و حاضرة قسنطينة لم يكن هنالك مفسرين للقرآن الكريم جديرين بالذكر.

### علم الفقه

ان اتباع الجزائريين للمذهب المالكي و التعايش مع المذهب الحنفي و الاباضي جعل البعض منهم يدرسون و يؤلفون في أصول و فروع مذهب الإمام مالك و كان الإنتاج الفقهي اساسا حول الفقه المالكي، و قد عرف بايلك الشرق

<sup>1</sup> أبو القاسم مُجَّد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج 2، ص 220.

<sup>2</sup> نفسه

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص 14.

عادل نويهض: معجم العلام الجزائر، ص 321. <sup>4</sup>

ونخص بالذكر إقليم قسنطينة في أواخر العهد العثماني انتاجا علميا في الفقه و فروعته و لعل من أبرز العلماء الذين برزوا في تلك الفترة :

عبد المالك الراشدي أبو مُجَّد فقيه مالكي (ت1818)<sup>1</sup> كان مفتي من قسنطينة و إمام المذهب المالكي وكان حامل لولاء الحفظ و جامع شباب المذهب المالكي، و تولى الفتاوى المالكية.<sup>2</sup>

العلامة الشيخ أبو عبد الله مُجَّد ابن علي الطلحي القسنطيني كان فقيها نحوي أصولا أخذ عن الراشدي و أبيه و تولى الإمامة بمسجد سيدي حسام الحراري.<sup>3</sup>

مُجَّد بن احمد بن عبد القادر بن عبد العزيز بن مُجَّد السباوي المالكي الازهري، وهو من منطقة القبائل وعرف بالامير توفي سنة 1232هـ 1818م، صاحب كتاب مناسك الحج<sup>4</sup>

احمد الطيب بن مُجَّد الصالح بن سليمان الزواوي(ت1836) الذي الف كتاب نظرة الاخوان الى احتجاج الفقهاء بالبرهان.<sup>5</sup>

مُجَّد صالح بن سليمان بن مُجَّد الرحموني الزواوي العيسوي: الف رياض السعود فيما لله من العجائب والحدود، وقد توفي سنة 1826م.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 146.

<sup>2</sup> نفسه،

<sup>3</sup> أبي القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، المصدر السابق، ص 486

<sup>4</sup> الزركلي: الاعلام، ج7، ص 71. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج9، ص 68

<sup>5</sup> بشير طيف: بن ابي بكر بن البشير بن عمر الجزائري: فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، تالة، الجزائر2007، ص 122.

<sup>6</sup> أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف/ج2، المرجع السابق، ص 522.

كما الف محمود بن محمود لم مُجَّد بن حسين بن مُجَّد العنابي (ت 1850) كتاب شرح الدر المختار ورسائل  
فقهية وعددها ثمانية عشر رسالة في وقف العقار وهي رسالة مخطوطة في جامعة بيرنستون بامريكا، ورسالة في  
حجاب المرأة وشرح متن البركوي<sup>1</sup>.

في الفتاوى: نجد بعض المؤلفين ومنهم:

احمد بن الطيب بن مُجَّد الصالح بن سليمان العيساوي الزواوي (ت1836) الذي الف مفتاح الاحكام في  
ارجوزة عدد ابياتها الفي بيت<sup>2</sup>.

كما الف محمود بن محمود لم مُجَّد بن حسين بن مُجَّد العنابي(ت1850) الفتح القيومي بجواب اسئلة الرومي<sup>3</sup>.

في علم الفرائض: نذكر:

احمد الطيب بن مُجَّد الصالح بن سليمان العيساوي الزواوي (ت1836م) الذي الف منح الوصول وهي ارجوزة  
في علم الفرائض<sup>4</sup>.

علم الحديث ومصطلحاته:

من العلوم التي أُلّف فيها الجزائريون علم الحديث و مصطلحه فقد اعتنوا به تدريسا و تأليفا و رواية و إجازة. ، و  
لا شك أن ذلك يعود إلى صلة العلم الحديث بالدينو علم الحديث يعتمد إلى حد كبير على الحفظ، و كانت

<sup>1</sup> بشير طيف: فهرست: معلمة التراث ... ، المرجع السابق ص 147.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 180

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 185.

<sup>4</sup> عادل نويهض: معجم اعلام الجزائر ... ص 161.

العناية كبيرة بصحيح البخاري فهو الكتاب الذي كان متداولاً أكثر من غيره. و كانت الأماكن التي كان يدرسها بها الحديث هي الجوامع الكبيرة.<sup>1</sup>

ودليل الاهتمام بكتب صحيح البخاري عملية رش الكتاب بماء الذهب وهي عادة كانت أكثر انتشاراً في الحواضر الشرقية<sup>2</sup>، وإذا عدنا إلى الإثبات والفهارس وجدنا ثروة كبيرة تركها الجزائريون بهذا الصدق، كما أن إجازتهم لغيرهم تضمنت روايتهم للحديث و شيوخهم.

و قد كان العلماء حريصين في أسفارهم و حجهم على الدراسة و طلب العلم، و لاسيما علم الحديث، فكانوا إذا حلوا بالمغرب أو تونس أو بمصر أو بالحرمين، الشام و العراق، يتتلمذون عند أكابر العلماء حتى استطاعوا التعمق في الحديث خاصة و المعارف الأخرى و تحصلوا على الإجازات في مختلف العلوم.<sup>3</sup>

و لم يكن الحديث بدرس لذاته فقط بل كان يدرس أيضاً للعمل به في مجالات المعرفة المختلفة، فالحديث قبل كل شيء مصدر من مصادر التشريع الإسلامي.<sup>4</sup>

كما أن علماء الشرق الجزائري في أواخر العهد العثماني كانوا ينشرون هذا العلم عن طريق الإجازة و أظهروا العناية به و قد ساعدهم على ذلك قوة الحافظة حيث برز فيه شيوخو من بينهم:

أحمد بن سعيد أبو العباس العباسي القسنطيني (ت1836) الف تقييد على صحيح مسلم<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2 المرجع السابق، ص 25

<sup>2</sup> تحتفظ زاوية الهامل بنسخة من صحيح البخاري عليها آثار الرش بماء الذهب

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 25-26.

<sup>4</sup> نفسه، ص 26

انظر أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، المرجع السابق، ج2، ص 59، وايضا عادل نويهض: معجم اعلام الجزائر، ص 214.<sup>5</sup>

احمد بن عمر بن مُجَّد بن العطار القسنطيني(ت1870) الف سلم الوصول مع الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>1</sup>.

عبد الحفيظ بن مُجَّد بن مُجَّد الحنفي الجزائري(ت1860) الف غنية القارئ بترجمة ثلاثيات البخاري<sup>2</sup>  
كما الف ايضا محمود بن محمود بن مُجَّد بن حسين بن مُجَّد العنابي (ت1860) مسائل منتقاة من كتب الحديث<sup>3</sup>.

في علم التوحيد: نجد من العلماء:

عبد الرحمن لن احمد بن باش تارزي القسنطيني(ت1808) الذي الف غنية المرید في شرح نظم مسائل كلمة التوحيد وقد تضمن 45مسألة<sup>4</sup>.

علي بن مُجَّد الميلبي الجمالي (ت1833) الذي الف الكواكب الدرية الشمس والقمر والنجوم الدراري<sup>5</sup>، وهي مخطوطة في اثبات القدر والكسب والاستطاعة والجزء الاختياري<sup>6</sup>.

احمد الطيب بن مُجَّد الصالح بن سليمان العيساوي الزواوي(ت1836) الذي الف حاشية على الصغرى وسمها تكملة الفوائد في تحرير العقائد وهي ارجوزة في علم التوحيد<sup>7</sup>

---

<sup>1</sup> بشير طيف: فهرست معلمة التراث ... المرجع السابق، ص 69.

<sup>2</sup> أنظر ابو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص 402، عادل نويهض، معجم اعلام الجزائرىص 102.

<sup>3</sup> بشير طيف: فهرست معلمة التراث، المرجع السابق، ص 84.

<sup>4</sup> ك عادل نويهض: معجم اعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 39.

<sup>5</sup> بشير طيف: فهرست معلمة التراث ... المرجع السابق، ص 13.

<sup>6</sup> عادل نويهض: معجم اعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 324.

<sup>7</sup> نفس المرجع، ص 161.

في علم السيرة: من العلماء والمؤلفين نذكر:

احمد بن محمود المبارك حسرون ابي العباس القسنطيني(ت 1849) الذي الف كتاب في شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعجزاته وقد عارض عدة قصائد في مدح الرسول ﷺ<sup>1</sup>

في الاجازات:

الاجازة هي شهادة كفاءة او تاهيل يستحق بها المجاز لقب الشيخ او الاستاذ في العلوم المجاز بها، لكن بتقدم العهد لا تعني تساهل المجيزين في منحها، ولم تعد القراءة والمشاهدة بل اصبحت تمنح بالمراسلة والسماع ايضا واصبحت تعطى مطلقة في العلوم وكل الكتب التي تعلمها المجيز سواء قراها ام لا، وهذا التساهل نتج عنه ضعف مستوى التعليم عند المجيزين فأصبحوا يتصدرون للتدريس ويمنحون الإجازات لغيرهم في علوم لم يدرسوها وادت الى نوع من المجاملات بين العلماء<sup>2</sup>، ويذكر ابو القاسم سعد في هذا السياق أن التلميذ أصبح لا يقطع مسافات لحضور الدروس ولا يتحمل عناء السفر، وانتقلت هذه الظاهرة أيضا الى الطريقة كذلك<sup>3</sup>

ورغم ذلك فقد برز بعض العلماء في الشرق الجزائري في نهاية العهد العثماني وقد اشتهروا بالاجازات وتذكر المصادر والمراجع عبد القادر بن شقرون الفاسي الذي مر على نواحي بسكرة في طريقه الى الحج سنة 1192هـ فاجاز للفقير خليفة بن حسن القماري بعد ان قرا اجزاء من نظمه المشهور لخليل، ووصف المجاز بانه من فرسان البراعة وانه على خلق حسن، وتوجد نسخة خطية في خزانة الصادق قطايم بقمار بواد سوف، ورسالة اتحاف القارئ بسيرة خليفة بن حسن القماري، تاليف محمد الطاهر التليلي القماري<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، المرجع السابق، ص 72.

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 40

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 41

<sup>4</sup> نفس المرجع، ص 49

كما اجاز احمد بن قاسم البوني لابنه الزروق الذي اشركه فيها مع مُجد بن علي الجعفري القسنطيني البوني  
الأصل<sup>1</sup>.

ويعتبر ابن العنابي(ت1850) من تلاميذ علي بن الامين وعرف بتقليده في الاجازات وعرف بزيارته للمغرب  
ومصر واسطنبول وجلس في الازهر للتدريس ومنح الاجازات<sup>2</sup>، حيث ثبت اجازة لمحمد بيرم التونسي واجازة لمحمد  
بن علي الطحاوي المصري وتعرف بالثبب الجزائري وهي مخطوطة في دار الكتب المصرية<sup>3</sup>  
في التصوف:

لقد انتشرت افكار التصوف خلال العهد العثماني وكانت منطقة الشرق الجزائري من اهم المناطق التي انتشر  
فيها، ورغم انكار ابي راس الناصري لمتصوفة زمانه ومع ذلك فقد التمس لهم العذر نظرا لان التصوف كان من  
ثقافة العصر، وقد كان يحذر خلال زيارته الى بجاية من التعرض للاولياء بقوله: إياك ان تتعرض لأحد ممن ثبت له  
الخصوصية من الاولياء في زمانك فيما فيه الوسع شرعا فتنزل قدمك بعد ثبوتها ...<sup>4</sup>

ورغم ذلك فقد اشتهر البعض بالكتابة في التصوف ومن بينهم احمد بن مبارك العطار. ت1266هـ1849م،  
صاحب كتاب تاريخ قسنطينة، وقد ألف كذلك في التصوف ومن مؤلفاته: فتح الرحيم الرحمن في شرح منظومة  
نصيحة الاخوان، وكتاب في اصول الترية وأدب السلوك في الطريقة الشاذلية، وكتب سلم الوصول في الصلاة على  
الرسول صلبالله عليه وسلم<sup>5</sup> الذي أعطاه لشيخه احمد بن سعيد العباسي<sup>1</sup>

<sup>1</sup> نسخة من المخطوطة في زاوية طولقة.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 39

<sup>3</sup> عادل نويهض: معجم اعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 245.

<sup>4</sup> الورثاني: نزهة الانظار، ص 16.

<sup>5</sup> بشير طيف: فهرست معلمة التراث ... المرجع السابق، ص 219.

الشيخ عبد الحفيظ بن مُجَّد الحنفي: كان شاعرا وصوفيا اصله من قرية سيدي ناجي ببسكرة وكان من ابرز رجال الطريقة الخلوتية له تأليف في التصوف بعنوان: الجواهر المكنونة في العلوم المصون<sup>2</sup> وقد توفي سنة 1266هـ 1850م.

عبد الرحمن بن احمد باش تارزي(ت1807): كان أديبا وناظما احد شيوخ الرحمانية، وقد عرف بصلاح الحال، ومن مؤلفاته: غنية المرید في شرح مسائل كلمة التوحيد والمنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية<sup>3</sup>

مُجَّد بن عزوز البرجي: أصله من البرج قرب طولقة، اخذ العلوم على يده وعلى يد الشيخ مُجَّد بن عبد الرحمن الازهري والشيخ عبد الرحمن بشتارزي، ومن مؤلفاته: المرید في قواطع الطريق وسواليه وأصوله وأمهاته، وقد توفي سنة 1233هـ 1818م.

مُجَّد بن عامر المغازي الزواوي(ت1806) الف الوظيفة المحمدية لاهل الطريقة المغازية<sup>4</sup>  
كما عرفت منطقة الشرق الجزائري وخاصة منطقة بجاية بالكتابة ونسخ المخطوطات لمؤلفات معاصرة او قديمة وخاصة المؤلفات الدينية باعتبار المنطقة عرفت انتشارا واسعا للزوايا، ومن بين النساخ الذين وردت اسمائهم في زوايا المنطقة نذكر:

---

<sup>1</sup> عبو إبراهيم: العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 10-13هـ، 16-19م رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، بلعباس 2007-2008 ص 252.

<sup>2</sup> عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج5، ص 90

<sup>3</sup> ابو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص 205

<sup>4</sup> بشير طيف: فهرست معلمة التراث ... المرجع السابق، ص 237.

الناسخ: احمد بن الزروق عبدون البجائي الذي نسخ بخط مغربي سنة 1228هـ 1818م كتاب مختصر على نظم ابي مفرع للمؤلف مُجَّد بن سعيد بن احمد بن داود السوسي المرغني ابو عبد الله المتوفي سنة 1089هـ 1678م، مكان النسخ منطقة القبائل<sup>1</sup>

الناسخ: احمد الزروق اليعلاوي الذي نسخ سنة 1221هـ 1802م كتاب في الفلك لمؤلف مجهول، مكان النسخ، منطقة القبائل<sup>2</sup>.

الناسخ: مُجَّد بن ابي القاسم بن المبارك الذي نسخ سنة 1215هـ 1801م كتاب مقاصد النحو للمؤلف مُجَّد بن عبد الله بن مالك الجياني الطائي جمال الدين ابو عبد الله، المتوفي سنة 672هـ 1372م، مكان النسخ، منطقة القبائل<sup>3</sup>

الناسخ: احمد بن مُجَّد مبارك، الذي نسخ بخط مغربي سنة 1221هـ 1806م كتاب في القراءات لمؤلف مجهول، كما نسخ في نفس السنة كتاب في القراءات للمرفل عباس بن عسكر الزواوي الكري التونسي<sup>4</sup>، كما نسخ ايضا في نفس السنة منظومة في القراءات للناظم: مكّي بن ابي طالب حموش بن مُجَّد بن مختار الاندلسي القيسي ابو مُجَّد الذي توفي سنة 437هـ 1045م<sup>5</sup>، كما نسخ شرح العقيدة السنوسية ايضا في نفس السنة<sup>6</sup>

---

<sup>1</sup> انظر الزركلي: الاعلام، ج6، ص 139، وجمال الدين: مشهد، فهرس المخطوطات الاسلامية، ص 415،

نفس المرجع، ص 422<sup>2</sup>

الزركلي: الاعلام، ج6، المرجع السابق، ص 228<sup>3</sup>

جمال الدين: مشهد فهرس المخطوطات الاسلامية، ص 125-126<sup>4</sup>

نفسه.<sup>5</sup>

<sup>6</sup> نفس المرجع، ص 252.

الناسخ: احمد الزروق بن العربي بن مُجَّد الزواوي، الذي نسخ بخط مغربي سنة 1239هـ 1823م كتاب عن قواعد النحو للمؤلف عبد الله بن يوسف بن احمد بن عبد الله الانصاري الخزري النحوي جمال الدين ابو مُجَّد المعروف بابن هشام الانصاري الذي توفي سنة 761هـ 1360م، مكان النسخ، بني يعلي ايت ورثيلان<sup>1</sup>.

كما نسخ احمد الزروق بن العربي بن مُجَّد الزواوي سنة 1239هـ 1824م رسالة على شرح علي النيسابوري للمؤلف: علي زين العابدين بن مُجَّد بن عبد الرحمن بن علي الاصهوري نور الدين ابو الارشاد الذي توفي سنة 1066هـ 1657م<sup>2</sup>، كما نسخ بخط مغربي سنة 1239هـ 1824م كتاب السلم المرونق في علم المنطق للمؤلف عبد الرحمن الاخضري<sup>3</sup>.

الناسخ: مُجَّد الشريف بن يعلي بن عبد الله بن ابي الدهان، الذي نسخ سنة 1220هـ 1805م بعض الصفحات وعددها ثمانية حول اعراب بعض سور القرآن الكريم<sup>4</sup>

الناسخ: مُجَّد البشير بن الطيب بن لحبيب الاغيولي، الذي نسخ في بداية القرن التاسع عشر كتاب كفاية الكفاية للمؤلف مُجَّد بن عبد المالك الذي تناول فيه باب الجهاد واحكامه، وعدد الاوراق المنسوخة 64 ورقة<sup>5</sup>.

الناسخ: أبو القاسم الزواوي، الذي نسخ سنة 1240هـ 1825م كتاب شرح العقيدة السنوسية المعروف بالعقيدة الصغرى او صغرى السنوسي او ام البراهين التي ألفها مُجَّد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي

الحسيني ابو عبد الله الذي توفي سنة 895هـ 1490م، مكان النسخ منطقة القبائل، وعدد أوراقها 13 ورقة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> جمال الدين: مشهد فهرس المخطوطات الاسلامية، ص ص 97-98.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص ، 310.

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 312

<sup>4</sup> نفس المرجع، ص 99

<sup>5</sup> نفس المرجع، ص 221.

كما نسخ في نفس السنة كتاب شرح المتن وهو في المنطق للمؤلف عبد الوهاب بن قنديل الذي ألف كتابه سنة 1128هـ/1716م، كما نسخ أبو القاسم الزواوي تقييدات اليساغوري وهي مقدمة في المنطق للمؤلف أثير الجين الأبهري المتوفي سنة 663هـ/1264م.

الناسخ: مُحمَّد البشير بن الشريف بن الحاج، الذي نسخ سنة 1242هـ/1827م شرح العقيدة الصغرى ومكان النسخ، قرية سيدي ايدر القبائل، وعدد الاوراق 15 ورقة<sup>2</sup>.

الناسخ: مُحمَّد بن ناصر، الذي نسخ سنة 1245هـ/1829م بخط مغاري كتاب في الحساب والموازن للمؤلف مُحمَّد الصالح بن علي بن مرزوق ومكان النسخ منطقة القبائل، كما نسخ مُحمَّد بن ناصر لنفس المؤلف في نفس السنة كتاب اختصار نسبة في الحساب الذي ألفه صاحبه سنة 1129هـ/1829م<sup>3</sup>، كما نسخ في نفس السنة كتاب في الموارث لمؤلف مجهول<sup>4</sup>.

### الإنتاج الأدبي

كان الأدب الجزائري في أواخر العهد العثماني ضعيفا أما النزعة الأدبية أصبحت أفضل بكثير من النزعتين الفقهية و الصوفية كما أضحت معالم الأدب في تلك الفترة سطحية وموضعاها بسيطة<sup>5</sup>.

ومن اقسامه:

---

<sup>1</sup> جمال الدين: مشهد فهرس المخطوطات الاسلامية، المرجع السابق، ص 245.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 247

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 365

<sup>4</sup> نفس المرجع، ص 379.

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيدي ومهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 157

في النشر: قد كان النشر الفني أو الأدبي يشمل المقامات و الرسائل الرسمية والوصف و التقريظو الإنجازات المنفعة، والشروح الأدبية والقصص و الخطب<sup>1</sup>.

وفي هذا المجال برز أدباء الشرق الجزائري في نهاية العهد العثماني وتركوا العديد من المؤلفات في مختلف الفنون، حيث عرف أحمد بن سحنون الراشدي أنه من الأدباء البارزين و يظهر ذلك من تأليفه في التقريظ، وفي التأليف كان له شرحه الضخم الذي وضعه على عتيقة المنداسي و الذي سماه الأزهار الشقيقة المصوغة بعرف العفيفة<sup>2</sup>.

الشعر: كان اشعر أكثر انتشارا ومن اقسامه التي كانت منتشرة في الشرق الجزائري:

**الشعر الديني:** كان من أشهر و أهم الأغراض الشعرية التي اتخذها الشعراء لمدح الرسول عليه أفضل الصلاة و السلام و أحباء مولده من كل سنة .<sup>3</sup>، وتشهد مخطوطات بعض الزوايا على انتشار هذه الاشعار التي تمدح النبي صل الله عليه وسلم<sup>4</sup>

### الشعر السياسي:

لقد ارتبط الشعر السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني بمناسبات محدودة ونخص بالذكر الشعر عن الوطن في فترات الجهاد ضد الأجانب خاصة الاسبان و كانت المحاولات الشعرية ايضا تختص بمدح بعض الأمراء لأهداف خاصة بهم، وهذا رغم ان البايات لم يكونوا يتذوقوا الشعر و لم يقوموا بتشجيع الشعراء وايضالاضطراب الحكم في

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 171.

<sup>2</sup>: نفس المرجع، ص 174.

<sup>3</sup> خالد ريجة: الشعر الجزائري في الفترة العثمانية -الشاعر ابن عمر نموذجاً- رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، في النقد

الأدبي الحديث والمعاصر، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة سيدي بلعباس، ص 48 .

<sup>4</sup> عثرت على بعض الاوراق مخطوطة من زاوية البوكحيلي بسدراتة تناول اشعار مدح الرسول ﷺ وهي اوراق في حالة جيدة.

تلك الفترة.<sup>1</sup>، وربما طبيعة النظام العثماني الذي اعتمد على القوة من جيش ومحلة وجهله لثقافة الجزائريين ايضا اصبح من ضمن العوامل، كما ان الاحداث البارزة في الشرق الجزائري سواء كانت الداخلية ام الخارجية مثل الحرب مع تونس سنة 1806م ساهمت في كتابة هذا النوع من الاشعار.

### الشعر الاجتماعي:

كان يعرف بشعر الاخوانيات الذي كان يتبادل فيه الشعراء اقوالهم خلال المناسبات معينة ويكون شعر الرثاء والتقريظ والمدح لفئات مختلفة من المجتمع من رجال الدين وشيوخ، وكان يعكس الأوضاع العامة للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني<sup>2</sup>، كما كان وسيلة للتعبير عن اوضاع اجتماعية مثل تدهور المعيشة والافات التي ظهرت في تلك الفترة.

ومن ضمن هذه القصائد التي قيلت والشعراء الذين كتبوا الشعر بمختلف اغراضه في الشرق الجزائري في نهاية العهد العثماني يمكن ذكر:

قصيدة في مدح النبي ﷺ للناظم: محمد البشير بن الطيب بن الحبيب المتوفي سنة 1277هـ/1851م، وتاريخ النظم كان خلال القرن 19م، بمنطقة القبائل، وقد نظمت القصيدة بلغة بسيطة تناسب العوام ليسهل حفظها<sup>3</sup>، مع العلم ان استخدام هذا الاسلوب كان غالبا على القصائد انذاك.

وايضا قصيدة المدحة المباركة للمؤلف سعيد بن حاج الطيب والتي نسخت خلال القرن 19م، وهي قصيدة جزائرية نظمت باللهجة العامية وهذا النوع كثيرا ما يرد في المدائح والطرب الشعبي والانديسي<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>-خالدي ربحة، الشعر الجزائري في الفترة العثمانية المرجع السابق، ص 57

<sup>2</sup> نفس المرجع ص ص 57-66.

<sup>3</sup>جمال الدين: مشهد فهرس المخطوطات الاسلامية ... المرجع السابق، ص 49.

لقد تنوعت الأحداث الإجتماعية و السياسية في بايلك قسنطينة أواخر العهد العثماني، وقد فرضت هذه الاحداث نفسها واثرت في الكتابة الشعرية التي عبرت وكانت وسيلة للتعريف، وكان من بينها تلك الابيات الشعرية التي سجلت الاحداث الاخيرة في حياة صالح باي وعرفت بمرثية صالح باي الشهيرة والتي خلدت ذكراه، وقد قيلت خلال بدايات القرن 19م وقد إحتوت على سبعة وثلاثين بيتا، جاء في البيت الاول :

قالوا العرب قالو ما نعطوا صالح ولا ماله<sup>2</sup> .

وهذه القصيدة مؤلفها مجهول فهي إما من تأليف احد السكان من عرب البدو، كما يرجح أنها من نظم شاعر يهودي كرتاء لهذا الباي الذي أحسن مثواهم حيث نقلهم إلى حومة الشارع، ولم تظهر هذه القصيدة إلا بعد مرور خمسين سنة من وفاة صالح باي، رغم ان مؤلفها المجهول عاش فترة صالح باي حيث كان يستحضر فيها احداث نهاية الباي المأساوية، فهي تصور ظروف وملابسات وفاة صالح باي، كما تمجد خصاله وروابط المحبة بينه وبين رعيته، كما تطرق الشاعر إلى لجوء الباي إلى الشيخ عبد الرحمان الفكون، هذا الاخير الذي كان أمام خيارين إما حماية صالح باي، وإما تسليمه للعسكر فترددت عبارات الخيانة والخداع "عطاوني الأمان وخذعوني".

كما خاطب الشاعر أهل قسنطينة فكان يحثهم على البكاء والحزن "أبكيوا عليه اه يا لولاد"، وهذه العبارات تدل على العجز والرضوخ لأمر الواقع، وأنه ليس هناك نية للتأثر و تحدي داي الجزائر بعد مقتل صالح باي، وهذه الاحداث كانت هامة في نهاية العهد العثماني لما لها من اثر على الاوضاع اللاحقة، وفقد رسخت في الأذهان صورة موكب الباي وهو ينقل الصناديق المحملة بالذهب والجواهر التي لا تعد لكثرتها والتي إعتاد نقلها إلى دار

نفس المرجع، ص 51.<sup>1</sup>

<sup>2</sup>: أنظر القصيدة كاملة في كتاب قسنطينة في عهد صالح باي لفاطمة الزهراء قشي، ص ص 190-191

السلطان في موسم الدنوش.<sup>1</sup>، وهي اشارة دالة على فترة الرخاء التي سادت فترة حكمه، كما عبرت عن طقوس دفع الدنوش والعلاقة مع السلطة .

ان الاحداث الخارجية التي عرفها بايلك الشرق وتطوراتها اثرت في تاليف بعض الشعراء الذين عاشوا احداثها وعبروا عن ذلك بطريقتهم واتخذوا من الشعر وسيلة لنشر اخبارها ومن اهم هذه الاحداث الصراع مع تونس ثم نشوب الحرب معها سنة 1806م، فقد ذكرت المصادر قصيدة طويلة إحتوت على 73 بيتا، وقد ذكرها العنتري في كتابه بانها من اقوال بعض المداحين وكانت من نوع الشعر الشعبي الملحون<sup>2</sup> حيث تبدأ القصيدة بوصف أحوال قسنطينة في بداية القرن 19م، من اوضاع سياسية مزرية و اوضاع اقتصادية واجتماعية كذلك مثل الغلاء في الاسعار والقحط ثم شرع صاحب القصيدة في الحديث عن الحملة التونسية مستعملا عبارة "حتى التوانسة راهم جاونا حاركين"<sup>3</sup> وكأن مدينة قسنطينة لم يكفها ما بها من مصائب، وكان ينقصها هجوم حمودة باشا، وفي القصيدة وصف دقيق للحملة التونسية بقوله: "قومان والعساكر في مثل الجراد ... حمودة ذاك اللعين" .

ثم اضافة وصف عتاد وقوة المحلة التي كانت تحت قيادة سليمان كاهية، والتي كانت مجهزة بكل أنواع العتاد الحربي، حيث جاء فيها "والكور والمدافع فوق العجلات، ويسير وراهم عسكر جرار"، كما وصف فيها مختلف مشاهد الحرب وإلتحام الجيشين بقوله: "أهل البلاد فرع شايب وصغير ... مدافع وارصاص نيران شاعلة.. عساكر موتى تعفاس ... البونبة تشرشف"، وقد دام الحصار لمدة شهر، بعد هذا يصور الشاعر مخلفات هذه الحرب بقوله "انهدمت الجوامع وامصار.. انخرقت المدينة ولات رماد" .

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص -ص 139-148. ينظر أيضا :

Ounassa TENGOUR : **Salah Bey et la cite de l'oubli**, revue insaniyat ,n3 ، hiver1997.

<sup>2</sup>: محمد الصالح العنتري، فريدة منبسة... المصدر السابق، ص179.

<sup>3</sup> القصيدة كاملة في كتاب فريدة منبسة للعنتري، انظر قسم الملاحق للمؤلف ص ص 179-181

ثم ينتقل الشاعر من وصف حالة الخراب التي آلت إليها ثم يصفالدمع الذي أتى من الجزائر عن طريق البر، ومن عنابة عن طريق البحر مما أدى إلى تراجع المحلة التونسية وأحصارها داخل الأراضي التونسية<sup>1</sup>، مستعملا عبارات الفرع والسرور بقوله: "أخبار الخير.. فرحت رجالنا وزالت الأوكاس... بالفرح ولها... شهرت رجالنا بالكل باتت زاهيين"، كما أشاد ببطولات القبائل المشاركة في الدعم "أولاد طنجية في الرمي معلمين... هاذوك الحنانشة... هاذوك الصبايحية من فوق اعياد حملوا على الخوارج ردهم\* كاسرين"، ثم يصف نهاية المعركة فبعد إشتداد القتال إنهمز عسكر تونس، وفر الحاج مصطفى وولده على وسليمان كاهية، وأعيان التوانسة ولم يخبروا عساكرهم بالهروب ولا أهل رعيته<sup>2</sup> حيث عبر عن ذلك بقوله :

رجعوا لسيدهم في ذل ونكاد ركبو خيولهم في الليل غدا هاريين.

عرضوا لهم قبائل عسكر مداد خلاو محال بعساكرهم سايين.

كما وضحت وعرفت هذه القصيدة المكان الذي عسكرت فيه القوات التونسية وهو سطح المنصورة، حيث تركزت القوات التونسية فيه المدفعية بعد انسحابها وهذه المدفعية احتفظ بها أحمد باي واستخدمها في مواجهة قوات فرنسا عند حصارى المدينة سنتي 1836-1837<sup>3</sup>، حيث جاء فيها :

نسوان هاملة بيكوا على الأولاد خلا المدافع في المنصورة مطيشين<sup>4</sup>.

---

<sup>1</sup> هذه التفاصيل يل ذكرت سابقا في الفصل الاول.

<sup>2</sup> الحاج احمد بن مبارك بن العطار: تاريخ بلد قسنطينة، المصدر السابق، ص 121

<sup>3</sup> صالح: عباد: الجزائر خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص 210

<sup>4</sup> الحاج احمد بن مبارك بن العطار: تاريخ بلد قسنطينة، المصدر السابق، ص 122

أما الأشعار التي إرتبط مضمونها بالأحداث الإقتصادية والتي اثرت في كتابات الشعراء والكتاب المحليين تعبيرا عنالحالة المزية التي اصبح الشرق الجزائري يعانيتها في نهاية العهد العثماني نتيجة لتدهور الاوضاع وفساد نظام الحكم وكانت بمثابة مصدر إلهام نذكر قصيدة بلقاسم الرحموني الحداد التي نضمها عام 1802، وهذه القصيدة ذكرت من قبل المصادر الاجنبية ونشرت في المجلة الافريقية وهي من الشعر الشعبي الذي يعتمد على الروايا والكلام العام والتوارث عبر الاجيال، وكتبت فيحوالي ثمانية وستون بيتا، وقد صورت أحوال قسنطينة الإقتصادية من غلاء في الأسعار، وسوء الأحوال المعيشة وتدهورالحالة الإقتصادية وما ألت إليه<sup>1</sup>، ومما جاء فيها :

عام مكبره هاي سيدي بالكساد وغلالت النعما<sup>2</sup>

ثم يضيف:

الأسعار راه غلالت وحتى أمطار الصيف أذفاقوا

ثم يضيف:

الحو يخذع حوه في نيته الهموم ما ينطاقوا .

ويمكن ان تكون القصيدة ايضا كانت ضد العناصر الوافدة على مدينة قسنطينة، ويمكن ان يكون الشاعر ايضا كاناقما على هذه الفئة فقد كثرت ظاهرة الهجرة مع أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، إذ تلقت المدينة هجرات عديدة من المناطق الداخلية، وقد عبر الشاعر عن مدى إستياء حضر المدينة وتدمرهم من العناصر الوافدة عليهم، خاصة التجار الذين نافسوا أهل المدينة ومما جاء فيها ايضا :

---

<sup>1</sup>-Voir A. COUR **Constantine en 1802 d'après une chanson populaire du cheikh BELKACEM ARAHMOUNI** in R. A ،V60 ،Alger ،1919 ،pp227-231 .

<sup>2</sup> ibidem

بالقبائل راهي تحشات والشاوية كلتهم جاءت

والسوافة ذوك الأزفات حتى مزيتة زادوا

مغاربة وشراقة حفلات جاين ليها بالكثرات

<sup>1</sup> بني مزاب أقوات بالسلعات الخومس عرات الامات .

ومن خلالها يمكننا التعرف ايضا على أصول فحة البراينية التي هاجرت إلى المدينة في ذلك الوقت وهي:

القبائل، الشاوية، السوافة، مزيتة، المغاربة، الشراقة، وبني ميزاب.

وقد استخدمت اللهجة العامية لتسهيل فهمها، وكذلك نظرا لطبيعة الذوق الذي يفضله القارئ إذ يرى

أبو القاسم سعد الله أن الرحومي كان يتغني بهذه القصيدة وغيرها في مقاهي قسنطينة ومجالسها<sup>2</sup>

و من الامثلة كذلك حول الاشعار التي عاجلت ووصفت الاوضاع الاجتماعية المتدهورة ما ذكره مُجدِّ

الصالح ابن العنتري في كتابه مجاعات قسنطينة التي حدثت في بدايات القرن 19م، ، حيث وظف مجموعة من

الآبيات الشعرية الشعبية التي تغنى بها الشعراء سابقا تعبيرا عن مدى حاجة الناس لمادة القمح التي اصبحت صعبة

المنال في ظروف تميزت بتراجع الانتاج الزراعي وحاجة الناس الى المؤونة وخاصة القمح واهمية هذا المنتج بالنسبة

لحياة الناس، فكان الناس يتغنون ويرقصون في الأزقة وهم يرددون :

القمح يا باهي اللون من شبعتك لا وزيادة

أنت قوت كل مسكين بك الصلاة والعبادة<sup>1</sup> .

<sup>1</sup>- A. Cour **Constantine en 1802** ،Op ،cit ،p228 .

<sup>2</sup>- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، المرجع السابق، ص 315.

كما وصفت القصيدة معاناة السكان من الازمة الغذائية التي مست بايلك الشرق في سنة 1804، ووالتي عبر عنها بمجاعات قسنطينة حيث تضيف القصيدة هذه الابيات :

جل جلالة ذا العام كاد الرجالة

ريت الهجالة تبكي بالجوع<sup>2</sup>

كما الفت قصائد اخرى عبرت عن تدهور الاوضاع السياسية واغيرها واقتراب زوال النظام العثماني في الجزائر وبابيلك الشرق وربما كانت استشرافا حول ما سيحدث من حصار وغزو وايضا تحذيرا للسكان وللسلطة من مهبة العدوان الفرنسي، ومن الامثلة على ذلك ان احد الاشخاص قد نصح احمد باي بمخاطر قدوم الفرنسيين الى قسنطينة ويدعى احمد دورون حيث جاء في قصيدته

الاحمر جاني هدادسرجو ما فيه الباد

على راسو باد نجالا واين الهروب يا رجالا<sup>3</sup>

وقد كتبت القصيدة قبل مجيء الفرنسيين بعامين، ويقصد بالاحمر في القصيدة اي الفرنسي وقوله على راسه باد نجالا اي باذنجالا وهي شبيهة بالقبعة التي يرتديه الجندي الفرنسي لان لوها كذلك اذا كانت مغلقة، ومن القصائد كذلك التي عبرت عن تردي الاوضاع قصيدة سيدي الزبوشي الساكن برجاس بميلة بقوله :

التل يخلى ويجلاوانزل منه الذخاير

---

<sup>1</sup> - مُجَّد الصالح ابن العنتري: *مجاعات قسنطينة*، المصدر السابق، ص 43.

<sup>2</sup> مُجَّد الصالح ابن صالح العنتري: *مجاعات قسنطينة*، المصدر السابق، ص 43-44.

<sup>3</sup> نفسه

تعود المخلّى برخلى والشك تخلى الجزائر.<sup>1</sup>

والمقصود بعبارة يخلّى اي يغادره اهله، وقوله يجلى من الاجلاء اي الطرد وقوله نزل منه الذخاير اي يذهب عنه كل ما يدخر بسبب الفتن، ومعنى تعود المخلّى برخلا اي انالمخللة من الطعام تصير بقيمة الرخلا وهي صغيرة انثى الضان.

وفيه اشارة الى الغلاء، وكان هذا القول قبل دخول الفرنسيين الى الجزائر بثلاثين سنة<sup>2</sup>.

ومن القصائد ايضا قصيدة سيدي قشوال بقوله :

حصنت عليها بسبع اقفال وتقفلت من جنبها كيف الرمانة

عيلي وارجعي لاهلك يا مرتدة<sup>3</sup>

والمقصود بذلك ان الفرنسيين لا يدخلون قسنطينة من ابوابها لانها محصنة بل من جنبها، اما قصده

ارجعي لاهلاك يا مرتدة اي اشارة الى ان اهلها وان فعلوا من الشر ما فعلوا فانها ترجع الى اصلها وهو الكفر .

ومن القصائد ايضا ما قاله مُجّد الشادلي القسنطيني لاهل بلده :

يا اهل الهوى ضعوا رحالكم فما الرحيل منها الا من الغلط

كيف الرحيل من دار عدلها ظاهر ونجل سلطانها بما على سقط

كيف الرحيل الى دار ولا حكم بما وظلمها ظاهر على نمط

<sup>1</sup> نفسه

<sup>2</sup> مُجّد الصالح: ابن العنتري مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص ص 44

<sup>3</sup> نفسه

وشاهدي سكتاي تحت ظلهم فانظر تجد عدلهم سردا بلا شطط<sup>1</sup>

وربما في هذه القصيدة يقصد حث سكان المدينة على عدم المغادرة بعد سقوطها ومحاولة مدح السياسة والادارة الفرنسية التي تجسدت في ادارة بواسونبي .

### المطلب الثالث: الكتابات التاريخية المرتبطة بالأحداث السياسية في بايلك الشرق الجزائري

ان التطورات الاخيرة في العهد العثماني ساهمت كثيرا في بروز عدة كتابات تاريخية حاولت ان تنقل اخبار المرحلة ضمن نطاق التاريخ المحلي ومعالجة قضاياها، وهذه الفئة التي الفت يمكن ان نطلق عليها فئة المثقفين التي كانت لها علاقة بالسياسة والسلطة في نهاية العهد العثماني وبدايات الاحتلال الفرنسي، واختلفت مواقف اصحابها حسب انتماءاتها الاجتماعية والسياسية فالبعض كان ناقما على السلطة لعدة اعتبارات وبعضهم كان مادحا لها بحكم الوظيفة التي منحت له واصبح يمارسها، وبحكم قربهم من السلطة، ومن هؤلاء يمكن ذكر الزهار والعنترى والطار وهؤلاء كانتو من المؤرخين المحليين جمعوا بين الوظيفة والتاليف التاريخي.

وقد ارجح البعض للحياة الاقتصادية وحاول تقديم تفسير موضوعي لها وحاول تقديم تفسير علمي وموضوعي للازمات الاقتصادية والاجتماعية في الفترة الاخيرة كما وصف التجارة وحركة الاسعار وطبيعة المنتوجات وحاول ربط ذلك بالانعكاسات على الحياة الاجتماعية، ومثال على ذلك كتاب مجامع قسنطينة الذي كان فعلا محاولة لتحليل وضع اقتصادي واجتماعي في الشرق الجزائري في بداية القرن التاسع عشر<sup>2</sup>، وقد تميز بالروح العلمية واعتبر مصدرا هاما في مجال التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، واطاف بعضهم وصفا للحياة الاقتصادية واسعار القمح والثروة الحيوانية، و ووصفا لفترة حكم ابرز البايات مثل صالح باي وانجازاته التي اهتمت البعض من اجل

<sup>1</sup>: محمد الصالح ابن العنترى فريدة منبسة ... المصدر السابق، ص 182.

<sup>2</sup> انظر كتاب مجامع قسنطينة للعنترى.

التاريخ لها وذكر خصاله ومنجزاته و، ووصف اهم احداثه الاخيرة و موته والذي اصبح حدثا بارزا في الشرق الجزائري، إذ عمد الكثير من المؤرخين لتخليد ذكرى هذا الباي، وايضا تحدثوا عنفساد نظام الحكم بعد وفاته وخاصة التطورات منذ بداية القرن 19م، كما كانت الحملة التونسية ايضا حدثا بارزا اثار اهتمام المؤلفين.

ومن بين هذه الكتابات نذكر كتاب فريدة منسية لصالح العنتري، حيث تناول بالتفصيل تاريخ قسنطينة وخاصة فترة حكم صالح باي، و إنجازاته بقوله: "وأتقن بنياها فكان فيها منفعة للعباد ومصلحة، وحصنا للبلاد وأسس المساجد للديانات، وأجرى للضعفاء والقليلين الصدقات فبذلك كانت أحواله في غاية الإستقامة والرعية طائعة إليه ومنقادة<sup>1</sup> .

كما تطرق إلى السياسة التوسعية التي طبقها، حيث وصل إلى توقرت وهي المنطقة التي لم يصلها الحكام من قبله ولا من بعده حيث يقول العنتري: " وكان وصل توقرت اقضاء (كذا) وطن الصحراء لم يصلو إليها البايات السابقين (كذا) ولا أدركوها المتأخرين (كذا) ألا صالح باي وصلها وأقام عليها سبعين يوما حتى طوعها"، ثم في آخر النص يتطرق إلى نهاية عهده فيقول: "ولما قرب أجله و حانت وفاته تبدلت سيرته وانعكست حقيقته، وصار يظلم ناس الزاوية حتى افضى به ذلك إلى الهلاك والهاوية ... " <sup>2</sup>. وما يثير الإنتباه في هذا العرض هو التعبير عن آخر فترة حكم صالح باي بتبدل سيرته وانعكاس حقيقته دون شرح أو تفسير لهذا الانقلاب <sup>3</sup>.

وأیضا في كتابه: فريدة منسية فقد أرخ لثورة ابن الأحرش سنة 1804م بشيء من التفصيل، وبطابع قصصي حيث أورد حوار دار بين جيش ابن الأحرش وسكان قسنطينة عندما قدموا إليها قصد الإستلاء عليها، كما وصف الحصار والمعركة التي دارت بين جيش ابن الأحرش وسكان المدينة والتي دامت يوم وليلة، وقد عبر عن

<sup>1</sup> العنتري صالح: فريدة منسية ... ، المصدر السابق، ص 62.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 62.

<sup>3</sup> فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة في عهد صالح باي، المرجع السابق، ص 123.

ذلك بقوله: "فإنضمرت نار الحرب وصار النهار كالليل وتراكت الأحران والويل، وتمادى القتال من الجانبين يوم وليلة"<sup>1</sup>.

وفي كتاب فريدة منسية للعتري، ارجح لاحداث خارجية تتعلق بالجرممع تونس في فترة ولاية حسن ولد صالح باي 1806-1807م، فهو يذكر البايات حسب تواريخ ولايتهم وما حدث في زمن كل واحد منهم، وقد ذكر أن البايخرج لمواجهة الحملة القادمة من تونس بعمارة قليلة، فلم يستطع إيقاف هذا الزحف الذي وصل إلى مدينة قسنطينة وحاصرها مدة شهر كامل وقد تولى الدفاععنها أهلها، إلى أن جاءت الإمدادات العسكرية من الجزائر برا وبحرا، وبعد ثلاثة أيام من المواجهة حقق الطرف الجزائري إنتصارا كبيرا ورفع الحصار على المدينة أخيرا، وقد وصف ذلك قائلا: "وصارت بينهم مقتلة عظيمة ثم بعد ثلاثة أيام كانت الهزيمة على عمارة تونس ما أعظمها هزيمة من موت عساكرهم وإغتنام الناس أرزاقهم من كل نوع شيء متكاثر وباتت قسنطينة في حكم الجزائر"<sup>2</sup>.

أما التأليف الثاني الذي ارتبط كذلك بهذه الاحداث وعاش صاحبه الفترة الاخير فهو كتاب تاريخ حاضرة قسنطينة او تاريخ بلد قسنطينة للحاج احمد بن مبارك بن العطار فقد كتب عن تاريخ قسنطينة ووصف فترة حكم صالح باي في حوالي الست صفحات، إذ يستهل حديثه بتقديم حوصلة عن إنجازات هذا الباي، والتي تنوعت بين ثقافية، كبناء مسجد ومدرسة سيدي الكتاني، وإقتصادية كتتحسين أوضاع الزراعة وتنمية الإنتاج الفلاحي وإدخال منتوجات جديدة<sup>3</sup>، وقد عبر عن ذلك بقوله: "... مات أحمد باي وتولى مكانه خليفته صالح باي، وحسنت أيامه وبلغ ما لم يبلغه من هو أكبر منه من ولاية الجزائر، وولاية تونس، وجمع ما لا يجمعه غيره، وبني جامع

<sup>1</sup>العتري صالح: فريدة منسية ... ، المصدر السابق، ص 70.

<sup>2</sup>نفس المصدر، ص 75.

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني: وراقات جزائرية ... ، المرجع السابق، ص 249.

سيدي الكتاني، ودياره بالشارع، وغرس البساتين المعتبرة، ... وعمر الوطن و سعدت الناس في دولته ودام نحو اثنين وعشرون سنة (22 سنة) وأخباره مشهورة، وصدقاته ماثورة<sup>1</sup>.

ثم ينتقل ويتكلم عن ترمذ صالح باي ونهايته المأسوية<sup>2</sup>.

لم ينفرد العنتري بالتأريخ لثورة ابن الأحرش فقد كتب عنها العطار في كتابه تاريخ حاضرة قسنطينة، حيث يذكر أن ابن الأحرش إدعى أنه من الأشراف، وكون جيشا من القبائل الواقعة بين جيجل وسكيكدة وتوجه نحو قسنطينة قصد الإستلاء عليها، كما يوضح صمود أهل المدينة بالرغم من غياب الباي الذي كان بمحلته بنواحي جبل بابور، حيث يقول: "وغزاها الشريف بن الأحرش سنة 1219هـ/1804 وهو رجل مغربي يزعم أنه من شرفاء ملوك فاس، ... فاجتمع عليه جند عظيم من فرق القبائل الساكنين ما بين جيجل وسكيكدة أكثر من مائة ألف، ... وقاتلهم أهل البلد من فوق الأسوار، ورموهم بالمدفع، فانهزم الشريف وأصابه جرح في يده وفر هاربا"<sup>3</sup>.

كما أرخ العطار لهذه الحملة التونسية، وتضمن كتابه معلومات مفصلة عن هذه الواقعة، وقد بدأ حديثه بوصف المحلة القادمة من تونس تحت قيادة سليمان كاهية، والتي كان في مواجهتها حسين باي الذي لم يمر شهران على تسلمه مقاليد الحكم، فلم يستطع مواصلة الحملة وفر هاربا، وكيف صمدت قسنطينة أمام الحصار الذي دام شهرا كاملا، حيث لم يتوقف التونسيين عن قصف الأسوار، ورجم المدينة بكل أنواع القذائف، ولكن الأهالي رغم إنفقادهم لقائدهم استطاعوا أن يقاوموا الهجوم<sup>4</sup>، حيث جاء في نصه: "وخرج أهل البلد للقتال فمات من مات

<sup>1</sup> أحمد بن المبارك بن العطار: المصدر السابق، ص 138.

<sup>2</sup> ناصر الدين: سعيدي: وراقات جزائرية ... ، المرجع السابق، ص 250.

<sup>3</sup> أحمد بن مبارك العطار: تاريخ بلد قسنطينة، المصدر السابق، ص 112-113

<sup>4</sup> أوجان فايسات: تاريخ بايات قسنطينة، المصدر السابق، ص 212.

ورجع من بقى من البلد وغلقوا الأبواب وهرب حسين باي إلى قصر الطير\* من بلد ريغة، فنصب سليمان كاهية مدافعه وحاصرها شهرا كاملا".<sup>1</sup>

ومن ضمن الكتابات أيضا والتي أرخت لهذه الحرب ما جاء في تاليف لآحد الكتاب المجهولين من عائلة القج ويؤرخ لسنة 1807م، وهذا التاليف عبارة عن مخطوط<sup>2</sup>، وهو عبارة عن مجموعة اشعار وقصائد واغاني كتبت الى غاية سقوط قسنطينة لهذه العائلة، وتضمن المخطوط تواريخ ميلاد ووفيات وتواريخ محلية والقسم الاهم منه هو الجزء الخاص بالحملة التونسية على قسنطينة سنة 1807م، ونشر المخطوط الذي نشر في المجلة الافريقية العدد 14، من قبل فايسيت، ثم تم اعادة نشره في مجلة ملاحظات ومذكرات الجمعية الاثرية بقسنطينة خلال العدد 11 و13. وقد جاء في المخطوط: ... وكانت عيطة القبائل في شهر الله ربيع الاول في السنة المذكورة 1219هـ وكانت فتنة عظيمة من موت في الخلق شئ كبير وعم الثحط جميع البلاد الواصل البنا ذكرها حتى وصل القمح عندنا بخمسة عشر ريال للصاع، وكذلك الشعير بثمانية ربات للصاع، وهذا الشر باقي الى سنة التاريخ وهي سنة احدى وعشرون والله يلف بعباده ...<sup>3</sup>

### الكتابات التاريخية المرتبطة بالأحداث الاجتماعية .

فيما يخص المؤلفات التي إرتبط مضمونها بالأحداث الاجتماعية وحاول صاحبها ان وصفا وتحليلا لبعضها نذكر كتاب مجاعات قسنطينة لمحمد الصالح ابن العنتري، وقد تميز بوفرة معلوماته وتنوعها، وكذلك بدقة ملاحظته

<sup>1</sup> العطار أحمد بن المبارك: تاريخ بلد قسنطينة، المصدر السابق، ص 119.

<sup>2</sup> مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة يحمل رقم 294

<sup>3</sup> S. Note **chronologique sur l'histoire de constantine** ، in RA ;v39 ;A1895 ، p164-166

ونظرتة المحايدة، وإحترام سياق العرض التاريخي للأحداث<sup>1</sup>، ويجدر بنا الإشارة إلى أن صالح العنتري لم يعاصر تلك الأحداث وإنما نقلها على لسان أهل البلد وقد تطرق في كتابه للأوضاع الاقتصادية من غلاء في الأسعار، والاجتماعية من مجاعات وقحط التي وقعت بقسنطينة بين سنتي 1804م، والتي تزامت مع فترة حكم عثمان باي الذي حكم من 1803 إلى 1804م، وقد عبر عن ذلك بقوله: "يحكى أن في سنة 1219 هجري 1804م 1805م زمان الأتراك وقعت مجاعة شديدة، وقحط وهول أضر بأهل قسنطينة ووطنها ودام الحال كذلك عليهم مدة ثلاث سنين متوالية والوالي في ذلك الزمان على البلد عثمان باي"<sup>2</sup>، كما لم يكتفي بذلك بل بحث في أسباب هذه المجاعات وعزاها إلى سببين:

غزو الجراد وإشتداد الجذب، فمن بين القبائل التي إنعدم فيها الزرع بسبب الجائحة حسب صالح العنتري هي الحراكته والنمامشة وأولاد يحيى بن طالب وغيرهم<sup>3</sup>.

الاضطرابات السياسية واثارها إذ يقول: "سبب دوام القحط والشر على بلد قسنطينة ووطنها مدة ثلاث سنوات مركب من أمر بين أحدهما نزول الجائحة والقحط في السنة الاولى وبقي السنين اللتين بعدهما والثاني وهو أعظمهما ترادف الافتنان والأهوال التي لم تطمئن نفوس الناس للحراثة معها"<sup>4</sup>.

وبالإضافة الى هؤلاء هناك من ارخ لابرز الحوادث، ويمكن ذكر :

---

<sup>1</sup> - ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافين"، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص 536.

<sup>2</sup> - صالح العنتري: مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص ص 27-28.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 28.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 39.

تقييدات ابن عيسى عن حصارى قسنطينة: ويعد ابن عيسى هو الرجل الثاني بعد احمد باي وخليفته، وقد اعتمد عليه في الاصلاحات التي بداها سنة 1830م، وهو الذي تولى الدفاع عن مدينة قسنطينة وشهد كل الاحداث الى غاية سقوطها، وهذه التقييدات قد نشرت بالفرنسية وكتبت في 1838م، ويعتقد ان محافظ المكتبة الوطنية انذاك بربريجر قد اخذ شهادته منها حول احداث الشرق الجزائري.<sup>1</sup>

بدا المؤلف تقييداته بالحديث عن استعداد فرنسا لغزو قسنطينة عن طريق عنابة، وعن تكليفه بالدفاع عن المدينة وذكر عدد الجنود المقاومين وعن معركة قسنطينة الاولى سنة 1836م، وعن الاستعدادات لمواجهة الحملة الثانية، ومشاركة الاهالي في الاستعدادات وعن كيفية تحصين المدينة، وعن رسالة دامريون لحاكم قسنطينة حيث عرض فيها الاستسلام، ثم الحديث عن الحصار الثاني سنة 1837م ثم سقوط المدينة.<sup>2</sup>

كتاب احداث نهاية صالح باي: وهو كتاب يعتقد ان مؤلفه قد عاش في قسنطينة وعاصر الاحداث الاخيرة والكتاب يتضمن احداث نهاية صالح باي والعلاقات مع تونس وجاء بعنوان: ذكر طرف من ولاية صالح باي الازميرلي بولاية الجزائر، وينسب الى اسماعيل احمد بن اسماعيل بن صالح باي الذي انتهى من تاليفه سنة 1856م<sup>3</sup> وللكتاب نسخة اخرى مخطوطة بالمكتبة الوطنية بتونس بقلم احد المؤلفين ويدعى النقاد<sup>4</sup>

من المؤلفات ايضا التي عاش اصحابها الفترة الاخيرة في الشرق الجزائري نذكر :

<sup>1</sup> Abd Eljelil TEMIMI : le **beyleck de constantine**,... op cit ,p144

<sup>2</sup> ibib ;pp144 -145

<sup>3</sup> نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 2120

<sup>4</sup> نسخة المكتبة الوطنية بتونس رقم 263

كتاب علاج السفينة في بحر قسنطينة وهو مخطوط تتبع خلاله اخبار بايات قسنطينة، والكتاب ربما للاحد المؤلفين ويدعى احمد النبيري<sup>1</sup> .

وقد اشار سان كالبر الى الكتاب في مقال حول تاريخ قسنطينة<sup>2</sup>، وذكر ايضا ضمن اعمال الجمعية الاثرية لقسنطينة<sup>3</sup>، و اشار اليه كذلك المترجم ارنست ميرسيي سنة 1906<sup>4</sup>، اما ابو القاسم سعد الله فقد عرف بالمخطوط وذكر بانه يضم حوالي 700 صفحة من الحجم الكبير وأسلوبه ركيكا قريب الى العامية كما تضمن أرقاماً عربية وهندية وان مؤلفه أصله يوناني وقد اسلم في تونس ثم جاء الى قسنطينة بعد سقوطها، وقد عمل كمترجم عسكري<sup>5</sup>، ويضيف ابو القاسم سعد الله ان جزء من المخطوط هو نسخة من كتاب العنتري ويعد مصدراً هاماً، وقد قسم الكتاب الى عناصر هامة حول لفظ قسنطينة وجغرافية المنطقة وصناعتها الى غاية دخول الفرنسيين، ثم نبذة عن المدينة منذ الفتح الاسلامي ثم خلال العهد العثماني ثم سيرة البايات ثم فترة عشية الاحتلال، ثم تحدث عن الحالة الاقتصادية وتفصيل الحرف وانجازات البايات ودور بعض العلماء والقضاة في المجتمع والسياسة<sup>6</sup> .

كما عرف هذه الفترة كتابات تاريخية لمؤلفين من خارج عاصمة البايك من عدة مناطق ومنها :

---

<sup>1</sup>Charles. Feraud : **Epoque de l'établissement des turcs a constantine** ; in RA ;v10 ;1866 ;pp199-194

<sup>2</sup>Saint CALBRE, **constantine et quelques auteurs constantinois** ،in RA ، v57 ،A1913 ،p74

<sup>3</sup> Recueil des notices et mmoires V5, A1928 ; p199

<sup>4</sup> Ernest MERCIER, **histoire de constantine**, op cit, p518 .

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله، البحوث وارااء ... المرجع السابق، ص 330.

<sup>6</sup> نفس المرجع، ص 331-332.

## تقايد بن كانون في تاريخ زاوة أواخر العهد العثماني :

الكتاب عبارة عن مخطوط عربي تعود ملكيته إلى عائلة أولاد بن كانون من يسر، ترجمه الضابط ماير

لكنه لم يقم بنشره، وقد إستغله الضابط روبان في تحرير بحثه حول منطقة الزاوة وأغواته<sup>1</sup> .

مضمون هذا المخطوط حول ثورة أهل فليسة ضد البايك سنة 1767م، بسبب الضرائب التي فرضت عليهم، حيث ورد فيه إسم الشيخ بن بوزيد قائد فليسة آنذاك، كما تعرض المخطوط إلى الحرب التي نشبت بين القبائل، فالقائد يحي آغا قام بمعاينة أهل الزاوة بسبب إتهامهم بالسرقة، فثارت ضده قبائل قشطولة وبني صدقة، فهاجموا برج بوغني، كما وصف المخطوط الفوضى السياسية التي عرفتها منطقة الزاوة أواخر العهد العثماني، ودور يحي آغا في تهدئة الأوضاع بالإستعانة بالقبائل المحلية مثل قبيلة عمراوة<sup>2</sup>

## تقايد محمد بن عبد الله قابة عن منطقة النمامشة :

التقايد يرجع لمحمد بن عبد الله قابة الذي تولى منصب قائد النمامشة في فترة الإحتلال الفرنسي، كتب مخطوط تاريخي حول منطقة النمامشة، وقام بتسليمه لظابط فيرو، ومما ورد فيه أصل تسمية مدينة شابة الواقعة قرب المهديّة، وهي تنسب إلى إسم شابة بنت أمير المهديّة، وقد بني مهلهل سكنوا هذه المدينة، وأصبحوا يعرفون بالشابية<sup>3</sup>

<sup>1</sup> فارس كعوان: المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي 1830-1962، ص 235.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 236.

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 247.

كما أشاد المخطوط بأجداده الشايبة، وبسياستهم الهادفة لإرساء العدل، فقد بنوا خيمة كبيرة وسط خيام الشايبة وعرفت ببيت الشريعة، وكانت بمثابة محكمة تسوى فيها الخلافات، وقد ساهم في بناء هذه الخيمة كل القبائل المتحالفة .

بالإضافة إلى ذلك وردت في هذا المخطوط أخبار عن الفتح الإسلامي، الذي كان بقيادة عبد الله بن جعفر، إذ توسع في فتوحاته حتى وصل سطيف، وبعد فترة زمنية معتبرة تولى حكم سطيف امرأة فقررت الرحيل عن المنطقة، وإستقرت مع قبيلتها في جبال سيدي عبيد، وقد أسسوا لأنفسهم مدينتهم الخاصة فحفروا آبار الماء وبنوا بعض البنايات، وبعدها رحلوا إلى تبسة وإستقروا ببئر العاتر، إذحفروا بها البئر الكبرى المسماة بئر الكاهية أو بئر العاتر<sup>1</sup>

اما في الجنوب نذكر :

كتاب تاريخ بني جلاب ملوك توقرت لمحمد الإدريسي :

أُلف الكتاب سنة 1851م بتوقرتبالغة العربية، ثمقام بترجمته إلى الفرنسية القس الفرنسي بارجيس ونشرته تحت عنوان: "جدول تاريخي حول سلالة بني جلاب بتوقرت"، إستهل المؤلف كتابه بالإشادة بأمرأ أو مشايخ بني جلاب، الذين إمتازوا بالعدل والإنساف، فالكتاب عبارة عن ترجمة لهؤلاء الحكام، إذ بدأ بالتأريخ للأمير عبد القادر الحليم بن الأمير إبراهيم، وقد جاء هذا الأمير من فاس وحكم منطقة وادي ريغ برضى سكانها، ومن صفاته العدل ودحر الظلم، وقد إنتقل الحكم بالتوارث حتى وصل لشيخ سليمان في عهد المؤلف<sup>2</sup>

<sup>1</sup> فارس كعوان: المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي، 1830-1962، ص ص 247-248.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 295

وقد إسترسل في ذكر ملوك بني جلاب دون التعرّيج إلى تاريخ توليهم الحكم ووفاتهم، إلى ان وصل إلى الشيخ عبد القادر بن إبراهيم فبدأ بذكر التواريخ، وقد تولى هذا الأخير الحكم عام 1724م ودام حكمه سبع سنين، وقد إعتمد على المصادر التاريخية في سرد الأحداث التي لم تقع في زمن المؤلف<sup>1</sup>.

وما نستنتجه من هذه الكتابات انها كانت محاولة للتعبير عن اوضاع خامة عاشها سكان الشرق الجزائري في اخر العهد العثماني وكانت هذه الفئة بمثابة النخبة التي عبرت عن الازواض كتابة وتذا ما قارنا الفترة الزمنية التي كتبت فيها مع حجم الانتاج الفكري والعلمي يمكن القول انه بالفعل قد خلف العلماء والمؤلفون والادباء وغيرهم منتوجا متنوعا في جميع المجالات.

---

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 296.

الخاتمة

بعدها تعرضنا في الدراسة لاهم التطورات السياسية والاقتصادية والثقافية التي عرفها بايلك الشرق الجزائري من 1800 الى 1837 يمنا ان نستخلص النتائج الاتية والتي تعد مستنتجات الفصول الثلاث,

**اولا:** نستنتج ان فترة نهاية القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر هي فترات عرفت خلالها الجزائر بما فيها بايلك الشرق تطورات شاملة اثرت في مختلف المجالات وكانت تاثيراتها عميقة في الداخل وفي الخارج كما نستنتج ايضا ان التطورات والاحداث السياسية التي عرفها بايلك الشرق الجزائري كانت نتاجا للتطورات والتاثيرات التي عرفها الوضع السياسي العام في ايلة الجزائر في تلك الفترة وخاصة ضعف نظام الحكم وعدم استقرار السلطة وانتشار الفساد السياسي والاداري والذي انتقل الى كافة البايليكات وخاصة بايلك قسنطينة، كما ان للثورات الداخلية ومنها خاصة الثورات الشعبية والتي تزعمتها شخصيات دينية قد كان لها انعكاس واضح وساهمت في تدهور اوضاع بايلك الشرق و اضعافه وهذا ما توقفنا عنده خلال تعرضنا لتلك الاحداث سابقا.

**ثانيا:** نستنتج ان من ابرز التطورات السياسية كان دور القبائل التي لعبت دورا سياسيا هاما في تلك التطورات بسبب نفوذها السياسي والعسكري وعلاقتها بالسلطة والتي كانت في اغلب الاحيان علاقات تصادم كما ساهمت القبائل خاصة الحدودية في التأثير في العلاقات السياسية مع تونس سواء في اوقات السلم او النزاع واستطاعت ان تفرض نفوذها وتؤثر تأثيرا مباشرا على العلاقات الثنائية خاصة في اوقات النزاع واصبحت من عوامل النزاع الثنائي لسبب الاغارات المتواصلة من كلا الجانبين وهذا ما نستنتجه من خلال ما جاء في الوثائق المعروضة او الكتابات التاريخية، كما يمكن ان نستنتج ان قبيلة الحنانشة الحودية كانت نموذجا تاريخيا لنفوذ قبلي سياسي وعسكري مجوريا سواء تدها السلطة في بايلك الشرق او تجاه السلطنة التونسية، وهذا ما يجعلنا نشبهها بالكوفدراليات الحدودية.

**ثالثا :** نستنتج من خلال دراسة العلاقات مع ايلة تونس هو طغيان روح العداة والتصادم وبرز ذلك من خلال استمرار النواعات الحدودية كما ان وكان للنظام السياسي الجديد في تونس دورا كبيرا في النزاع رغبة منه ومحاولة التخلص من سيطرة الجزائر التي اعتبرها مذلو حقيقة استمرت منذ العصور الحديثة، كما يمكن ان نستنتج ان الاطراف الاجنبية الاوربية قد ساهمت في هذا النزاع نتيجة للتقارب الاوربي التونسي ورغبة منها في اضعاف الجزائر وهذا ما تعرضنا اليه خلال دراستنا لسياسة حمودة باشا وجهوده لتعزيز قدراته لمواجهة باي قسنطينة، كما يمكن ان نستنتج الدور الذي لعبته الخلافة العثمانية في الصلح بين الطرفين من خلال مساعيها التي تجسدت في ايقاف النزاع سنة 1822.

**رابعاً:** لقد كان لبايلك الشرق الجزائري أكبر نصيب من الثروات والامكانيات الاقتصادية وهذا باعتراف الرحالة الاجانب الذين زارو الجزائر.

نستنتج ايضا ان اقتصاد البايك قد اعتمد اساسا على النشاط الفلاحي وكان اقتصاد الكفاف نموذجاً شاملاً في اقاليمه وشكلت قضايا الملكية ابرز السمات التي ميزت الحياة الزراعية وتحكمت في الانتاج الزراعي وتقييد نشاط المزارعين، كما يمكن ان نستنتج الدور الذي لعبه البايك في قضايا الملكية واحتكار الثروة الفلاحية وهذا ما تعرضنا اليه خلال الدراسة.

**خامساً:** نستنتج كذلك ان توفير الغذاء وخاصة القمح كان من اهم اولويات السلطة ومعياراً أساسياً يتوقف عليه الاستمرار في اتولي البايك او العزل، كما ان متطلبات الجنود الغذائية ساهمت في اضعاف الانتاج، ضف الى ذلك سياسة السلطة في استنزاف ثروات سكان الارياف من الانتاج الفلاحي ضمن متطلبات سير المحلة ونتائجها وهذا ما اثر سلبي على الوضع الاجتماعي والنفسي للسكان، كما ان من مميزات بدايات القرن التاسع عشر ميلادي هو الارتفاع الكبير في اسعار المواد الغذائية وخاصة الخبز وتسبب ذلك في ضائقات غذائية كانت محل اهتمام الكتابات المحلية والتي وصفها البعض بمجاعات قسنطينة.

**سادساً:** لقد علب على الصناعة الطابع الحرفي فلا يمكن الحديث عن صناعة حديشي قد واكبت التطورات الحاصلة منذ نهايات القرن الثامن عشر ميلادي في اوربا، وهذه الصناعة الحرفية في بايلك الشرق كانت اكثر انتشاراً ولم تسلم كذلك من السياسة الجبائية التي طبقها العثمانيون مما ادى الى ضعف مردودها وتردي اوضاع الحرفيين، وثقل الضرائب المفروضة عليهم واثّر ذلك سلبي في عدم القدرة على التنافس الخارجية.

**سابعاً:** لقد كان للتنظيمات الحرفية دوراً كبيراً في تنظيم الصناعة الحرفية داخل الأسواق والشوارع ولعلها من أبرز السمات في هذا المجال وكانت محل اهتمام الكتابات الأجنبية أو المحلية وفي نفس الوقت أثرت الممارسات السلبية للمشرفين على هذه التنظيمات والهيئات في تراجع قيمة الحرف وضعفها أو زوالها نهائياً.

**ثامناً:** نستنتج من خلال دراسة التطورات الخاصة بالتجارة والعملية ان المعاملات المالية في بابلك الشرق كانت أكثر تنوعاً وكانت المنطقة مفتوحة أمام العملات المحلية والأجنبية خاصة التونسية بحكم الجوار، كما يمكن ان نستنتج ان العملة المحلية في بابلك الشرق قد عرفت لعدة مرات اضطراب بسبب تأثيرها بالاضطراب العامة والسياسة النقدية للبايات التي كانت في شكل اصلاحات نقدية وجبائية، ويمكن ان نستنتج ان اهم الاصلاحات كانت في عهد احمد باي بعد سقوط العاصمة سنة 1830، ولكنها لم توفق في اصلاح الاحوال المالية، كما ان لظاهرة الاكتناز التي اعتمدها السلطة وجمع الثروة وحصرها في يد فئة قليلة قد ساهمت في الابقاء على نظام مالي تقليدي وبدائي لم يتطور ليساهم في توفير الدعم لقطاعات صناعية حديثة، كما ان للنظام الجبائي اثر كبير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية وقد ساهم في اضعاف كاهل الفلاح والحرفي في المدينة او في الريف عللاً السواء وادى الى احتكار فئة قليلة للثروة بسبب الوساطة واستغلال النفوذ الاسري والاحتكاك مع الاجانب، كما ان لنشاط الشركات الأجنبية خاصة في سواحل القالة وعنابة قد اثر في ازدياد عمليات الاحتكار للثروة وتردي اوضاع سكان تلك المناطق القريبة منها، واصبح الفساد المالي ميزة تلك الفترة وعامل للضعف كذلك.

**تاسعاً:** بالنسبة للتطورات الثقافية نستنتج ان النظام التعليمي في بابلك الشرق قد تميز بدور مؤسسة الاوقاف التي كانت تنفق عليه والتي كانت أكثر انتشاراً منذ نهاية القرن 18م، وكانت مصدر الانفاق على التعليم وشملت مختلف مقاطعات البابلك كما يمكن ان نستنتج ان الاصلاحات التعليمية قد ارتبطت بعدد قليل من البايات مثل صالح باي ثم احمد باي، كما ان هذه الاصلاحات قد اثرت في ظهور العداة بين فئة العلماء الذين دعمتهم السلطة عامة وبين فئة المتصوفة في الارياف الذين دخلوا في مواجهات مباشرة مع البايات فاصبح النزاع ميزة تلك

الفترة، كما نستنتج ان الاسر الكبرى قد اهلته دورا كبيرا في الحركة العلمية بفضل مكانتها الاجتماعية والدينية وكذلك دور الهجرة الخارجية خاصة هجرة العلماء من الى تونس .

**عاشرا:** تميز الانتاج العلمي والفكري والادبي في هذه المرحلة بالتنوع وكان التأليف التاريخي قد ارتبط بالاحداث الكبرى التي عرفها البايك سواء السياسية او الاجتماعية التي فرضت نفسها على الاوضاع وعلى الانتاج الثقافي فشملت التأليف اخبار متنوعة ارتبطت بابرز الاحداث مثل الحرب مع تونس والثورات الداخلية والاطرابات والفساد والمجاعة وبعضها ركز على التحرشات الاجنبية والتنبؤ بالاحتلال الفرنسي كظاهرة متوقعة ان لم نقل كظاهرة حتمية.

الملاحق

الوثيقة الاولى: جواب من والي تونس حول اغارات باي قسنطينة عبد الله باي سنة 1804.

عند  
فمنحة جواب فواي تونس في سنة 1804  
به محمد خوجه وشيخ يعقوب انما الما مورين بوجيد  
تونس بازمين يعقوب بيه نمازة عبد الله باي  
عامل فمناخفة له شرايط بوجافم وانه سي  
اخراج زوج احوال فرتونس صفة سليمان اعلا  
٥٨٣

الارشيق الوطني التونسي: السلسلة 223، الملف 384

لوثيقة الثانية: وثيقة حول موقعة وادي صيراد،

104

مكتوب من والي تونس الى مؤر الوجع المصور ببلدة ازير بدون تاريخ  
وبدون امضا وهذه ترجمته :  
الى جناب ذوى السعادة والعزة ابني ونور عيني محمد خوجه المأور الذى  
فى خدمته الوجع المصور ببلدة ازير والى ذى السعادة والرفعة و  
المودة اخي العزيز وسلطانى شريف لغا وكيل الوجع المصور  
بعد تبليغ درر الدعوات الصالحات وغر التسليمات الواقيات الى ذوى  
العزة حضرات اولادنا الشجعان الموجودين بمعية ولدنا محمد خوجه المومى  
اليه كبراً وصغيراً نعرف جنابكم ان قبل تاريخه ببلدة خمسة اوسنة  
مشهور وقع الهجوم من عبدالله بيك باى قسطنطينه بغتة بالغارته  
على عرشى اولاد بوغانم الكائنين فى راس الحدود بما اوجب شيئاً من  
الحساسة وبعدهما اخربنا حمله الشا مرتبة من طرفنا على حسب القاعدة  
جهزنا حمله اخرى مرتبة ايضا على مقصص الوقت والحال واخرجناها بمعونة ذى  
السعادة ولدنا سليمان لغا واسلناها حمله واحدة على قسطنطينه و  
بعناية الله تعالى فالتهم فى اول الامر عند وصولهم الى قسطنطينه اخذوا حمله  
ثم بعد ذلك حمروها ورامت المحاربة هناك شهراً كاملاً ثم ظهر من طرف

الارشيف الوطني التونسي السلسلة 223، الملف 384



## Anciennes possessions Françaises de la Calle.

Avant la guerre de 1830 contre Alger, les concessions d'Afrique occupées par les Français de l'ouest des côtes de Barbarie (1) restaient possédées par le pacha de Constantine. Les établissements existants à son bord plusieurs vicissitudes jusqu'au moment où les Français furent chassés définitivement de la Calle; cette vicissitude par les Arabes, d'après l'investigation des Écrivains; le 18 juin 1847. Le 9 de ces parages où se trouvent nos anciens possessions, de la Calle, Du Cap Anata, Du Bastion, De France et Du Cap Trompe, était affecté à la pêche du Corail; ainsi que le golfe de Bone et les environs du Cap Ferrat. (2).

(1) L'expression de concessions, à force d'être répétée, remplaça, celle de possession consacrée dans plusieurs traités des 17<sup>e</sup> et 18<sup>e</sup> siècles.

(2) Pêche du Corail.

La pêche du Corail est faite par des balances, bateau ponté du port de 15 à 25 Bonnes, ayant de 9 à 12 hommes d'équipage et deux moules constamment occupés à faire ou à réparer les filets. La voile est fort basse, soutenue par un seul mâst, elle se compose d'une voile latine et d'une brigantine. Les filets de pêche sont formés par deux fortes madriers placés en croix, longs de 1<sup>m</sup> 50<sup>c</sup>. à leur réunion est une grosse pierre carrée et un câble assez long pour laisser descendre le filet jusqu'à 50 brasses de profondeur (400 pieds) et quelques fois plus. Cinq quatre extrémités des madriers sont fixés des paquets de réseaux en grosse ficelle. Cet appareil fort simple est jeté à la mer et retenu au moyen du câble fixé à un petit cabestan. En entrant dans l'eau les réseaux du filet s'étendent et parvenus au fond, ils s'étalent au tour des madriers qui agités par les flots, cassent les branches des coraux. Quand on suppose qu'une quantité suffisante a été détachée des rochers sous-marins, on enlève les filets au moyen du câble, alors les réseaux se rapprochent par leur propre poids et arrachent les morceaux de corail cassés par les madriers. Les filets étant parvenus sur le pont ou cherché dans les réseaux les morceaux qui s'y trouvent ou en conserve quelques morceaux qui restent à la casure qu'on cherche à faire avec les doigts.

Cette pêche n'est exploitée que par des Sardes et des Napolitains. Un bateau bien équipé pêche pour 10 ou 12 jours de corail, avec une dépense de 6 à 7000<sup>fr</sup>. On les transporte à L'Oranie où il en vend de 30 à 50<sup>fr</sup> la livre. Les gros morceaux de corail propres à tailler des médailles valent à 1000<sup>fr</sup> et au-delà. Ce n'est que dans ce pays et à leur retour, que les pêcheurs s'acquittent du prix de leurs pannes auprès du Consul Français.

ارشيف ايكس اوبروفانس

F80/1672

وثيقة الاسواق التونسية التي كان يتردد عليها تجار الشرق الجزائري

Bazars où elles sont achetées.

Bazar	Nature des Marchandises.	Unités de mesure	Prix.
Souk es Deräïie	Fusils, long canons, modèle arabe,	Le Fusil	20. <sup>100</sup>
Souk el Atarin	Essences de rose, commune, (Toiles de coton fines (Matta)	Le Mikhhal	5. "
Souk el Zouk	" blanches (ambourguis)	sa	5
N <sup>o</sup> : Mattais	Mouchoirs coton, toutes espèces.	Le Mouchoir	1. "
Souk el Baraïie	Soie un fil, commune, toutes couleurs	La livre,	36. "
Souk el Baraïie	Fichus de soie, bandes — parallèles, diverses couleurs.	Le fichu,	2. 8
Chouaebie	Chachias (bandes rouge de petite dimension) par les Arabes. —	Le bounet,	11. "
Souk es Sieria. (des Arféras)	Coraïl en longs morceaux avec tranchées percés de part et d'autre. —	La livre,	10. "
	(Lunettes, plomb & étain avec une caissette en verre. —	L'anneau,	1
	Breuletés, plomb & étain,	Le paire	5
	Breuletés en verre, — — —	sa	11
Souk el Felga.	Miroirs ronds montés sur jing <sup>(1)</sup>	Miroir petit mod.	3

(1) J'ai acheté à Tunis un de ces miroirs portant la marque <sup>BP</sup> <sub>Tunis</sub>.  
J'ai payé 17 en 3 Khansabes. J'ai acheté des miroirs de ce genre chez  
Poty fabricant à Paris, rue du Petit Châteauneuf, je les ai payés 1.  
La douane Les Marchands ambulants à Paris les vendent 20<sup>0</sup> et  
25<sup>0</sup> l'un. On voit que les Marchands Musulmans de Tunis se

AOM.F80 ; 1697, Article 1, commerce tunis avec l'algerie

وثيقة حول المحطات والطرق الرئيسية التجارية لبابك الشرق

Distancaer dans le détail se trouvera dans le volume du Cap. Carotte.

Routes extérieures

1. de Rasidat à Timbektou (par nos des Routes mentionner) par El-Folâ  
 El-Folâ à Timbouctou - 10 lieues (selon les routes)  
 de Timbouctou à Timbektou (selon les routes) - 10 lieues (selon les routes)

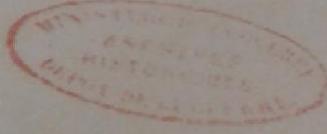
2. de l'ouad-souf à Rdâmet, puis sur Rdâmet au pays des Fousarés et Timbouctou (par nos des Routes)  
 160 lieues -  
 de Rdâmet à Rdâmet (1. marche de 20 jours) - 20 jours.

3. d'ouareglé à Rdâmet. 24 lieues - 7 jours.

4. d'ouareglé à El-Folâ - 84 lieues - 7 jours par étapes -

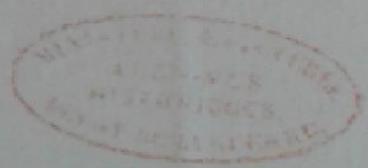
5. de Mettli à El-Folâ; 60 lieues - 6 jours par étapes. (En fait de charanta, beaucoup de temps et de nuit)

6. d'El-Abied-hidi-cherkhi à Fousarés ou Timbouctou  
 185 lieues - 1/2 jour - dans les têtes - très peu d'eau - pas de village.



Distances dont le détail se trouvera dans le Volume du Cap<sup>e</sup>

	liens.
De Tebessa à el-kif . . . . .	21.
_____ Tifech . . . . .	27.
Tuggurt à el aronât . . . . .	74
Bârdia à Tuggurt . . . . .	35.
_____ El-aronât . . . . .	62
_____ Bouâda . . . . .	113.
_____ el-Suerera . . . . .	18
ouâregla à Tuggurt . . . . .	35
_____ el-Suerera . . . . .	24
_____ El-aronât . . . . .	94.
_____ Bârdia . . . . .	42
K'alâ . . . . au Riban . . . . .	6
(chapelle de l'ami Allah) à Zamora . . . . .	16.
Bou-Sâda à msila . . . . .	15.
_____ K'alâ' . . . . .	32
_____ ouennouâ . . . . .	26.
Hamma aux marabouts de Sidi. aïça . . . . .	21.
à El-aronât à Bou-Sâda . . . . .	63.
de Souâgm à Tagguin . . . . .	10.



ارشيف وزارة الحربية

AMG;GR 1H238

ظهير صادر من الباي نعمان حول اعفاء المرابط بوكحيل الساسي من  
الالتزامات المخزنية

القرينة  
وصلناك على تاملنا في  
مقامه... والتمسنا من المبادي بموارثته وموتته الخبير  
بالمرايا بميراثه من السليبي والشماس بن الساسي وخليفه  
ابن علي ومحمود بن احمد اولاد توفيق اخوان بوالعزلة على ارضنا  
التي لنا عليهم وحسن رعايتهم جميعا لصفاء المخزنية  
والرضاء بالسلطانية بحيث لا يهاب احد بشيء  
ولو صيغنا فيهم واحترامهم ورعايتهم والتمسنا انما  
وتحريم اباركنا عما يجب الوافيا على ارضنا  
ان يعمل... وكما يجاب عليه والتمسنا...  
السير محمد نعمان بآية اعزته الله  
او اول من... الثاني  
١٤٣٦  
المصدر زاوية بوكحيل الساسي بسدراته



ظهیر صادر من البای مصطفی حول اعفاء المرابط  
بوكحيلي من الالتزامات المخزنية

الکمر لیه  
یتفق فیہ علی معوش الکی به لعمد السیون

السلام علیکم ورحمة ربکم وبرکاتہ  
اعلامک بہ ان الحامل الیک محمد بن الساسی بکحیلی  
اتنا تشاکت من الاما عشا شاکت لنا اخذوا منه عشرة ادریم  
اعلم ساعة و هو ان امرنا الیک فامرح یودون الامراهم الیکون

وانتم یود فاجعلوا علیهم البای ریان حکمیتة بحیث  
لا یسبوا لیس علیهم رائد رحیل لارویش وانما سرحینا  
من الفرج ما بنا کلام تکویم والافات الاری فی ذالک  
و علی مزار العین والاسلام من الاما سمر السید الخراج

محمد باي اعز و ابر

عنه ای

لمصدر زاوية بوكحيلي الساسي بسدر انة

## قائمة المصادر والمراجع

## المصادر العربية

- الجزائري مُجّد بن ميمون: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق، مُجّد بن عبد الكريم، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981،
- ألفونص روسو: الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى إحتلال فرنسا للجزائر تحقيق وتنقيح: مُجّد عبد الكريم الوابي، د ط، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي،
- إبن أبي دينار:المؤنس في اخبار افريقية وتونس، تحقيق مُجّد الشامام، المكتبة العتيقة تونس1961
- ابن العطار الحاج احمد ابن مبارك، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتعليق عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والتوزيع، قسنطينة2011
- أبي الضياف: تحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الزمان، مج 4، ج8، الدار العربية للكتاب2001
- أحمد باي: مذكرات أحمد باي، تر و تق مُجّد العربي الزبيدي، دط، ش و ن ت، 1981م
- ابي عبد الله الشيخ مُجّد الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في امراء افريقية، ط2، مطبعة بكار، تونس1323
- الحفناوي حمد، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة فونتانا الشرقية، الجزائر1906.
- الفكون عيد الكرم، منشور الهداية فيمن ادعى العلم والولاية، تحقيق ابو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي الجزائر.
- الزهار: أحمد شريف امذكرات أحمد شريف الزهار، نقيب أشرف الجزائر (1754-1830م)، تقديم وتعليق: احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974
- الزواوي أبو يعلى: تاريخ الزواوة، مراجعة وتع، سهيل الخالدي، ط1، 2005، منشورات وزارة الثقافة، الجزائرية
- دوتي ادمونت:الصلحاء، مدونات عن الاسلام المغربي خلال القرن 19، ترجمة مُجّد ناجي عمر. افريقيا للنشر.
- سينسر وليام: الجزائر في عهد رياس البحر. ترجمة وتعليق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1980
- العنتري مُجّد الصالح، فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على اوطانها، تحقيق يحيى بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر2009
- العنتري محمد الصالح:مجامعات قسنطينة، تحقيق رباح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1974،
- مُجّد باشا إبن الأمير عبدالقادر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر، ج1 المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903

## المراجع العربية

- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار البصائر للنشر، الجزائر
- الجيلالي الميللي مبارك بن مُجّد ا: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة، الجزائر، 1964
- التميمي عبد الجليل : بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي، 1816-1871، ط1، الدار التونسية للنشر تونس 1972
- المدني أحمد توفيق : مُجّد بن عثمان باشا داي الجزائر ( 1756-1791)، سيرته، حروبه، اعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 1986،
- الزبيري مُجّد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972
- بلحميسي مولاي : الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م
- عميرواي حميدة: علاقات بايلك الشرق الجزائري مع تونس اواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث للنشر الجزائر 2002.
- عباد صالح :الجزائر حلال الحكم العثماني، الاملعية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 2013
- سعيدوني ناصر الدين : ورقات جزائرية، دار البصائر للنشر، الجزائر، ط2، 2009.
- سعيدوني ناصر الدين: النظام المالي بالجزائر اواخر العهد العثماني. 1800-1830، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1979
- سعيدوني ناصر الدين ، بوعبدلي المهدي : الجزائر في التاريخ العثماني، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
- سعيدوني ناصر الدين : دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العثماني ، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، 2012
- فارس حمد خير : تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي، ط1 مكتبة دار الشرق، بيروت، لبنان، 1969م
- فاطمة قشي الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي، دار نوميديا بليس للنشر، قسنطينة الجزائر 2013
- راتسي ادريس :القبائل الحدودية التونسية -الجزائرية بين الاجارة والاعارة 1830-1881، الدار المتوسطة للنشر، تونس 2016.

BERBRUGGER Adrian, **un Cherif Kabyle in RA,....**

H.D De Grammont, **Histoire d'Alger sous la domination Turque 1516-1830**, Ernest Leroux, éditeur 28, rue Bonaparte. Paris 1887

<sup>1</sup> :DUMAS,E , **Mœurs et, coutumes de l'Algérie**, tel-Kabylie- Sahara édition Hachet, Paris 1853

GAID.(M); **Chroniques des beys de constantine**

FERAUD Charles, **Les Ahrars Seigneurs de Hnancha**, in RA 18 ,1873

FERAUD Charles: **Oulad Sidi Abid**, in R.A, v18, 1874,

FERAUD Charles ; **Le Sahara de Constantine**, in RA v ;1887

FERAUD Charles : **Notes sur tebessa in** ,R.A,1874

FERAUD Charles ; **histoire du Bni Djelab sultans des touguourt**, in RAA V23a1879

FERAUD Charles : **Les Cherifs Kabyles**

FERAUD Charles : **Zabouchi et Osman Bey de constantine**, in RA6,1862

FERAUD Charles : **histoire des ville de la province de constantine**, la calle 1871

Pechot : **Histoire de L'Afrique du Nord avant 1830**, cajoosso Imprimeur , Editeur/Alger

Louis Rinn, Marabousts et Khoannes

LOUIS Pisse, **Itinéraire de l'Algérie Pais imprimante** 1862

, Luciani, **Oulad atia et Ouad zhour**, in R ;A ;1899-

Narcisse faucon : **la Tunisie avant et depuis l'occupation française** , Histoire colonisation, Tome1 , librairie coloniale, Paris ,1893

MARIE Charle: **,Répertoire alphabétique des tribus et douar de l'Algérie**

MERCIER Ernest : **Histoire de l'Afrique septentrionale depuis les temps plus reculés jusqu'à la conquête française**, Paris 1888.

MERCIER Ernest; **Les deux sièges de constantine**,

Peyssonel et Desfontaines : **Voyages Dans les régences de Tunisd'Alger**, Tome1 ,Paris,1838

ROZZETTE et CARRETTE, **Mœurs et coutumes.....**

Rozzet et Carette, **L'Algérie. l'Univers ou histoire et description de tous les peuples de leurs religions, mœurs, coutumes**, ..etc, Firmin Didot Frères éditeur, Paris, 1850

Roussou A, les annales tunisiennes

SBAI Nadia, **Mostafa Sahab Atabaa** ; Edition cartage, tunis2007

Temimi(A.E.J), Haj Ahmed bey

VAYSSETTE. Eugène : **histoire de Constantine.....**

VAYSSETTE Eugène : **histoire des derniers beys de constantine**, in RA, v3, A1858

VAYSSETTE Eugène. : **histoire des derniers beys de constantine**, in RA, V6, 1862

VAYSSETTE Eugène : **histoire des derniers beys de constantine** ; in RA ; v7, a1870

Recueil des notices et mmoires V5, A1928

## الرسائل الجامعية

ايت سوكي مُجدّ اكلي ، تأثير القوى الدينية في القبائل وادوارها ومواقفها في مختلف الجوانب الحياتية من القرن (10-13هـ) حتى (16-19هـ)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006-2007

بن دومة مُجدّ الطاهر : أخبار وأيام وادي الربيع، تحقيق: مُجدّ الحاكم بن عون، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص علم المخطوط العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010م-2011

بعارسية صباح: موقف الحكام والعلماء من المتصوفة في الجزائر في العهد العثماني، اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2019-2020

بن عتو لبروات : المدينة والريف في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف بلقاسمي بوعلام، جامعة وهران، 2007-2008

بوضرساية بوعزة : الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم (1826-1848م) رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1990-1991

دحماني توفيق ، الضرائب في الجزائر 1792-1865، دراسة مقارنة ناطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 207-2008

العبدى نبيهة السلطاني :القوى العسكرية القارة بتونس وتكاليفه المالية من 1756 إلى 1814م، رسالة دكتوراه جامعة تونس الاولى 1999-2000  
الحناشي العربي :الحنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس من 1640-1740م ،رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية تونس، 1987-1988

العايب كوثر : العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات 1711-1830م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف مُجدّ السعيد عقيب، جامعة الوادي 2013-2014م

العبد فارس : علاقات الجزائريين بالمغرب الأقصى وتونس 148-1930م، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2016-2017

شاد الامام : سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814 ، رسالة دكتوراه في الفلسفة ، الجامعة الامريكية ، بيروت ، د س

حصام صورية: العلاقات بين أياالي الجزائر وتونس خلال القرن 18م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد المجيد بن نعيمة، جامعة وهران، 2012-2013

قشوان عبد الرزاق: الواقع الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الجزائري (1804-1871م) دراسة مقارنة، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة 2017-2018

ميلودية جبور: ظاهرة الاغتيال السياسي في نظام الحكم العثماني بالجزائر، 1519-1830، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث بجامعة وهران 2014-2015

عقاد سعاد: الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر 1519-1830م، دارالسلطان أمودجا، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2013-2014

لعربي اسمهان، الحياة الاقتصادية في بايلك الشرق خلال العهد العثماني (1713-1792)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجليلاني الياس، سيدي بلعباس 2012-2013.

رواجي العياش: الادارة الاستعمارية وعلاقتها بالعائلات الكبرى في مقاطعة قسنطينة من 1837 الى 1871، رسالة طكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2014-2015.

يعقوبي خديجة، شيوخ القبائل ومؤسسة المشيخة في بايلك الشرق والوسط العربي التونسي 1700-1860 رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2-2017-2018

يوسف صرهودة: الاقتصاد والمجتمع في ايالة الجزائر 1700-1830، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة عبد الحميد مهري 2017-2018

## المقالات:

التايب المنصف: المجال والسلطة في البلاد التونسية خلال العهد العثماني، مجلة روافد العدد 4، جامعة 1998

بن زردة توفيق : إحصاناتبايات تونس لجماعات الحنانشة (1170هـ/1756م-1192هـ/1779م)، من خلال الدفتريين 2144-2145 بالأرشييف التونسي، جامعة الأمير عبد القادر، العدد 10، جانفي 2017

سعيدوني ناصر الدين ، وضعية عشائر المخزن الاجتماعية، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 7-1877، 8، تونس

سعيدوني ناصر الدين :الانسان الاوراسي

سيدهم فاطمة الزهراء : موارد إيالة الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر، مجلة كان التاريخية العدد 13، دار ناشدي، الكويت،  
سبتمبر، 2011.

## المصادر الارشيفية

أولا: الارشيف الفرنسي:

1-ارشيف وزارة الحربية بفانسان بباريس:

AMG ,H226 ,Rapport Rousseau, revenues de la province de Constantine

AMG,H227 ;Martin :Notes sur l'histoire de quelque familles (sercle de biskra

AMG ;H228,reconnaissance sur constantine

AMG,1H146

AMG,1H194

AMG,1H46

2-ارشيف ما وراء البحار بايكس او برفانس بمرسيليا:

AOM ;F80 /1672 ,

AOM ;F80 /1673 ,

AOM ;F80 /1697

AOM ;F80 /441

AOM ;F80 /338

AOM ;F80 /1672 ,

## ثانيا: الارشيف التونسي:

الارشيف الوطني التونسي، سلسلة 223، الملف 384: موقعة وادي صراط على عهد حمودة باشا

الأرشيف الوطني التونسي: مراسلات صادرة بين مؤلفين جزائريين موجهة الى باي تونس، الحافظة 223، الملف 384.

الحافظة رقم 247، الملف 634 بعنوان: علاقات الدولة التونسية بإمارة سردينيا الايطالية

الحافظة رقم 223، الملف 384، مكتوب من الحاج احمد باي إلى السيد حسين باشا بتونس في شان نزاع وقع بين رعايا تونس ورعايا الجزائر

الحافظة رقم. 238 الملف رقم 550 مراسلات حول صيد المرجان بالسواحل التونسية.

-الحافظة رقم 223، الملف 384، مكتوب من الحاج احمد باي إلى السيد حسين باشا بتونس في شان نزاع وقع بين رعايا تونس ورعايا الجزائر.

الحافظة 223، الملف 384، حول اغارات الجزائريين على الاعراش الحدودية التونسية

الحافظة رقم 223. الملف 384. العلاقات التونسية الجزائرية، رسالة المدعو محمد عربنود الباش داي تونس بازمير 7 جمادى الاولى 1227 هـ

الحافظة رقم 223، الملف 384 حول العلاقات التونسية الجزائرية بعنوان: مضمون المكتوب الموجه من السيد حسين باشا الى باشا الجزائر في شان طلب الصلح

الحافظة رقم 221، الملف 354 بعنوان مراسلات تتعلق ببعثة احمد قبطان المورالي إلى الاستانة في شان الصلح بين تونس والجزائر

## ثالثا: الارشيف الوطني باسطمبول:

HAT الارشيف الوطني باسطمبول: الوثيقة رقم 685.33301

### ثالثا: الارشيف الجزائري:

1- الارشيف الوطني الجزائري:

وثيقة دفتر همايوني بتاريخ، 1231 هـ

### **2- ارشيف المكتبة الوطنية بالحامة:**

المجموعة 1641-1642

### المخطوطات:

مخطوط اخبار بلد قسنطينة، المكتبة الوطنية بالجزائر الرقم 2717

وثائق زاوية بوكحيل سدرانة

## الفهارس

-١- فهرس الاعلام:

رقم الصفحة	الاسم
37-38-49،135،137،152،174،199،	احمد باي
31	اغا عمر
21-31-37-98-99	صالح باي
31-31	شاكرا باي
32	عمر باشا
32	حسين باي
32	قارة مصطفى
32	ابراهيم الغربي
32	احمد باي المملوك
32-45	ابراهيم باي الغربي
25	بوحنك باي
50	بايسونال
34-31-22	محمد منماني
32	ابن الساسي
285	محمد ابن الساسي البوني
272	محمد الصالح الرحموني الزواوي
271	محمد العنابي

32	ابن السايح
30	احمد شاوش
30	احمد طوبال
32	احمد العشي
34	اسماعيل
91	اسماعيل بن يونس
18	تيدينا
38	الحاج بن عاشور
37	المقراني
42	الرزقي الحناشي
114	بن عيسى
89-88-51-37	بوعزيز
104-30	حسين ولد صالح
109-101-100-98-96-95-92	حمودة باشا
37	روسو
106-28	عبد الله باي
284	عبد القادر الراشدي
79	عبد الرحمن الازهري
88	علي باشا
21-32	عمار بن الحملاوي

28-27	عصمان باي
75	ساسى البوكحيلى
79	سى المقران المكى
203،238	شارا غيرو
291	محمد بن القاسم بن مبارك
312	محمد بن عبد الله بن قابّة
71	محمد بن كوجك
313	محمد ادريسي
46	محمد الميلى
40	محمد عبد السلام
284	محمد الصالغ الزواوى
108	محمود الثانى
102-27	مصطفى انجليز
50	الزىانى
81	الزبزشى
108	الزهار
-88	يونس
118	الجنرال تريزيل
61	فيرو
94	لوجى دو تاسى

فهرس القبائل والاعراش

الاسم	الصفحة
الحنانشة	240،91-90-49-43-41-38-37-19
الحراكتة	37
النمامشة	28
التلاغمة	145
الفراشيش	86-37
السقنية	145
الربايع	51
الزواغة	130
اولاد عبد النور	145-132-68-51-49
اولاد ين عز الدين	35
اولاد سلطان	144
اولاد يحيي بن طالب	41-50
اولاد زياد	51
اولاد عبدي	51
اولاد عزوز	51
اولاد ملول	51

51	اولاد خيار
51	اولاد صولة
51	اولاد مقران
145	اولاد كباب
64	بني جلاب
40-36	بن قانة
53	البرارشة
63	الذواودة
53	العلاونة
38	بن قاضي
136-36	بوعكاز
38-49	فرجيوة
86	شارن
50	عامر الشراقة
51	مشونش
38	زواوة

فهرس الاماكن

الاسم	الصفحة
الجزائر	32-36-31-30-27
الاوراس	46
الزيبان	46
بلزمة	20
بسكرة	228-208-20
بوسعادة	222-45-44
تونس	203-197-192-30-49-37-29
تمبكتو	228
الحضنة	222-63
حيدرة	87
المنصورة	121
عين مليلة	20
قلعة سنان باشا	84
قسنطينة	-38-37-35-34-32-27-24-23-19
	146-137
طرابلس	206-205

75	سوق اهراس
222-209-166	سوف
145-75	سدراتة
61	سكيدة
20	سريانة
20	سيفوس
80	ميلة
37	مجانة
42	وادي صيراط

## فهرس الموضوعات:

الفصل الاول: التطورات السياسية في بايلك الشرق من 1800-1837

المبحث الاول: التطورات السياسية الداخلية 1800-1837:

المطلب الاول: تطور العلاقة بين السلطة في بايلك الشرق الجزائري مع السلطة المركزية....: ص 26-44

المطلب الثاني: تطور العلاقة بين السلطة في بايلك الشرق الجزائري وبين الاعراش والقبائل: ص 44-59

المطلب الثالث: تطور العلاقات بين القبائل:.....: ص 59-64

المطلب الرابع: الصراع على زعامة مؤسسة المشيخة:.....: ص 65-78

المطلب الخامس: تطور العلاقة بين السلطة في بايلك الشرق ورجال الطرق الصوفية:.....: ص 79-95

المبحث الثاني: التطورات السياسية الخارجية 1800-1837:

المطلب الاول: تطور العلاقات مع تونس:.....: ص 95-113

المطلب الثاني: الصراع مع تونس وحرب 1806:.....: ص 113-125

المطلب الثالث: ازدياد التحرشات الاوربية على سواحل الشرق الجزائري.....: ص 125-126

المطلب الرابع: احداث الحصارين الاول والثاني على قسنطينة 1836-1837:.....: ص 126-141

الفصل الثاني: التطورات الاقتصادية 1800-1837

المبحث الاول: تطور الزراعة:

المطلب الاول: تطور ملكية الارض:.....: ص 143-152

المطلب الثاني: الانتاج الزراعي والفلاحي:.....: ص 152-164

المطلب الثالث: تطور حركة الاسعار وعلاقتها بالانتاج:.....: ص 165-173

المبحث الثاني: تطور الصناعة:

المطلب الاول:الموارد الصناعية:.....ص173-174

المطلب الثاني:اهم الصناعات والحرف:.....ص175-191

المبحث الثالث: تطور التجارة:

المطلب الاول:تطور العملة المتداولة في بايلك الشرق:.....ص194-213

المطلب الثاني:تطور الاسواق والمبادلات في بايلك الشرق من 1800الى1837:.....ص213-246

المطلب الثالث:التاثيرات السلبية على حركة التجارة في بايلك الشرق:.....ص246-257

**الفصل الثالث:التطورات الثقافية 1800-1837**

المبحث الاول: العوامل المؤثرة في التطورات الثقافية في بايلك الشرق الجزائري

المطلب الاول:دور الاوقاف في تطور الحياة الثقافية في بايلك الشرق:.....ص260-273

المطلب الثاني:دور الاسر العلمية والعائلات الكبرى:.....ص273-276

المطلب الثالث:تاثير الهجرة العلمية بين تونس وبايلك الشرق:.....ص276-286

المبحث الثاني: تطور التعليم والانتاج العلمي والثقافي في بايلك الشرق من 1800الى1837

المطلب الاول:تطور التعليم في بايلك الشرق:.....ص287-291

المطلب الثاني:تطور الانتاج العلمي والثقافي في بايلك الشرق في اواخر العهد العثماني:.....ص292-314

الخاتمة:.....ص325-329

الملاحق:.....ص330-340

قائمة المصادر والمراجع:.....ص341-351

فهرس الاعلام:.....ص354-351

فهرس القبائل:.....ص357-355

فهرس الاماكن:.....ص360-358

فهرس الموضوعات:.....ص362-360

## الملخص بالعربية:

أن من ابرز الفترات التاريخية التي عرفتها الجزائر هي فترة نهاية العهد العثماني باعتبارها فترة أخيرة عرفت تطورات هامة انتهت بسقوط الجزائر في يد الاستعمار الفرنسي، ونظرا لكون بايلك الشرق الجزائري هو أكبر البايليكات فقد تأثر بطريقة مباشرة بهذه التطورات التي عرفتها الجزائر، وهذا البحث يهدف إلى دراسة مختلف التطورات التي عرفها إقليم الشرق الجزائري 1800 إلى 1837م، من خلال دراسة التطورات السياسية سواء الداخلية او الخارجية التطورات السياسية وبرز احداثها المؤثرة سواء الداخلية او الخارجية، ثم التطورات الاقتصادية والتي مست الزراعة والصناعة والتجارة وتطور النظام المالي ثم التطورات الثقافية من حيث عوامل الحركة الثقافية وبرز الانتاج الفكري والثقافي الذي تميزت به هذه الفترة ومدى ارتباطه بالعوامل الاخرى.

## Abstract

One of the most prominent historical periods experienced by Algeria is the end of the Ottoman era, considered the last period that witnessed significant developments ending with the fall of Algeria into French colonial hands. Given that the Beylik of Eastern Algeria was the largest of the Beyliks, it was directly affected by these developments that Algeria experienced. This study aims to examine the various developments in the Eastern Algerian region from 1800 to 1837, particularly the political developments, both internal and external, as well as economic developments in agriculture, industry, and trade, the evolution of the financial system, and then cultural developments in terms of the drivers of the cultural movement and the most prominent intellectual and cultural outputs during this period and their relation to other factors